www.alolcah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية

— ١ —

العقل

د. فهمي النجار

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية

— ١ —

العقل

دراسة علمية موثقة لمفهوم العقل عند شيخ الإسلام
ابن تيمية وعلاقته بالإنسان
ماديًا ومعرفيًا وأخلاقيًا

د. فهمي النجار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ح فهمي قطب الدين النجار، ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النجار، فهمي قطب الدين

الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية - ١ - العقل . / فهمي قطب الدين النجار .- الرياض، ١٤٢٥ هـ
٢٩٢ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٠ ـ ١٨٩ ـ ٤٦ ـ ٩٩٦٠

١ ـ ابن تيمية احمد بن عبد الحليم ٢ ـ علم النفس الإسلامي
أ ـ العنوان

ديوي: ١٥، ٢١٤ ١٤٢٥/ ٣٨٢٨

رقم الإيداع : ١٤٢٥/ ٣٨٢٨
ردمك : ٠ ـ ١٨٩ ـ ٤٦ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

عنوان بريدي ـ الرياض: ١١٣١٢ ص.ب : ٢٤٦٦٩٠
بريد الكتروني: najjar1938@maktoob.com
هاتف جوال : ٠٥٠٧٢٣٧٥٠٦ / ناسوخ: ٤٧٨٥٩١٠

تصميم الغلاف ـ م. محمد حافز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ عبد الرحمن الباني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد، فإن لهذا الكتاب قصة وقضية، أوجز الكلام فيهما مستأذناً قارئنا الكريم؛ فعسى أن يكون ذلك عوناً على وضع الكتاب في موضعه من فكرنا المعاصر، وهمومنا الثقافية.

فنحن - المسلمين - قد كان لنا سبق بعيد، وتاريخ مجيد، وإنجازات رائعة في مجال الفكر والمعرفة على اختلاف صنوفها وتعدُّد أنواعها .

وكان ذلك بفضل الله والإسلام والقرآن الذي كانت أول كلمة أنزلها الله فيه على نبيه الأميِّ (اقرأ). وتردَّد في القرآن أمر الدعوة إلى إعمال الفكر: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦]، وتكرر الأمر بالنظر في عالم النفس وعالم الآفاق، في الأرض وفي الأنفس، قال تعالى:﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]، أي: وفي أنفسكم آيات، فانظروا في هذه وتلك؛ فالله يدعونا إلى النظر في آياته في الأرض وآياته في أنفسنا.

فانطلق الفكر المسلم في هذه العوالم كلها، وهدى الله الذين آمنوا واستجابوا لدعوة ربهم، فانكشف لهم عالَم من الحقائق، وابتكروا وأبدعوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في كل ميدان.

وتفصيل هذه الإنجازات و المكتشفات والمبتكرات يحتاج إلى مجلَّدات[1].

---

(١) وأجتزئ هنا وأقتصر على نماذج على سبيل المثال لاستنهاض الهمم، واستئناف السير في طريق الأجداد الذين استجابوا لربِّهم فأكرمهم الله : ﴿ كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ [الإسراء:٢٠].

أ- فابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ) لا كبلر (ت ١٠٤٠ هـ) ولا غيره مكتشف قوانين الضوء. (رَ: ابن الهيثم وكشوفه البصرية: مصطفى نظيف).

ب- وابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ) لا هارفي (ت ١٠٦٧هـ) مكتشف الدورة الدموية. (رَ: ابن النفيس: بول غليونجي).

ج – وابن الشاطر (ت ٧٧٧هـ) لا كوبرنيكوس (ت ٩٥٠ هـ) مكتشف الحقائق الأساسية في الفلك والقوانين الفلكية. (رَ: الموسوعة العربية العالمية ط ١، ١٤/ ٢٠- ٢١).

د-وابن وحشية (ت ٢٩٦هـ) لاشامبليون (ت ١٢٤٧هـ) هو الكاشف عن الرموز الهيروغليفية المؤدِّية إلى فك رموز حجر رشيد. (رَ: علم التعمية واستخراج المعمَّى عند العرب د. محمد مراياتي ومحمد حسَّان الطيّان ويحيى مير علم. ١/ ٥٨، ٢/ ٣٩١ وغيرهما).

هـ- وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) لا أوغُسْت كونت (ت ١٢٧٤هـ)، ولا دوركهايم(ت ١٣٣٥ هـ) مؤسس علم الاجتماع. (رَ: عبد الرحمن بن خلدون: علي عبد الواحد وافي).

و- والجوهري صاحب معجم ((الصحاح)) (ت ٣٩٣هـ)، وعباس بن فرناس (ت ٢٧٤ هـ) هما أول من حاول الطيران (رَ: الأعلام: للزركلي ط٤)....

ز- والرازي (ت ٣١١هـ) هو مؤسس علم طب الأطفال. (رَ: تاريخ طب الأطفال عند العرب: د.محمود الحاج قاسم محمد . ط٢، ورسالة الرازي في طب الأطفال ترجمة د. محمود الحاج قاسم محمد عن الإنجليزية، ضمن دوريات المؤتمر القطري للطفولة، بغداد، ١٩٧٩م. (تُرجمت رسالة الرازي إلى اللاتينية ثم إلى الإنجليزية، وفُقد أصلها العربي).

ح- والإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) لا بافلوف (ت ١٣٥٥هـ) مكتشف الفعل المنعكس الشرطي. =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكنَّ المسلمين - فيما بعد - تخلَّوا عن مستوى العمل بالإسلام الذي كان عليه أسلافهم، وشمل التقصير الحاكم والمحكوم على السواء، ومما يحدِّثنا به التاريخ أن أبا الطيِّب المتنبي (ت ٣٥٤هـ) اشترط أن ينشد قصائده في مدح من يمدحهم من الحكام وهو قاعد لا قائم، ورفض أن يقبِّل الأرض بين يدي إنشاده (!!...) هذا خبر صغير صغير ولكن له دلالات عظيمة وكثيرة؛ فالحاكم مسلم لشعب مسلم في قطر مسلم، وشاعره مسلم يفرض هذا، هذا الأمر النُّكْر، وخالقنا الذي إليه مصيرنا طلب منا وفرض علينا أن نسجد له ولم يطلب منا أن نقبِّل الأرض؛ فلننظر كيف تحوَّل المسلم الذي حرَّره الإسلام من كلّ عبودية، وحرّم عليه أن يستعبد إخوانه، فصار يفرض على أخيه في الإنسانية، وأخيه في الإسلام أن ينشد قائماً لا قاعداً، وإن يقبِّل بساطه بين يدي إنشاده (؟!!...).

والذي يعنينا هنا، أن المسلمين لما قصَّروا في العمل بالإسلام عن المستوى المطلوب ضعف شأنهم في كل ميدان، وناموا على علومهم، وكانت الأسباب قد تهيَّأت ليستيقظ الأوربيّون، ولم تكن تلك اليقظة أو النهضة إلا

=

(رَ: نظرية الفعل المنعكس الشرطي عند الغزالي، د. فائز محمد علي الحاج ضمن أعمال ندوة علم النفس والإسلام، جامعة الملك سعود ١٣٩٨هـ ١٩٧٨هـ.

ط- وابن يونس (ت ٣٩٩هـ) هو المكتشف لقانون النَّواس (البندول). وهو أيضاً المخترع له في مجال استعماله، لا غاليليو الإيطالي (ت ١٠٥٢هـ). (رَ: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك : قدري حافظ طوقان، ط ٣، دار القلم، القاهرة، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م، ص ص ٢٧٥-٢٨١، وكتاب مدخل إلى تاريخ العلم : لجورج سارطون -باللغة الإنجليزية [في مواضع منه] .

Introduction To The History of Science By: Gorge Sarton.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعوامل إسلامية في الغالب؛ فمنها الوجود الإسلامي في طرف أوروبا الغربي (الأندلس) مدة ثمانية قرون[1]، وكان هذا الوجود أشبه بمصباح قويّ على أوروبا الغارقة في نومها وجهلها وظلامها، ومن هذه الأسباب أو العوامل المولّدة للنهضة الأوربية الاحتكاك الذي استمرَّ قرنين: مائتي عام من الزمان - أعني مدة الحروب الصليبية - ثم الحكم الإسلامي في صقلية، وفي مالطة وغيرها، وقد كان البحر الأبيض المتوسط أشبه ببحيرة إسلامية، ثم التجوُّل الموَّار للتاجر المسلم في أركان المعمورة - ومنها أوروبا -؛ فقد وجدت نقود إسلامية على سواحل بحر البلطيق؛ فهذه دلالة من الدلالات على وصول التجار المسلمين إلى تلك المناطق النائية. والتاجر المسلم - كما نعلم - داعية إلى الإسلام بحكم روحه العالية، ومعاملته الراقية، وسلوكه المستقيم؛ فكانت هذه العوامل الإسلامية محركة للإنسان الأوروبي حتى أيقظته من سُباته.

وبهذه المناسبة نذكر من المراجع المنصفة الموضِّحة لأثر الإسلام في الحضارة الأوربية بل الحضارة العالمية، نذكر (كتاب شمس الله على أرض الظلمات): للباحثة الألمانية زيغريد هونكه (ت ١٤٢٠هـ). هذه هي الترجمة الصحيحة لاسم الكتاب كما أرادته مؤلفته، ولكن صدرت لهذا الكتاب ترجمتان؛ إحداهما دخل فيها اللوث القومي (!!) فزُوِّر اسم الكتاب فأصبح: (شمس العرب تسطع على الغرب) (!!).

فلما استيقظ الأوربيُّون وجدوا أنفسهم خالين من ألوان العلوم والفنون التي يحتاجون إليها، فأخذوا ما لدى المسلمين من ألوان المعرفة

---

(١) من السنة ٩٢ هـ (الثانية والتسعين للهجرة) حتى السنة ٨٩٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتطبيقاتها .

ثم جاء الوقت ليبدأ المسلمون نهضتهم بعوامل أهمُّها وبدايتها النداء الصارخ بالعودة إلى الإسلام الخالص والتوحيد الصافي، على جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) ومؤازرة الإمام محمد بن سعود (١١٧٩هـ)، ووجد المسلمون أنفسهم - في أقطارهم كافة - وفي طليعتها مصر - نعم وجد المسلمون أنفسهم خالين من العلوم وتطبيقاتها وَفق ما يحتاجه العصر، فأقبلوا ينقلون مما عند الأوروبيّن من العلم والمعرف على اختلاف أنواعها وأصنافها بعد أن تقدَّمت تقدُّماً خطيراً وبلغت شأواً بعيداً.

ولكن هنا وقفة لا بدَّ منها وتكاد تكون هي بيت القصيد، فالعلوم في هذه المرّة عليها بصمات الفكر الأوروبي الذي اصطنع بالعلمانية والاتجاه العلماني.

قد كانت العلوم عند المسلمين تسبيحاً بحمد الله، وتسخيراً لنعم الله، وكشفاً عن سنن الله، واستجابة لأمر الله، وتعميقاً للإيمان بمعرفة الآيات الدالة على الله وأسمائه الحسنى.

ولكن العلم ببصمات الفكر الأوروبي خرج عن مساره الطبيعي الصحيح - أعني الإيماني - فأصبح مبتوراً عن خالق الكون وخالق الإنسان والحياة، أصبح علمانياً - كما أشرت -.

يقول الأستاذ محمد المبارك(ت ١٤٠٢هـ)، في تلخيص حالة الفكر الأوروبي: « ونستطيع أن نلخص هذه (الخلفية العقائدية) المشتركة بين فروع المعرفة والثقافة الغربية بقولنا: الوجود كلُّه منحصر في الإنسان والطبيعة،وهو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[الإنسان] جزء منها ونوع من أنواعها، والطبيعة وُجدت هكذا بنفسها، وكذلك سُننها أو قوانينها؛ فهي مقدَّرة بنفسها من غير مقدِّر لها.

والعقل وحده طريق معرفة الحقائق [كافّةً] وليس ثمة طريق آخر.

وليست المُثل الأخلاقية والقيم والمفاهيم الحقوقية إلا وقائع أو حوادث كالحوادث الطبيعية نشأت وتطورت فهي ليست ثابتة.

والإنسان نفسه إنما هو حيوان اجتماعي مفكِّر فحسب، وليست النفس الإنسانية إلا مجموعة من الغرائز .

هذه هي جذور هذه العقائد الغربية سواء عند العقلانيين Rationalistes أم عند الماديين Materialistes.

ليس في هذه الفلسفة أو الأساس الاعتقادي أو التصوُّر الوجودي مكان للإله وصلته بالكون ونظامه السببي وبالإنسان، ولا للوحي والنبوات، ولا للجزاء والحياة الخالدة، ولا للمُثل العليا الأخلاقية، ولا سيما ما كان مصدره الدين، ولا لسائر الغيبيات (ما وراء الطبيعة) »[1].

وقد بلغ الأمر أن أصدر أحد دعاة التغريب كتاباً بعنوان: (خرافة الميتافيزيقا) (!!).

وهذه العلمانية التي أشرنا إليها قضيَّتها بالغةُ الخطر علينا وعلى الإنسانية جمعاء، ولكن لا يتسع المجال هنا للحديث عنها وتفصيل القول

(١) بين الثقافتين الغربية والإسلامية: محمد المبارك، دار الفكر. دمشق ط١٤٠٠،١هـ/ ١٩٨٠م. ص ص ٩٩-١٠٠. وانظر: الإسلام والتيارات الفكرية العالمية. محمد المبارك: دار القلم: دمشق ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيها[١]، ولذا نكتفي بكليمات ضرورية بشأنها:

١- فأول ذلك أن هذه التسمية (أعني العلمانية) تسمية مضلِّلة - كما يقول الأستاذ محمد قطب - حفظه الله -. وهي - في مضمونها - لا علاقة لها بكلمة (العلم) من قريب ولا من بعيد، وأحْرِ بها أن تكون (العالَمانية)، أي: أنها تتصل بهذا (العالَم) الدنيوي الأرضي. وفي الموسوعة البريطانية - مثلاً- تعريف علمي دقيق لها؛ تقول الموسوعة: « العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها »[٢].

٢- ولسقوط الفكر الغربي في حمأة العلمانية أسباب منها: موقف رجال الكهنوت في أوروبّا من الحركة العلمية المنهجية التي كان طلائعها أولئك الرعيل الأول الذين تأثّروا بالعلوم الكونية التي أخذوها عن المسلمين؛ فقد كان رجال الكنيسة في أوروبّا هم الذين يدَّعون العلم ويسيطرون على الفكر، وكانت الفلسفة الأرسطية - على ما وصلت إليهم من ضحالة وتحريف - هي المرجع في كل أمر علمي، أما المتأثرون بالعلوم الكونية عند المسلمين فنادَوا بالتجريب والمنهج التجريبي، فثارت ثائرة رجال الكنيسة، وكأنهم شعروا أن (البساط) يسحب من تحت أرجلهم - كما يقال - وأن السلطة التي يهيمنون بها على الناس في كل ميادين

(١) لمحيل القارئ الكريم إلى مرجعين - من مراجع كثيرة - في موضوع (العلمانية): أحدهما الفصل الخاصّ بها في كتاب (مذاهب فكرية معاصرة: لمحمد قطب) ص ص ٤٤٥-٤٩٩، والآخر كتاب (العلمانية : لسفر الحوَالي) وقد أصدر ملخَّصاً لهذا الكتاب.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة: لمحمد قطب، ط١، دار الشروق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٤٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياة أصبحت مهددة بالزوال، فأعلنوا الحرب الضارية على هذا النفر وسقطت ضحايا، فـ(جيؤو ردانو برونو) (ت ١٠٠٩هـ) مثلاً حكمت عليه الكنيسة بـ(أن يُعدم دون أن تُراق نقطة من دمه)، وكان معنى هذا أن يُحرق؛ وبالفعل صلب على سارية في مدينة روما، وأشعلت فيه النيران (!!) ليكون عبرة لمن تسوِّل له نفسه أن يسير في هذا الاتجاه .

وغاليله (ت ١٠٥٢هـ) حُكم عليه أيضاً بالإعدام، ثم خُفِّفَ الحكم عليه إلى السَّجْن المؤبَّد، رحمة بشيخوخته !!...

ثم إن الدين النصراني « المغيَّر المبدَّل الذي نُسب إلى المسيح زوراً وبهتاناً، والمسيح عليه السلام - كما قال ويلز (ت ١٣٦٥م) -: لا يعرف عنه شيئاً »[1]، أصبح لا تقبله العقول مع فرضه بالقوة والسلطة على الناس !...

وفساد رجال الكهنوت الأخلاقي من جهة، وغلو الرهبانية في محاربة النزعة الفطرية من جهة أخرى[2]، ومؤازرة رجال الكهنوت للطغاة الذين كانوا يحكمون أوروبا بالظلم والعسف والقهر.

واستغلال اليهود لهذه الأحوال في إبعاد الناس عن الدين ... كلُّ أولئك ولَّد وأيَّد هذه النزعة العلمانية: العمل لهذه الدنيا واستدبار الاتجاه الديني أيّاً كان، وجعل أمور الآخرة وراء الظهور...

---

(١) رَ: معالم تاريخ الإنسانية: تأليف هـ. ج. ولز، تعريب عبد العزيز توفيق جاويد، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م. ومن أفضل المراجع في تاريخ النصرانية وتطوراتها كتاب (محاضرات في النصرانية): تأليف محمد أبو زهرة.

(٢) رَ: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي، دار القلم بدمشق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٨٢ وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- قد كان رفض الدين أيّاً كان مصيبة بل كارثة فكرية عالمية، وقد استشرت وانتشرت حتى أطبقت على الأرض بكلّ من فيها، وأصابتنا - نحن المسلمين - عدواها؛ فقد دخلت علينا عن طريق الاقتباس من العلوم التي أخذناها عن الغرب، وعليها بصمات الفكر الأوروبي الذي انتهى إلى العلمانية، أخذناها دون مراجعة أو تأصيل أو إزالة الانحراف العلماني عنها، ودون العودة بها إلى وضعها الطبيعي الصحيح وهو الاتجاه الإيماني.

هذا مع وجود الفارق البيِّن بيننا وبين الأوروبيّين، وكون حال العلم عندنا على عكس حال العلم عندهم؛ فالعلم عندنا - كما أشرنا - وليد ديننا وهو استجابة لأمر الله بالنظر في الكون وتسخير ما أنعم الله به على الإنسان وَفق شرعه المطهّر. والعلم عند الأوروبيين وُجد برغم دينهم ومعارضاً لدينهم الذي كانوا عليه، وهم إذا كان لهم عذرهم فيما انتهوا إليه فما عذرنا نحن المسلمين في سلوك مسلكهم وتقليدنا لهم ذلك التقليد الأعمى الذي يذكر بأقصوصة[1] فيها عبرة .

٤- فالموقف الفكري الآن يقتضي ردّ الفكر والمعرفة بالعلوم إلى وضعها الطبيعي الإسلامي الإيماني، وعلم النفس أحد هذه العلوم...

والدكتور فهمي النّجّار - من جهته، وفي نطاق علم النفس - يباشر

---

(١) أقصوصة الحمير التي كانت محمّلة بأثقال من الصوف تنوء بحملها، فرأت طائفة من الحمير اتخذت طريقها في النهر وخرجت منه نَشِطة قد زالت الأثقال عنها، فخاضت في النهر لتخفّ أثقالها، فزادت الأثقال أضعاف ما كانت عليه، ولم تدر تلك الحمير المقلِّدة تقليداً أعمى أن الحمير التي قلدتها كانت محمّلة بالملح !!...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السير في هذا الطريق المحتَّم، ويرى: « أن جامعاتنا الإسلامية ما زالت حتى الآن تدرِّس علم النفس وفق التصور الغربي له، وسبب ذلك يرجع أولاً إلى تلاميذ علماء النفس الغربيين الذين وضعوا مناهج هذه العلوم في الجامعات الإسلامية .

وسبب آخر مهمّ في هذا المجال هو خلوّ الساحة العلمية من الدراسات النفسية النابعة من التصور الإسلامي الصحيح ... ».

ويرى « أن دراسة ما خلفه علماء الإسلام في مجال الدراسات النفسية الخطوة الأولى على طريق التأصيل المطلوب ... »[1].

وهناك رأي آخر أو اجتهاد آخر يقول: إن هذه الخُطوة - على أهميتها وجدواها - ليست هي الخُطوة الأولى، فالخطوة الأولى - وهي الأساس - فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واستيحاء الوجهة النفسية منهما مع الحذر من أن يكون في تصوّراتنا النفسية ما يخالف القرآن والسنة أو ما يقضي به القرآن والسنة في أمر (النفس) وما يتصل بها، ثم يتحرى ما جاء به أو ما أنجزه علماء الإسلام المنتهجون سبيله من دراسات أو اتجاهات نفسيه؛ والمقصود بهؤلاء العلماء أولئك الذين لم يتأثروا بفلسفة تغاير الإسلام .

أما الذين تأثّروا بالفكر اليوناني في تاريخ الإسلام من الذين قدَّموا دراسات أو آراء نفسيه فهم - وإن جانبهم الصواب في كثير مما قدموا -

---

(١) رَ. ص (١٧)، وص (١٨) من هذا الكتاب: (العقل عند شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نستفيد من تراثهم في مجال المصطلحات، ونزن آراءهم بميزان الإسلام[١].

وبعد فقد عزم الدكتور فهمي النجار أن يتناول بالدراسة والبحث آراء ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) النفسية، فقد أحسن اختيار الموضوع؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قمة في التزام الإسلام والاستقاء من الكتاب والسنة، وله آراء نفسية كثيرة ومتنوِّعة في تراثه الواسع، ونحن نعلم أيضاً أنه من أكثر أعلامنا تأليفاً، وقد تولى الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) استقراء كتبه وألف في ذلك رسالة، وكذلك الإمام ابن عبد الهادي[٢] (ت ٧٤٤هـ).

ولا أعلم أحداً تصدَّى لاستقراء آراء ابن تيمية النفسية؛ نعم تناول الشيخ العلامة محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ) دراسة آراء ابن تيمية الفقهية، وتناول الشيخ مصطفى عبد الرازق (ت ١٣٦٦هـ) إلمامة بفكر ابن تيمية الفلسفي إجمالاً[٣] وبقي الميدان فارغاً لدراسة آراء ابن تيمية النفسية، مع الحاجة الماسّة إلى الكشف عن هذه الآراء والأفكار لأسباب كثيرة أشرنا فيما سبق إلى أهمّها فيما ذكرناه من قبل.

وقد تناول مؤلِّفون الكشف عن آراء عدد من الأعلام في تاريخنا الإسلامي من الناحية النفسية[٤]، ولكن بقي أفكر ابن تيمية النفسي ينتظر من

---

(١) ذكر المربي الكبير الدكتور عبد الرحمن بن عبد الرحمن النقيب أنه كان ألف كتاباً في آراء ابن سينا التربوية، ولكن كان فاته أن يزنها بميزان الإسلام، وأنه إذا أعده لطبعة جديدة فإنه سيضيف عليه فصلاً يتناول فيه هذا الأمر المنهجي المهم.

(٢) في كتابه (العقود الدرّيّة في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) وهو مطبوع.

(٣) في كتاب: (خمسة من أعلام الفكر الإسلامي).

(٤) من هؤلاء: د. محمد شحاتة ربيع الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكشف عنه، فندب الدكتور النجار نفسه لهذا الأمر المهمّ.

ومن الحقّ أن نقول: إن الدكتور النجّار أهل لهذا العمل العلمي المهمّ لأسباب كثيرة ليس المجال متسعا لذكرها وتفصيل القول فيها، وأشهد شهادة حقٍّ - إن شاء الله - أن الدكتور النجار أحسن اختيار الموضوع، وأحسن تناوله أيضا بمنهجية علمية، فقد قرأ مظانّ الآراء النفسية لابن تيمية من تراثه الضخم الزاخر، واستخرج منه في هذا الكتاب آراء شيخ الإسلام في (العقل) وما يتصل به، وهذا أول كتاب له في الموضوع، تتبعه كتب أخرى بإذن الله، في موضوعات أخرى نفسية حتى يستقيم لنا الاطلاع على عالم النفس عند هذا الإمام الكبير.

ونلاحظ أنه يرجع إلى كتب ابن تيمية نفسها لا إلى مراجع كتبت عن ابن تيمية من الناحية النفسية؛ لأن هذا هو المنهج الصحيح من جهة، ولأنه لا توجد كتب تصدَّت للكشف عن الفكر النفسي لشيخ الإسلام رحمه الله.

والدكتور النجار بلسان حاله يدعونا إلى الإفادة من هذا الكتاب، وإلى متابعة السير الجادّ ليقوم لنا بناء فكري نفسي سليم.

وأذكر بهذه المناسبة توجيهاً سليماً لفت نظرنا إليه المفكر الإسلامي المعاصر وهو الأستاذ مالك بن نبيّ (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله؛ فهو ينبِّه على أن حل المشكلة التي تعترضنا لا يكون بأمر واحد أو بعمل واحد، ولكنها تحلُّ بـ(شبكة من الأعمال) تؤدي بتضافرها إلى حل المشكلة .

= كتابه: (التراث النفسي عند علماء المسلمين)، ط٢، ١٩٩٥م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمن هذه الأعمال - مع الانتفاع بهذا الكتاب - تقويمه تقويماً علمياً منهجياً عادلاً وموضوعياً، وتحرّي أعمالاً علمية أخرى، تقضي بها (خريطة) أو (مخطّط) بناء علم نفس إسلامي معاصر.

وإنا لنحيّي الدكتور النجار على إنجازه هذا، ونُحَيِّي أولئك النفر من الرعيل الأول الذين اتَّجهوا إلى أن علم النفس الشائع - أعني علم النفس الغربي - لا يزيدنا إلا خبالاً، وقد حاول من حاول من هذا الرعيل وضع لبنات لعلم النفس الإسلامي الجديد الذي نتطلع إليه...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الرياض يوم الجمعة ١٨ من شوّال ١٤٢٤هـ

عبد الرحمن النجاتي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمة

إن الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الدراسات النفسية المعاصرة هي دراسات غربية في أصول فلسفتها، وفي منهجها .. ونعني بالغربية أنها نابعة من تصورات المجتمع الغربي للإنسان والكون والحياة ..

ومن أبرز أسس هذا التصور الروح المادية المسيطرة على المجتمع الغربي وعلى فكره وحياته كلها .

لذلك كانت التفسيرات جميعها تفسيرات مادية في العلوم الإنسانية، مثل علم النفس وعلم الاجتماع.

ويتجلَّى هذا الاتجاه المادي في تفسير الظواهر النفسية؛ في (الداروينية) التي تعدُّ الإنسان من أصل حيواني، وفي (الفرويدية) التي تعد الجنس أساس الدوافع السلوكية للإنسان، وفي (البرجماتية) وفلسفة المنفعة، التي تعدُّ المنفعة هي أساس العلاقات الاجتماعية بين البشر ..

وأصحاب الاتجاه المادي يهملون أثر الدين والقيم الروحية في توجيه سلوك الإنسان وفي تحقيق صحته النفسية، البعيدة عن القلق والضياع اللذين يعاني منهما الإنسان المعاصر في المجتمع الغربي.

ومما يؤسف له أن جامعاتنا الإسلامية ما زالت حتى الآن تدرِّس علم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النفس وَفق التصور الغربي له، وسبب ذلك يرجع أولاً إلى تلاميذ علماء النفس الغربيين الذين وضعوا مناهج هذه العلوم في الجامعات الإسلامية. وسبب آخر مهم في هذا المجال هو خلو الساحة العلمية من الدراسات النفسية النابعة من التصور الإسلامي الصحيح ..

ومن هنا نبعت فكرة التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية والاجتماعية ونادى المفكرون المخلصون في العالم الإسلامي بأن التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة يجب أن يكون هو الأساس لجميع العلوم الإنسانية ... ومنها علم النفس والدراسات النفسية ...

وإن دراسة ما خلَّفه علماء الإسلام في مجال الدراسات النفسية، الخُطوةُ الأولى على طريق التأصيل المطلوب، على الرغم من تأثر بعض هؤلاء العلماء بالفكر اليوناني، ومحاولتهم التوفيق بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي، فهم وإن جانبهم الصواب في كثير مما قدَّموا نستفيد من تراثهم في مجال المصطلحات ... ونزن آراءهم بميزان الإسلام.

وهؤلاء العلماء والمفكرون، يختلفون من حيث درجة التأثر بالفكر اليوناني. فمنهم من ذاب في بوتقة الفكر اليوناني تماماً كالفارابي (م- ٩٠٥م) الذي أُطلق عليه اسم المعلم الثاني بعد أرسطو الذي أطلقوا عليه المعلم الأول، ومنهم من تأثر في جانب من الفكر اليوناني وخاصة جانب المنطق الصوري والبحث في جوهر النفس. كأبي حامد الغزالي (م: ٥٠٥هـ).

ومنهم من لم يتأثر مطلقاً بالفكر اليوناني، بل وقف موقف الناقد له المبين لانحرافه عقلاً ونقلاً، ويقف على رأس هؤلاء الإمام ابن تيمية – يرحمه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله – الـذي يعدُّ بحق أول من نقد المنطق الصوري الأرسطي، نقداً علمياً في كتابيه: (نقـض المـنطق) و(الـرد على المنطقيين). ونقد الفكر اليوناني وفكر تلاميذه من المسلمين في كتابه القيِّم: (درء تعارض العقل والنقل).

وشمل هذا النقد أولئك الذين أُطلق عليهم ''فلاسفة الإسلام'' وهم الذيـن تأثروا بالفلسفة اليونانية أمثال ابن سينا (م: ١٠٣٧م) والفارابي وابن مسـكويه (م: ١٠٣٠م) والكـندي (م: ٨٧٣م)، وعدهـم مقلديـن للفلسـفة اليونانية في أفكارهم وآرائهم حول الدراسات النفسية وما إليها.

ولهـذا يُعـدُّ ابـن تيمية – رحمه الله – مفكراً إسلامياً أصيلاً في دراساته النفسـية، لاعـتماده عـلى الكـتاب والسنة في كل ما كتبه، وما استقرأه بشأن النفس البشرية، وما يتبع ذلك من دراسة للسلوك البشري، ودوافعه، والعقل وقواه الفائقة، والمنطق والطريق الصحيح للمعرفة ...

ومـا قدَّمـه ابـن تيمـية عن النفس البشرية والفطرة الإنسانية بخاصة في كـتابه: (درء تعـارض العقل والنقل) يُعدُّ أفضل ما كتب في هذا الموضوع في التراث البشري كله.

وابـن تيمـية – رحمـه الله – في دراسـته العمـيقة للـنفس البشرية يقف عملاقاً أمام علماء النفس في الوقت الحاضر وأصحاب الاتجاه المادي بخاصة، فقـد حصـروا اهـتمامهم بالظواهـر النفسية، ولم يتوصلوا إلا إلى حدوس، لم تصـل إلى درجـة الـيقين العـلمي، ومـنهم من أخضع علم النفس للتجارب المعملـية، وتوصـل إلى نـتائج مضحكة؛ لأن الناس لدى الكثير منهم مادة أو آلة خاضعة للتجارب المعملية، واستخلاص النتائج من هذه التجارب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقضية العقل من القضايا الشائكة التي تناولتها الفلسفة اليونانية والفلسفة الحديثة، فقد تساءل الفلاسفة في القديم والحديث عن ماهية العقل، ودلالات معانيه المتعددة.

فالعقل في اللغة العربية – كما سنرى – يحمل معنى معيارياً أخلاقياً، فهو مشتق من الفعل الثلاثي عقل، يقال: « عقل البعير » إذا جمع قوائمها، وهكذا فقد سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك .

أما في المصطلح الغربي فإن العقل يأخذ معنى تجريدياً، فالكلمة اليونانية لوغوس Logos تحمل بين معانيها العلاقة الرياضة والدراسة، والكلمة اللاتينية Ratio تعني التفكير والحساب، وكلمة Raison بالفرنسية تعني النسبة الرياضية بين عددين، وتعني ملكة التفكير.

والفلاسفة في العصر اليوناني والوسيط والعصر الإسلامي لا يبتعدون كثيراً عن المصطلح المعجمي العربي والغربي.

فالفلاسفة المسلمون أمثال الفارابي والكندي وابن سينا وغيرهم الذين اقتبسوا الفلسفة اليونانية وألبسوها ثوباً إسلامياً أعطوا العقل مفهوماً وجودياً، فقد عدوه جوهراً قائماً بنفسه من حيث طبيعته وأصله، ولكنهم في الوقت نفسه يميزون – من حيث وظيفته – بين العقل الموهوب والعقل المكسوب، أو بتعبير آخر، بين العقل بالقوة والعقل بالفعل، فالأول يفيد الاستعداد الفطري لتحصيل المعرفة، والثاني يفيد المعرفة المكتسبة ... وسنجد أن ابن تيمية من معاني العقل عنده أنه غريزة (أي فطري) والعلم الذي يحصل بالغريزة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الفلسفة الحديثة نجد (لالاند) صاحب المعجم الفلسفي يميز بين معينين للعقل: العقل المكوِّن والعقل المكوَّن، أما الأول فالمقصود منه الفكر الذاتي أو النشاط الذي يقوم به كل مفكر، وأما الثاني فهو مجموع المعارف السائدة في عصر من العصور.

وهذا المعنى يقترب من المعنى الذي أعطاه ابن تيمية للعقل، فالنشاط الذي يقوم به المفكر والذي قال به (لالاند) هو أن العقل عرض أو صفة في الذات العاقلة أو العلم ...

ويؤكد اقتراب الفلسفة الحديثة من المعاني التي أعطاها ابن تيمية للعقل معناه عن ديكارت - الفيلسوف الفرنسي - والذي يعدونه في الفلسفة الأب الروحي للفلسفة الحديثة - ورائد الاتجاه العقلاني، حيث يعد العقل فطرة في الإنسان، وهو ما يفصل الإنسان عن الحيوان، وابن تيمية يقول بأن العقل غريزة.

وهكذا نجد أن الفلسفة الحديثة تبتعد عن أوهام الفلسفة اليونانية، وعند أرسطو بخاصة عندما قال: إن العقل جوهر، وقوله بالعقول العشرة، وغيرها من الأوهام التي عند بقية الفلاسفة اليونانيين من أمثال (هرقليطس) الذي يقول بالعقل الكلي المطلق المسؤول عن صيرورة العالم... والفيلسوف (أناكساغورس) الذي يرى أن العقل الكلي مفارق للعالم غير مندمج فيه ... وغير ذلك من المقولات التي يعبر عنها ابن تيمية بأنها موجودة في الأذهان لا في الأعيان، أي أوهام خيالية لا حقيقة لها...

في هذه الدراسة بعد عرضنا نبذة من حياة ابن تيمية وجهاده وأخلاقه ومؤلفاته وتأثيره في الفكر الإسلامي المعاصر، بينا في التمهيد منهج ابن تيمية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في دراساته النفسية، وكيف أنه سلفي المنهج، باعتماده على الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح المشهود لهم بالعلم والفضل، ويضم المنهج أيضاً التوفيق بين العقل والنقل، والتحليل اللغوي لإثبات أفكاره ودراساته النفسية.

أما الفصل الأول فيتضمن البحث في ماهية العقل، في اللغة وعند الفلاسفة منذ العصر اليوناني وحتى العصر الحديث، وكذلك عند علماء المسلمين، وفي القرآن والسنة.

أما الفصل الثاني فيتحدث عن الإدراك الحسي لدى الإنسان وحواسه الظاهرة الخمسة والحواس الباطنة، ومنها الخيال والوهم والتصور والتفكير .

ويتحدث الفصل أيضاً عن الإدراك العقلي، وهو إدراك المفاهيم العامة أو الكلية.

ثم يتحدث عن معاني العقل وصلته الجسم، ومن معاني العقل أنه عرض أو صفة بالذات العاقلة، أو أنه غريزة أو علم يحصل بالغريزة أو عمل بهذا العلم.

ويتبين لنا في هذا الفصل أن ابن تيمية أعطى مفاهيم للعقل لا تخرج عن آراء الحارث المحاسبي والإمام أحمد بن حنبل بأنه قوة الفهم والإدراك من حيث طبيعته، وفطري من حيث وجوده لدى الإنسان، راداً في الوقت نفسه على مفهومه لدى أرسطو ومن تبعه من الفلاسفة المسلمين، بأنه جوهر قائم بذاته..

وكذلك ردَّ كل أوهام الفلسفة اليونانية في هذا المجال .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويتحدث الفصل عن صلة العقل بالقلب الذي ورد في القرآن الكريم كثيراً، بأنه أساس الفهم والفقه، وكذلك صلة العقل بالدماغ الإنساني، وكيف أن ابن تيمية سبق (برغسون) الفيلسوف الفرنسي بستة قرون لتقرير حقيقة أن الدماغ واسطة للإدراك وليس هو العقل.

ويتحدث الفصل أيضاً عن العقل والشرع، وفضل العقل، وأنه مناط التكليف، والعقل والنقل، وأن صريح المعقول لا يتعارض مع صحيح المنقول، والعقل والغيب حيث إنه لا يمكن للعقل أن يدرك الغيب، والله وحده هو عالم الغيب والشهادة.

وكذلك يتحدث الفصل الثاني عن العقل والتأويل الذي شغل الفكر الإسلامي لقرون عدة، وكيف أن ابن تيمية أعاد التصور الإسلامي إلى مفهوم التأويل الأصلي وهو المعنى اللغوي له، وأن هذا اللفظ في القرآن يراد به ما يؤول الأمر إليه كما يراد به تفسير الكلام وبيان معناه، وأن هذا المعنى للتأويل يختلف عن المعنى الاصطلاحي له وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله لدليل دلَّ على ذلك.

وكذلك يتحدث الفصل عن العقل والذكاء وفيه مفهوم الزمان والذكاء، والسعادة ، والفروق الفردية، وكيف أن ابن تيمية تحدث عن الفروق الفردية في الذكاء قبل علم النفس الحديث بقرون عدة.

أما الفصل الثالث فيحدثنا عن العقل والمعرفة، وأردت في هذا الفصل إعطاء تصور موجز لنظرية المعرفة لدى ابن تيمية، وإن كنت سأفرد له كتاباً خاصاً - بإذن الله - بعد كتابي عن النفس الإنسانية لدى شيخ الإسلام ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن فقرات هذا الفصل أيضاً الحديث عن الاستعداد الفطري للمعرفة، وبهذا الاستعداد يتميز الإنسان عن الحيوان، وبه يتفاوت الناس في قدراتهم العقلية، ومن الفقرات أيضاً نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي الصوري وأنه لا يوصل إلى المعرفة، بينما نجد فلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والفارابي والكندي يعدونه السبيل الوحيد للمعرفة ... وبهذا النقد يتحرر ابن تيمية من أسر الفلسفة اليونانية التي بقيت مسيطرة على عقول الفلاسفة المسلمين قروناً عدة ... ويعد ابن تيمية أن الاستقراء هو الطريق للوصول إلى اليقين العلمي، وهذا في الأمور المادية الواقعية، وكذلك الاستدلال الذي يعده ابن تيمية من الأدلة العقلية على صحة الشرع، ويتحدث الفصل عن طرق الاستدلال؛ والتي هي طرق شرعية وعقلية بالوقت نفسه، مثل الاستدلال بالآيات القرآنية، والاستدلال بطريق الأولى في القرآن ...

ويتحدث الفصل عن الإلهام وأنه من طرق المعرفة أيضاً، وكيف غلا المتصوفة في هذا الأمر ... وبيّن ابن تيمية معنى الإلهام الرباني والإلقاء الشيطاني .

أما الفصل الرابع فيتحدث عن صلة العقل بالإرادة والأخلاق وصلته بالعاطفة.

- أما عن صلته بالإرادة، فبين ابن تيمية أن للعقل أهمية في الإرادة، حيث هو المرحلة الأولى في العمل الإرادي، إذ لا بد للعمل من وعي لدى الإنسان قبل الإرادة والتصور والهمة، وتنفيذ العمل يكون في آخر مرحلة من مراحل العمل الإرادي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- وأما عن صلة الإرادة بالأخلاق، فيعد ابن تيمية أثر العقل في السلوك الأخلاقي، ويتحدث الفصل عن الإلزام الخلقي ومصدره، والسلوك الأخلاقي ودوافعه، وأن وجود هذه الدوافع الفطرية للسلوك الأخلاقي عند الإنسان بعامة يُقوّم هذا السلوك بالميزان الإسلامي العادل المنصف، وأن العقل قوة دافعة للسلوك الأخلاقي، ولا يسمى أحدٌ عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه.

ويتحدث الفصل أيضاً عن صلة العقل بالعاطفة التي تضم الحب والكره والهوى ... إلخ . وبيان معنى العاطفة في علم النفس الحديث ولدى ابن تيمية، وكيف أن العاطفة فطرها الله في الإنسان، وأن سيرها باتزان على طريق الهدى والعلم والاستقامة يشكل المؤمن الصادق المفعم قلبه بالإيمان، أما إذا انحرفت كما هي عند أصحاب البدع وعند بعض الصوفية فإنها تؤدي إلى الضلال المبين.

وتخلص هذه الفقرة إلى أن العاطفة وصلتها بالعقل لها آثار مفيدة وآثار ضارة، ومن الآثار الضارة انحراف أصحاب الاتجاه المادي العقلاني - كما يدعون - عن طريق الإسلام العظيم، وحبهم للمدنية الغربية وفلسفتها ومقولاتها الظنية، وتبع ذلك تأويل القرآن حسب قراءات جديدة لا صلة لها بالإسلام ولا بالقرآن، بل صلتها الوثيقة بتصوراتهم وأوهامهم المريضة.

وتختتم هذه الدراسة بنقاط موجزة عن الأفكار التي وردت فيها ...

وتبع ذلك ملحق بنصوص أخرى لابن تيمية حول موضوع العقل والدراسة عامة لا تخلو من الفائدة للباحث وطالب العلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفهارس للمصطلحات والتعريفات الواردة في الدراسة، وفهرس للأعلام والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وفهرس للمصادر والموضوعات.

هذا وسيتأكد القارئ الكريم من خلال هذه الدراسة ؛ أن ابن تيمية قد أحاط بعلوم عصره كافة، وأبدى رأيه الخاص بها، وعرض لنظريات سائر الفلاسفة، أو الذين سبقوه من المفكرين ، معتمداً في ذلك كله على الكتاب والسنة وأقوال السلف مع إعمال فكره النفّاذ ونظره الثاقب..

وهو - رحمه الله - يجادل الفلاسفة والمفكرين، وبخاصة أولئك الذين يُدعون بفلاسفة الإسلام بتفكير هادئ ورزين، فكأنه يحاول إقناعهم بكل الوسائل والأدلة العقلية ، فهو يغوص في فلسفتهم موضحاً لهم أنها لا تتفق مع العقل الصريح ولا النقل الصحيح في الكتاب والسنة ..

هذه بعض النقاط الرئيسة التي سنبسطها بإذن الله في دراستنا هذه بشأن الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية - رحمه الله -..

وأظنها _ والله أعلم _ بأنها الأولى من نوعها؛ ولا أدَّعي أنني أوفيت الموضوع حقه من البحث والاستقصاء، لأن شيخنا الإمام العظيم، لا يستطيع فرد مثلي أن يبلغ كل علمه، ويستقصي كل ما كتب في هذا المجال ..

وأكتفي أن تكون هذه الدراسة مدخلاً لدراسات تالية بإذن الله ... وأن تساعد في النهاية على إقامة علم نفس ينبثق من التصور الإسلامي للحياة.

وأسأل الله تعالى أن يجزي أستاذنا الفاضل عبد الرحمن الباني خير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجـزاء لمـا قدمه لي من ملحوظات قيمة عند مراجعته لهذه الدارسة وتفضله بكتابة تقديم لها.

والله الموفق،،،

والحمد لله رب العالمين

د. فهمي قطب الدين النجار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نبذة عن حياة ابن تيمية

حياته:

هـذه وقفات موجزة في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لم أقصد منها أن تكون سيرة لحياته، وإنما إعطاء نظرة سريعة يؤخذ منها العبرة، وتعطي صورة لجهاد هذا الرجل العظيم.

- الاسم: أحمـد؛ تقـي الدين بن شهاب الدين عبد الحليم بن أبي البركات مجد الدين بن تيمية، الحراني، الدمشقي (أبو العباس).
- ولادته: ولد بحران[1] يوم الإثنين ١٠ من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ.
- انـتقل مـع والده من حران إلى دمشق، وكان عمره سبع سنوات، وذلك بعد إغارة التتر على حران.
- توفي والده وعمره ٢٢ سنة، سنة ٦٨٢هـ.
- قـام مقام والده في مشيخة التدريس في هذه السن المبكرة، بدار الحديث السكرية في ٢ المحرم ٦٨٣هـ، وحضر درسه كبار علماء دمشق.
- رحل إلى الحج سنة ٦٩٢هـ.
- المعارضـة الأولى لأفكـاره كانـت سنة ٦٩٨هـ عندما وجه إليه أهل حماة يسـألونه عن تحقيق العلماء في الصفات التي وصف الله بها نفسه. فدافع

(١) حـران: بلدة في جزيرة ابن عمرو، بين دجلة والفرات [شرق نهر الفرات] جنوب أورفة – في تركـيا حالـياً – وهـي مدينـة تاريخـية، ظلـت مركـزاً دينـياً وعلمياً للصابئين، واشتهرت بالفلسفة والعلوم اليونانية القديمة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن تيمية عن عقيدة السلف واعتقاد أهل السنة.

- توجه التتر إلى دمشق سن ٦٩٩هـ، وهزموا جيش الملك الناصر محمد بن قلاوون القادم من مصر.

- في يوم الإثنين من ربيع الآخر سنة ٦٩٩هـ اجتمع ممثل أهل دمشق وسفير الإسلام ابن تيمية بقازان طاغية التتر في بلدة (النبك)[١]. وقال له: ((أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون – على ما بلغنا – فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملا الذي عملت، عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وَفَيْت، وَجُرت))[٢].

- في عام ٧٠٠ هـ توجه إلى مصر، لما اشتد الأمر بالشام من المغول[٣]، مستصرخاً المسؤولين هناك، وبعد حضهم على الجهاد عاد إلى دمشق بعد أيام.

- شارك في وقعة شقحب[٤] سنة ٧٠٢هـ، وكانت وقعة عظيمة بين التتار والمسلمين، وأبلى فيها شيخ الإسلام بلاء حسناً.

---

(١) تقع بين دمشق وحمص حالياً.

(٢) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للحافظ عمر بن علي البزّار، ص ٧٢، ط المكتب الإسلامي ١٣٩٦هـ، بيروت – لبنان.

(٣) المغول والتتار أمتان من الجنس الأصفر، غزوا العالم الإسلامي، فخربوا البلاد، وقضوا على معالم الحضارة الإسلامية، ثم هداهم الله إلى الإسلام، فكانوا من جنوده بعد ذلك.

(٤) شقحب: عين ماء جنوب دمشق، بعد ((الكسوة)) على يمين الذاهب إلى حوران.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- في سنة ٧٠٤ هـ توجه لقتال الكسروانين[١] واستئصال شأفتهم.

- في سنة ٧٠٥ هـ طلبه السلطان محمد بن قلاوون إلى مصر... ووصلها في ٢٢ رمضان، وعقد له السلطان مجلساً علمياً بعد صلاة الجمعة، حضره القضاة وأكابر الدولة.

ثم حبسه بالجب بقلعة الجبل ومعه أخواه: شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن، سنة ونصفاً ثم خرج بعد ذلك.

- وفي سنة ٧٠٧ هـ عقد له مجلساً ظهر فيه على خصومه في طريقة الاتحادية[٢]، ثم أمر بتسفيره إلى الشام، ثم أمر برده وسجنه بحبس القضاة سنة ونصفاً، ثم إخراجه منه، وتوجهه إلى الإسكندرية، وجعله في برج، حبس فيه ثمانية أشهر. ثم توجيهه إلى مصر، واجتماعه بالسلطان في مجلس ضم القضاة وأعيان الأمراء، وإكرامه له إكراماً عظيماً، ومشاورته له في قتل بعض أعدائه، وامتناع الشيخ عن ذلك، ثم سكناه القاهرة، ثم توجهه إلى الشام، ثم ملازمته بدمشق لنشر العلوم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الخلق.

- في سنة ٧١٨هـ، أثار الناس بمسألة الحلف بالطلاق، فحبس على أثرها بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً.

---

(١) هم سكان جبل كسروان في بلاد الشام، من أصحاب العقائد الفاسدة والذين كانوا عوناً للفرنج والتتار.

(٢) أصحاب مذهب وحدة الوجود، ويوجد منهم في الديانات الثلاث، وهذه العقيدة لا شك في كفرها؛ فإنها تسوّي بين العبد والرب، ولا خالق ولا مخلوق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- في سنة ٧٢٦هـ أعيد إلى سجن القلعة، وكان أخوه يخدمه فيه ... وقد كتب في السجن في مسائل كثيرة... حتى منع من الكتابة، ولم يتركوا له قلماً ولا ورقاً... وكتب عقب ذلك بفحم ... وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى وفاته ليلة ٢٢ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ... وارتحل عن الدنيا وقد بلغ من العمر ٦٧ سنة رحمه الله.

علمه:

قال الذهبي عن ابن تيمية: « إنه صار من أكابر العلماء في حياة شيوخه ... ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحيحه وسقيمه مما لا يُلحق فيه، وأما نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له نظير، وأما معرفته بالملل والنحل، والأصول والكلام، فلا أعلم له فيه مثيلاً، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جداً، وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب »[1].

ذاكرته وذكاؤه:

اتفق المعاصرون والمتأخرون كلهم على قوة حفظه، وسرعة فهمه، وشدة ذكائه، يقول زميله في الدراسة علم الدين البرزالي: « قلّ أن سمع

(١) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شيئاً إلا حفظه، وكان ذكياً كثير المحفوظ » (١).

وقال الذهبي: « ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه، وكانت السُّنّة بين عينيه وعلى طرف لسانه » (٢).

وقال معاصره كمال الدين الزملكاني الذي كان خصمه في مجلس المناظرة: « لم يُر من خمسمائة سنة أو أربعمائة سنة – والشك من الناقل – أحفظ منه »(٣).

وقال الذهبي: « كان يتوقد ذكاء »، ويقول في مكان آخر: « كان آية على الذكاء وسرعة الإدراك » (٤).

أخلاقه:

قالوا في أخلاقه: « نشأ في تصون تام، وعفاف وتأله، واقتصاد في الملبس والمأكل، ولم يزل على ذلك خُلقاً صالحاً، براً بوالديه، تقياً، ورعاً، عابداً، ناسكاً، صواماً، قواماً، ذاكراً الله تعالى في كل أمر، وعلى كل حال، رجّاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، فارغاً من شهوات المأكل والملبس، لا لذة له في غير نشر العلم وتدريسه، عرض عليه منصب قضاء

---

(١) الحافظ أحمد بن تيمية لأبي الحسن الندوي، ص ١٠١، ط٤، دال القلم، الكويت، ١٤٠٧ هـ-١٩٦٧م، (نقلاً عن الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٦٦).

(٢) المرجع السابق (نقلاً عن القول الجلي ص ١٠١).

(٣) المرجع السابق (نقلاً عن الرد الوافر ص ٢٩).

(٤) المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القضاة ومشيخة الشيوخ، فلم يقبل »[١].

أما شجاعته، فحدث عنها ولا حرج، لقد كان شجاعاً، صامداً أمام الموت، والشجاعة التي أبداها إزاء المغول، وثبات الجأش الذي ظهر به أمامهم، أثار استغراب الجميع[٢].

يصفه الحافظ سراج الدين عمر بن علي البزَّار بما يلي: « وكان إذا ركب الخيل يجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، وينكي العدو من كثرة الفتك بهم، ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت » [٣].

مؤلفاته:

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي – رحمه الله – عن خصائص ابن تيمية العلمية والتأليفية بعد أن ذكر الذخائر العلمية التي كانت في عصره: « يبحر ابن تيمية – بفضل ذكائه وقوة ذاكرته الموهوبة – في هذه الذخائر العلمية بأكملها، واستساغها فكرياً، واستفاد منها في مؤلفاته استفادة كاملة، إلا أن نفسه الطموح المضطربة، وعقله النادر الكبير، وقلمه السيال البليغ، لم يكن كل ذلك ليقنعه بأن يكتفي بالنقل والرواية والشرح والتلخيص أو الاختيار، فما كاد يفارقه علمه العميق بكتاب الله تعالى، واطلاعه الواسع الصحيح على مقاصد الشريعة، وملكته الراسخة في أصول الفقه وأصول التشريع في أي مرحلة من مراحل تأليفه ... ولذلك لا نجد أي كتاب من كتبه يخلو من

---

(١) انظر: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد كرد علي، ص ١٠.

(٢) الحافظ أحمد بن تيمية، لأبي الحسن الندوي ص ١٠٥.

(٣) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ص ٦٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حقائق علمية جديدة، وبحوث ناقدة، ومباحث أصولية جديدة، بل إن مؤلفاته تشق طريقاً جديداً لفهم الكتاب، وتفتح باباً جديداً في إدراك مقاصد الشريعة » [١].

ولن نعدد في هذه العجالة مؤلفاته الكبيرة في العقيدة، والفقه وأصوله والتفسير والحديث ... قال الذهبي: « ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع »، وهناك كتب كثيرة تحدثت عن مؤلفات ابن تيمية[٢]، مع العلم أن أكثر كتبه تحوي بحوث العقائد والفقه وأصوله والحديث والتفسير[٣].

تأثير ابن تيمية في الفكر الإسلامي المعاصر:

تأثر الكثير من المدارس الفكرية العربية والإسلامية بفكر ابن تيمية ومنهجه السلفي في الدين والأخلاق والتربية، ومنهج المعرفة.

- في الجزيرة العربية، كان تأثير ابن تيمية واضحاً في حركة التوحيد التي بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومعروف دورها في تاريخ الجزيرة العربية بخاصة، والأقطار العربية والإسلامية بعامة، ولقد وصف

---

(١) الحافظ ابن تيمية، لأبي الحسن الندوي ص ٢٣٦.

(٢) انظر: كتاب ((الثبت)) فيه قوائم مخطوطات شيخ الإسلام ابن تيمية، تصنيف علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن، الرياض ١٤١٧هـ.

(٣) صدرت فتاوى ابن تيمية في الرياض، في المملكة العربية السعودية بـ ٣٧ مجلداً، وهي تجمع كثيراً من مؤلفاته الصغيرة غالباً، وتحتاج إلى التوثيق العلمي حتى تكون من أهم المصادر عن الإمام ابن تيمية، (وعند الرجوع إليها خلال هذا البحث أطلقت عليها اسم فتاوى الرياض للاختصار).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستشرق « رونكان ماكدونالد » هذه الحركة بأنها « النقطة المضيئة في تاريخ العالم الإسلامي خلال فترة الركود والجمود »، ووصفها المفكر والشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال بأنها أول نبضة حياة في تاريخ المسلمين الحديث، وأن آثارها قد استلهمتها بشكل مباشر أو غير مباشر جميع حركات الإصلاح في العالم العربي وفي الهند وإفريقية وغيرها[1].

- وتأثرت به أيضاً مدرسة الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، ويظهر ذلك من خلال الأبحاث التي كانت تنشرها « مجلة المنار » التي صدرت في القاهرة في الفترة ١٨٩٨ – ١٩٣٥م، ولاقت انتشاراً واسعاً في مصر وخارجها.

- وفي المغرب، دخلت أفكار ابن تيمية عن طريق الحركة السلفية بمصر، ووجدت صداها في الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر.

- وبعد الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية بدا تأثير ابن تيمية واضحاً في مدرستين إسلاميتين، هما: مدرسة أبي الأعلى المودودي وسيد قطب، ومدرسة مالك بن نبي.

- أما مدرسة أبي الأعلى المودودي في القارة الهندية ومدرسة سيد قطب في العالم العربي، فنرى تأثير ابن تيمية فيهما واضحاً؛ فقد استعملا المصطلحات ذاتها التي استعملها ابن تيمية، مثل: (الجاهلية)، و(إقامة

---

(١) انظر: الفكر التربوي عند ابن تيمية، د. ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ص ١١- ٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حكم الله في الأرض)، و(لا إله إلا الله منهج حياة)، و(العبادة) وربط ذلك بمفهوم الشهادتين[١].

- وحينما ردَّد حسن البنا عبارته: « يا قومنا ! ندعوكم والقرآن في يميننا، والسنة في شمالنا، وأعمال السلف الصالح قدوتنا » فقد كان يسير على نهج ابن تيمية من الدعوة إلى المنابع الصافية في القرآن والسنة وأعمال السلف الصالح[٢].

- أما بالنسبة للمدرسة الثانية؛ مدرسة مالك بن نبي، فقد نشأت كمزيج من التأثر بالاتجاه السلفي الذي بدأه عبد الحميد بن باديس، والتأثر بالخبرات الذاتية لمالك في التراث الإسلامي والتراث الأوربي، ولقد اتجهت هذه المدرسة للتخصص في منهج التحويل النفسي والفكري أو « تغيير ما بالأنفس » كمقدمة « لتغيير ما بالقوم »، ولقد عكس مالك ابن نبي في كتبه: (شروط النهضة)، و(مشكلة الثقافة)، و(ميلاد مجتمع) الاتجاهات التي وردت في كتاب ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) [٣].

هذه نبذة عن حياة إمام فاضل مجاهد، حمل السيف والسنان، كما حمل القلم والبيان، عالم تعلق قلبه وعقله وفكره بالكتاب والسنة والسلف الصالح ﷺ مفكر اتصل بالحياة، وأثَّر في مفكريها وعلمائها.

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا بد أن أذكر في ختام هذه العجالة عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، أن هناك من العلماء من اختلف معه في أمور العقيدة والفقه، وهناك من رفعه إلى درجة عالية من العلم، وهناك من قدح فيه، وصدق الشيخ محمد أبو زهرة حين قال عنه: « إن المشاهد قديماً وحديثاً أن الرجل الذي يختلف الناس في شأنه بين إعلاء وإهواء، لا بد أن يكون رجلاً كبيراً في ذات نفسه، عظيماً في خاصة أمره، له عبقرية استرعت الأنظار، واتجهت إليها الأبصار... وكذلك كان ابن تيمية ﷺ، قد كان عظيماً في ذات نفسه، اجتمعت له صفات لم تجتمع في واحد من أهل عصره، فهو الذكي الألمعي، وهو الكاتب العبقري، وهو الخطيب المصقع، وهو الباحث المنقب ... وقد آتاه الله لساناً مبيناً، وقلباً حكيماً، وقلماً عليماً ...»[1].

(١) ابن تيمية – حياته وعصره، آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، ص ٥- ٦ –٧، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٧م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمهيد

منهج ابن تيمية العلمي في دراساته النفسية

أسس هذا المنهج:

١- القـــــــــــرآن الكـــــــــــريم.

٢- الســـــــــنة النـــــــــبوية.

٣- أقوال السلف المشهود لهم بالعلم والفضل.

٤- التوفـــــيق بيـــــن العقـــــل والـــــنقل.

٥- اســـــــتعمال التحلـــــــيل اللغـــــــوي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمهيد

منهج ابن تيمية العلمي في دراساته النفسية

يعتمد ابن تيمية – رحمه الله – في دراساته النفسية على أسس قويمة ومتينة من العقل والنقل، يمكننا إيجازها بما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم:

وهو أقوى الأدلة العلمية لدى العلماء بعامة، وابن تيمية بخاصة، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإذا وجد الدليل القرآني، تبقى الأدلة الأخرى التي يوردها تعزيزاً له، لا أصلاً.

وذلك لأن منهج القرآن في الاستدلال لإثبات الحقائق الغيبية، وإبداء مقاصد الشريعة أبلغ من كل منهج، وأشد تأثيراً في النفس من أي استدلال آخر، يقول بعد أن ذكر الدلائل العقلية عند أئمة أهل الكلام والفلسفة على المطالب الإلهية: « فقد جاء القرآن بما فيها من الحق، وما هو أبلغ وأكمل منها على أحسن وجه، ومع تنزهه عن الأغاليط الكبيرة الموجودة عند هؤلاء »[1].

ويؤكد ابن تيمية أن من يدعون بفلاسفة الإسلام من أمثال الفارابي وابن سينا والكندي وغيرهم ممن تأثر بهم، وألبسوا الفلسفة اليونانية ثوب

---

(١) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٣٢١، ط إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان ١٣٩٦ هـ- ١٩٧٦م. وانظر: الحافظ ابن تيمية للشيخ أبي الحسن الندوي (مرجع سابق) ص ١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلام ... هؤلاء ابتعدوا عن القرآن الكريم، وعن منهجه المعرفي، ودلالاته النفسية والعقلية ... لذلك هم ابتعدوا عن منهج الله في عقائدهم وآرائهم، وجاؤوا بآراء بعيدة كل البعد عن الحقيقة القرآنية.

مع أن الحقيقة القرآنية ميسرة وسهل الحصول عليها وفهمها... وهذا هو ما قام به ابن تيمية؛ فإنا نراه يأتي بالدليل القرآني بيسر وسهولة، بحيث لا يخطر على بال القارئ أو المستمع أن هذه الآية يمكن أن تكون دليلاً لفكرة يوردها المؤلف، ولكن نجد ابن تيمية يستنبط منها أموراً لم تخطر على بال من سبقه من العلماء ...

لننظر إليه وهو يتكلم عن العقل ورده على الفلاسفة في مفهومهم للعقل، يقول: « إن العقل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين أمر يقوم بالعاقل؛ سواء سمي عرضاً أم صفة، ليس عيناً قائمة بنفسها ... فهو مصدر عقل يعقل، كما قال تعالى: ﴿ لعلهم يعقلون ﴾، ﴿ لعلكم تعقلون ﴾، ﴿ لهم قلوب لا يعقلون بها ﴾ »[1].

فهو يدلل بالقرآن على أن العقل عرض يقوم بالعاقل لا جوهر، بأسلوب ميسر، وبمنطق سليم، بعيد عن تعقيدات الفلاسفة، وهو يرد على الفلاسفة اليونانيين وتلامذتهم من المسلمين فيقول: « والعقل في لغة فلاسفة اليونانيين جوهر قائم بنفسه، فأين هذا من هذا » [2].

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٢٧٦.

(٢) فتاوى الرياض ٩/ ٢٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهكذا، فهو يرفض حدوس الفلاسفة اليونانيين وتلامذتهم وظنونهم بمنطق القرآن، ويؤكد أن وجود ما يسمونه العقول والنفوس المتعددة هو في الأذهان لا في الأعيان[١].

والحقيقة القرآنية فهمها ميسر لدى الإمام ابن تيمية، ولا يكون الفهم إلا بتفسير القرآن، وأصح طرق التفسير عنده خمسة، أوجزها لك من كتابه (مقدمة في أصول التفسير)، وهي:

١- « أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان، فقد بُسط في موضع آخر »[٢].

٢- «فإن أعياك ذلك، فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[٣].

٣- فـ« إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح »[٤].

٤- فـ« إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين »[٥].

٥- فـ« إن اختلفوا – أي التابعين – فلا يكون قول بعضهم حجة على

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٢٧٨.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٢٩، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان (دون تاريخ).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ص٣٠.

(٥) المرجع السابق ص ٣٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك » (١).

- « فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام » (٢).

- « فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً، فلا حرج عليه » (٣).

هذا هو منهج ابن تيمية في معرفة الحقيقة القرآنية.

والقرآن الكريم يدفع الإنسان إلى التفكير بما يسوقه من أدلة عقلية منطقية، حتى يصل إلى الإقناع والتصديق ... لا مجرد إيراد خبر ملزم لهذا الإنسان يتقبله دون تفكير ولا إرادة. لهذا يقول هنري لاووست: « ويشتمل القرآن على جملة المعارف الدينية في نصها وروحها، وهو لا يستمد قوته الإلزامية من سلطة الوحي وحدها، وإنما يسوق إلى العقل مجموعة من البراهين المنطقية مصحوبة بقوة إقناع لا نجدها في غيرها من البراهين، وعندما تعرض ابن تيمية في هذه النقطة بأسلوب جديد لحجة الاجتماع العام التي استخدمها لإثبات وجود الله، استطاع أن يؤكد أن القرآن يتضمن آيات من الوضوح، وعلى درجة من البساطة والعمومية بحيث إن الناس جميعاً محمولون منطقياً على التصديق بها »(٤).

---

(١) المرجع السابق ص٣٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٣٩.

(٤) نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع للمستشرق الفرنسي هنري لاووست – ترجمة محمد عبد العظيم علي – ص ١١٣ دار الأنصار – القاهرة ١٩٧٩م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: السنة النبوية:

وهي المصدر الثاني للمعرفة من حيث الترتيب بعد القرآن الكريم، عند الإمام ابن تيمية.

ومن خلال التدليل على المفاهيم النفسية التي يأتي بها، يتبين للقارئ فهمه العميق للحديث النبوي، وما يمكن أن يستنبط منه من أفكار وآراء وفق التصور الإسلامي ... لذلك نجده – رحمه الله – يكرر دائماً في بحثه عن العقل عبارات مثل:« العقل في لغة الرسول وأصحابه... »، « العقل في كتاب الله وسنة رسوله... ».

ثم يورد الأحاديث النبوية التي تتعلق بالنقطة التي يدرسها ... مدللاً عليها، مستنبطاً منها المفاهيم التي تدعم فكرته ورأيه حول الموضوع.

فهو – رحمه الله – يدلل مثلاً على الاستعداد الفطري للمعرفة بقول الرسول ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة ...) الحديث.

ويدلل على أن الإنسان حساس متحرك بالإرادة بقول الرسول ﷺ: (أصدق الأسماء: حارث وهمام)[1]، يقول: « فالحارث: الكاسب الفاعل، والهمّام: فعّال من الهمّ، والهمّ أول الإرادة، فالإنسان له إرادة دائماً، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه »[2].

ويدلل على الإلهام، وهو أحد مصادر المعرفة لديه، ويعرفه بقوله:

---

(١) رواه أبو داود والنسائي.

(٢) العبودية، لابن تيمية، تقديم الأستاذ عبد الرحمن الباني ص ١١٢، ط المكتب الإسلامي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«إشراق المعرفة وانبثاقها دفعة واحدة»، والذي هو نوع من الهداية الربانية للعبد، يدلل عليه بأحاديث متعددة بسطت في مكانها من هذا البحث.

ثالثاً: أقوال السلف المشهود لهم بالعلم والفضل:

وهذه تأتي في المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من حيث الاستدلال بها.

والاستشهاد بأقوال السلف من الصحابة والتابعين حجة لدى الإمام ابن تيمية لقربهم من عهد رسول الله ﷺ، وعصر نزول القرآن وفهمه، فضلاً عن أنهم «درجوا في ظل النبوة من معرفة وعلوم متكاملة بدون أن تشوبهم شائبة من التكلف ...»[1]. ويعدّ صحابة رسول الله ﷺ الأوائل في هذا المضمار، يقول – رحمه الله –: «وأصحاب النبي محمد ﷺ، كانوا – مع أنهم أكبر الناس علماً وعملاً صالحاً – أقل الناس تكلفاً؛ يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف ما يهدي به الله أمة، وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأمة، ونجد غيرهم يحشون الأوراق من التكليفات والشطحات ما هو من أعظم الفضول المبتدع والآراء المخترعة»[2].

رابعاً: التوفيق بين العقل والنقل:

وهو من الخصائص المهمة لمنهج ابن تيمية في الوصول إلى المعرفة الحق في نظرياته النفسية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

---

(١) الحافظ أحمد بن تيمية، لأبي الحسن الندوي ص ١٨١.

(٢) نقض المنطق لابن تيمية ص ١١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولابن تيمية كتاب كبير في هذا المجال عنوانه: (درء تعارض العقل والنقل)[١] أو (بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول).

أثبت فيه بشكل مفصل أن لا تعارض بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح، ومما ورد في كتابه هذا: « إن الأدلة العقلية الصحيحة البينة التي لا ريب فيها، بل العلوم الفطرية الضرورية توافق ما أخبرت به الرسل لا تخالفه، وإن الأدلة العقلية الصحيحة جميعها موافقة للسمع، لا تخالف شيئاً من السمع، وهذا، ولله الحمد، قد اعتبرته فيما ذكرته عامة الطوائف »[٢].

ويثبت ابن تيمية أن كل المعقولات التي تعارض النقل ما هي إلا أوهام اخترعها العقل لا تستند إلى أساس من العلم، ويقول: « إن ما يدعونه من العقليات المخالفة للنصوص لا حقيقة لها عند الاعتبار الصحيح، وإنما هي من باب القعقعة بالشنان لمن يفزعه ذلك من الصبيان، وإذا أعطي النظر في المعقولات حقه من التمام وجدها براهين ناطقة بصدق ما أخبر به الرسول، وأن لوازم ما أخبر به لازم صحيح، وأن من نفا، نفاه لجهله بحقيقة الأمر وفزعاً باطناً وظاهراً كالذي يفزع من الآلهة المعبودة، دون الله، أن تضره ويفزع من عدو الإسلام لما عنده من ضعف الإيمان »[٣].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل – طبعته عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في اثني عشر مجلداً بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/ ١٣٣.

(٣) بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ٤/ ١٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: استعمال التحليل اللغوي:

إن من يطالع كتب ابن تيمية يجده متبحراً في اللغة العربية ومطلعاً على دقائقها وأسرارها، لذلك هو يُسخّرها للتدليل على آرائه ونظرياته العقدية والنفسية بخاصة، بل يستفيد منها في منهج المعرفة بعامة. لذلك هو يرجع إلى اللغة العربية لفهم النص القرآني إذا لم يرد له تفسير في آي آخر من القرآن أو من السنة أو من أقوال الصحابة والتابعين. ويأخذ بظاهر المعنى اللغوي، ولا يصرفه إلى المجاز إلا بقرينة، أو يكون هناك دليل يوجب صرفه عن حقيقته إلى مجازه.

ونضرب أمثلة لتحليله اللغوي للوصول إلى الحقيقة مما يتعلق بموضوع الدراسات النفسية.

يقول- رحمه الله- في كتابه الرد على المنطقيين: « فالعقل في لغة الرسول وأصحابه وأمته عَرَض من الأعراض، يكون مصدر عَقَل يَعقلُ»[1].

وفي تعريفه للقلب يقول: « وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً، فإن قلب الشيء باطنه كقلب اللوزة والجوزة ونحو ذلك، وقد سمي القليب قليباً لأنه أخرج قلبه أي باطنه »[2].

ويقول في انقسام أمم الأرض- في عهده- باعتبار القوى الفطرية الثلاث في الإنسان، وهي: القوة العقلية والقوة الغضبية والقوة الشهوية: «وباعتبار القوى الثلاث، انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني،

---

(١) ص ٢٧٦

(٢) فتاوى الرياض ٩/ ٣٠٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهم: العرب والروم والفرس، فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية.

فغلب على العرب القوة العقلية المنطقية، واشتق اسمها من وصفها فقيل لهم: عرب؛ من الإعراب، وهو البيان والإظهار، وذلك خاصة القوة المنطقية.

وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما، واشتق اسمها من ذلك، فقيل لهم الروم، فإنه يقال: رُمْتُ هذا أرومُه، إذا طلبتَه واشتهيتَه.

وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والرياسة، واشتق اسمها من ذلك، فقيل: فرس، كما يقال: فَرَسَه يفرسه؛ إذا قهره وغلبه »[1].

وفي معرض ردِّه على الصوفية ووسائلها للوصول إلى المعرفة، ومن هذه الوسائل عندهم الذكر باللفظ المفرد يؤكد ابن تيمية أن الذكر لا يكون إلا بالجملة التامة، وأن الذكر بالاسم المفرد - كما هو عند الصوفية عندما يذكرون بلفظ (الله) أو (هو) - ليس من السنة... يقول- رحمه الله- في كتابه العبودية: « فجميع ما شرعه الله من الذكر إنما هو كلام تام لا اسم مفرد، لا مُظهر ولا مضمر، وهذا هو الذي يسمى في اللغة (كلمة) كقوله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن:

(١) فتاوى الرياض ١٥/ ٤٣١، ٤٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)[١]، وقوله: (أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: « ألا كل شيء ماخلا الله باطل »...

ومنه قوله تعالى:﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥]، وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ (الكلمة) من الكتاب والسنة، بل وسائر كلام العرب؛ فإنما يراد به الجملة التامة، كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم، فيقولون: « هذا حرف غريب » أي لفظ غريب.

وقسم سيبويه الكلام إلى: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفاً، لكن خاصة الثالث: أنه حرف جاء ليس باسم ولا فعل، وسمى حروف الهجاء باسم الحرف، وهي أسماء)). وقد سأل الخليل بن أحمد[٢] أصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد؟ فقالوا: « زاي » قال: جئتم بالاسم، وإنما الحرف (ز) ».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الخليل بن أحمدالفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ، واضع العروض وأول معجم في اللغة العربية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

ماهية العقل

أولاً: العقـــل فـــي اللغـــة.

ثانـــياً: العقـــل عـــند الفلاســـفة.

ثالثاً: العقل عند العلماء المسلمين.

رابعـــاً: العقـــل في القرآن الكريم.

خامســـاً: العقل في السنة النبوية.

سادســـــــاً: الخلاصـــــــة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

ماهية العقل

يعد العقل من المعاني الذي أثير بشأنها الجدل قديماً وحديثاً .

- فما هو العقل ؟ هل هو جوهر ؟ أم هو عرض ؟
- وما هي وظيفته ؟
- وهل العقل هو القلب ؟ أم هو العلم ؟
- أم هو عمل بالعلم ؟
- وما علاقة العقل بالدماغ الإنساني ؟

هذه هي الأسئلة التي أثيرت حول العقل .. وتعددت الإجابات حولها .. منذ عهد الفلسفة اليونانية وحتى العصور الحاضرة ..

وحتى يطلع القارئ على هذا الموضوع الشائك، نستعرض بعض هذه الإجابات .. ونبرز بعدها رأي الإمام ابن تيمية، الذي ناقش الآراء السابقة له وفند أدلتها حول معنى العقل ووظيفته ..

أولاً: العقل في اللغة :

جاء في لسان العرب[1]: إن العقل مصدر عقل .

قال ابن الأنباري: رجل عاقل أي جامع لأمره، ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جُمِعَت قوائمه وشدّوها بحبل هو العقال .

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (عقل) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولذا قالوا: سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه.

وقيل: العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها .

كما قيل: أن العقل هو التمييز، وبه يفترق الإنسان عن سائر الأحياء وبه يفهم الإنسان مالا يفهمه الحيوان .

وجاء في تاج العروس للزبيدي: العقل هو العلم، الحجر، النهية، وهو قوة وهو غريزة .

والعقل هو القوة المهيأة لقبول العلم، وبه يستنبط العاقل الأمور .

وقيل: العقل نور روحاني يقذفه الله في القلب والدماغ .

وقال أبو المعالي في الإرشاد: العقل هو علوم ضرورية بها يتميز العاقل عن غيره وهو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات، وهو المعنى بقولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريات، عند سلامة الآلات ..

قال الإمام علي ﷺ: العقل عقلان مسموع ومطبوع (انتهى كلام الزبيدي).

ونخلص إلى القول أن العقل لغة يفيد معاني عدة منها: أنه قوة مهيأة لقَبول العلم، وأنه غريزة في الإنسان، وأنه العلم، وأنه الحبْس والحَجْر، وأنه نور يقذفه الله في القلب، وأنه التمييز بين الإنسان والحيوان .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانياً: العقل عند الفلاسفة :

١- في الفلسفة اليونانية ومن تأثر بها:

نختار من الفلاسفة القدماء الفيلسوف اليوناني أرسطو، الذي تأثر به كل من يطلق عليهم فلاسفة الإسلام، مثل ابن سينا والكندي والفارابي ..

يحدد أرسطو معنى العقل بأنه جوهر قائم بنفسه، وهو أنواع متعددة مثل:

- العقل الهيولاني، أو العقل بالقوة، وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات، وهو قوة محضة خالية من الأفعال، وسمي بالهيولاني نسبة إلى الهيولى الأولى الخالية من الصور كلها .

- والعقل الفعال، وهو العقل العاشر، وسمي فعالاً لكثرة أفعاله في عالم العناصر .

- والعقل بالفعل، أي النفس الناطقة .

- وهناك العقل المستفاد والعقل المطلق ... إلخ ...

ولو بحثت عما وراء هذه الأنواع من العقول، أو عن مضمونها الحقيقي، لما وجدت سوى أوهام، أو مجرد كلام نظري ناتج عن تأملات خيالية، لا حقيقة خلفها .

ويأتي ابن رشد، فيقسم العقول إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: العقول البرهانية القادرة على متابعة دليل يقيني محكم،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتصل إلى نتائج بينة ضرورية، وربط هذه الأدلة هو الذي يكوِّن الفلسفة، ولكن هذا لا يتسنى إلا لقلة من العقول الموهوبة، بالقدر الذي يجعلها تكرس نفسها لها.

النوع الثاني: عقول منطقية تكتفي بالبراهين الجدلية .

النوع الثالث: العقول التي تستجيب للوعظ والأدلة الخطابية، وهذه غير مهيأة لاتباع الاستدلال المنظم .

والعقول الأخيرة نجدها عند الناس العاديين، وهم السواد الأعظم الذين لا يستجيبون إلا للخيال والعاطفة فحسب[1] .

ويرد أبو بكر بن العربي على الفلاسفة منكراً هذه الأنواع للعقل، ويقول بأنها أسماء لا فائدة تحتها، وتهويلات لا طائل وراءها، وذلك أن الأشياء والمدركات تسمى في نظره علماً لا عقلاً، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢] كما أطلق عليها عقلاً بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون ﴾ [الرعد: ٤].

فالعقل عند ابن العربي هو العلم، وهو صفة يتأتى بها إدراك العلوم، وهذا التعريف للعقل هو أحد مقولات ابن تيمية في تعريف العقل كما سترى عند بحثنا للعقل عنده - رحمه الله -.

٢- في فلسفة الأوربيين في قرونهم الوسطى والحديثة:

(١) ارجع إلى: تراث الإسلام لشاخت وبوزرورث، ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري، القسم الثاني ص ٢٠٩ ، سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعطي هنا لمحات فقط عن العقل عند بعض الفلاسفة في القرون الوسطى والحديثة – وليس كلهم –، ولا أتعمق في حدوسهم... وأقول حدوسهم لأعبر أن فلسفتهم آراء وتأملات مبنية على رؤيتهم العقلية للوجود والحياة... وقد تصل إلى بعض الحقيقة، وقد لا تصل ... ولكن حتى أعطي القارئ الكريم صورة عن أسلوب تفكيرهم ونتائج هذا التفكير... التي قد تلتقي مع الفكر الإسلامي وقد لا تلتقي، بل قد تكون ضده كما تمثل ذلك في الفلسفة المادية الإلحادية عند كل من ماركس فيلسوف الشيوعية، وسارتر فيلسوف الوجودية.

وحتى يقارن المسلم بين حدوس الفلاسفة البشرية حول أثر العقل الإنساني في الحياة، ونتاج الفكر الإسلامي لدى ابن تيمية – رحمه الله – كما سأبينه بإذن الله في هذه الدراسة، ومن هؤلاء الفلاسفة[1]:

١- **أوغسطين** (٣٥٤-٤٣٠م عاش في شمال إفريقيا قرب مدينةعنابة الجزائرية) يعد من رجال الكنيسة، ذكر في كتابه: « المعلم عام ٣٨٩م »:

- الإيمان ضروري للعقل، والعقل ضروري للإيمان، أو كما يقول: « اعقل كي تؤمن، وآمن كي تعقل ».
- شعور الإنسان بوجود نفسه دليل على وجود الله.
- الله والروح والعقل لا شك في أمرها.
- الإلهام يشكل المصدر القوي للمعرفة الصحيحة.

---

(١) انظر: العقل في مجرى التاريخ. د. علي شلق. ص ١١١ وما بعدها، دار المدى، بيروت: لبنان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- **أنسلم** (١٠٣٣- ١١٠٩م) قديس إيطالي أصبح رئيس أساقفة في انكلترا، سار على نهج أوغسطين، ومن أفكاره:

- العقل وحده هو وسيلة المعرفة، وهو سبيل الإيمان.
- القلب سبيل الكشف والإلهام.
- العقل قادر على فهم الإيمان.
- الكمال في الكون هو دليل وجود الله.

٣- **توما الإكويني** (١٢٢٥- ١٢٧٤م) من فلاسفة الكنيسة، ولد في إيطاليا، واعتمد على أفكار أرسطو وابن سينا والغزالي وابن رشد. ومن آرائه:

- العقل والعقيدة يرميان إلى غرض واحد.
- بالوحي يعلم الإنسان ما هو فوق العقل.
- بالعقل نفهم الوجود، وبالعقل والوحي تتم المعرفة، لكن العقيدة أولاً.
- خلق الله العالم، ورعى نظامه في خلق مستمر.

٤- **مونتاني** (١٥٣٣- ١٥٩٢م)، كاتب ومفكر فرنسي، من أفكاره:

- لكل إنسان حق في أن يبحث عن الحقيقة بحرية.
- الحواس قد تخدع، والعقل قد يعجز.
- الإنسان قد يعجز عن بلوغ الحقيقة والعدل.

٥- **فرنسيس بيكون** (١٥٦١- ١٦٢٦م) فيلسوف إنكليزي من أصحاب الفلسفة العقلية، ويعده الغربيون واضع المذهب التجريبي الذي يقوم على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاستقراء الذي ينتقل من الوقائع المادية إلى القوانين.

قال بأن العقل يكفي وحده للوصول إلى الحقيقة بدون الوحي.

٦- **كانت** (١٧٢٤- ١٨٠٤م) فيلسوف ألماني، كان له أثر كبير في الفكر الغربي، وذكر العقل في كتابيه المشهورين: نقد العقل الخاص، ونقد العقل العملي. ومن آرائه في الكتابين:

- التجربة الحسية توقظ العقل أكثر مما تقنعه.
- المعرفة ليست كلها من عمل الحواس.
- قواعد الإيمان والأخلاق فوق العقل.
- العقل يقوم بمهامه بواسطة الزمان والمكان فيرتب المدركات.
- لا يستطيع العقل فهم حقيقة الأشياء ولباسها.
- لا يتمكن العقل من البرهان على وجود الله، والدليل على وجوده العقل الفطري المغروز فينا.
- إن في أعماقنا صوتاً ينادي ليدلنا على الخير والفضيلة، وهو خارج عن مملكة العقل، وهو فطري فينا، وهو صوت الواجب.

٧- **هيجل** (١٧٧٠- ١٨٣١م) فيلسوف ألماني، من أفكاره:

- لا يتم الوصول إلى حقيقة العالم إلا إذا تدرجنا بمراتب العقل من الأدنى إلى الأعلى. وقال عبارته المشهورة: « إن ما هو عقلي حقيقي، وما هو حقيقي عقلي ».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الحقيقة النهائية التي هي أساس كل الحقائق هي العقل.
- إن الوحدة في الفكر هي وحدة أضداد، وإن المطلق هو الانسجام بين الأضداد، وهو ما أطلق عليه (الجدلية الهيجلية أو التضاد) أي أن الفكرة تتطور على مراحل: الإثبات ثم النقض ثم الخلاصة. ومن هذه الفكرة استقى ماركس فكره.

٨- **برغسون** (١٨٥٩ - ١٩٤١م) فيلسوف فرنسي، من أفكاره:

- العقل ليس أداة صالحة لإدراك الحياة، لأنه والحواس أدوات للتجزئة.
- البصيرة (أو الحدس) هي وحدها التي تدرك روابط الوجود. (فكرة تذكرنا بآراء أبي حامد الغزالي).
- انتقد دارون في قوله بالمصادفة وبداية الخلق والتطور، وسأل: هل يعقل أن العين وطبقاتها مصادفة ؟.
- وهل المصادفة هي التي خلقت الذكورة والأنوثة ؟.
- العقل والدماغ ليسا شيئاً واحداً، والدماغ هو المجرى الذي يسير فيه تيار الإدراك، ولكن ليس الماء ومجراه شيئاً واحداً.

٩- **وليم جيمس** (١٨٤٢ - ١٩١٠م) عالم نفس أمريكي، وصاحب مذهب البراجماتزم (الذرائعية)، من أفكاره:

- على الإنسان أن يتخذ من أفكاره ذرائع لحفظ حياته، ثم السير بالحياة نحو الكمال ثانياً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الرأي الصحيح ما له فائدة عملية لأكبر عدد من الناس.
- سلوكنا العملي هو الذي يُوجِّه أفكارنا، وليست أفكارنا هي التي تُوجِّه أعمالنا.
- المدرك العقلي هو مدرك حسي يعمل بطريقة معينة، والمدرك العقلي إما أن يكون كلمة (وهي مدرك حسي) وإما صورة ذهنية (وهي مدرك حسي).

هذه حدوس بعض الفلاسفة القدماء والمحدثين من الغربيين، والحدس قد يصدق وقد يخطئ، عرضتها ليتبين القارئ الكريم قيمة العقل عند المسلمين بعامة وعند الإمام ابن تيمية بخاصة ... ويعرف أن العقل المسلم كان أكبر الأثر في بناء الحضارة الإسلامية، الحضارة الإلهية القائمة على الرحمة والعدل والمعرفة الحقة، بينما نجد الفلسفة الغربية أودت بأبنائها إلى حضيض المادية المظلم، والأنانية الفردية.

ثالثاً: العقل عند العلماء المسلمين:

نورد آراء بعض العلماء السابقين لابن تيمية – رحمه الله – في العقل، وبخاصة أولئك الذين نوه بآرائهم أو ذكرهم في كتبه، منهم:

أ- الحارث المحاسبي[1]:

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، ولد ونشأ في البصرة سنة ١٦٥هـ وكان عالماً بالأصول والمعاملات والوعظ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، وقد أثر كثيراً في علماء عصره في بغداد حيث أقام بعد ذلك. من مؤلفاته: رسالة المسترشدين، ومائية العقل ومعناه، والتوهم، وآداب النفوس، وكتب أخرى كثيرة. ورد في تاريخ بغداد =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ألف كتاباً سماه:« مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه »[١] يبين فيه معنى العقل عنده، وينتقد معاني العقل عند بعض من سبقه.

- يبين أن للعقل عند العلماء ثلاثة معان:

أولها: أن العقل غريزة.

ثانيها: أن العقل فهم.

ثالثها: أن العقل بصيرة.

- ويؤكد أن العقل غريزة بقوله: « فالعقل غريزة جعلها الله ﷻ في المتحنين من عباده »[٢].

وقال: « فهو غريزة لا يعرف إلا بفعاله في القلب والجوارح، لا يقدر أحد أن يصفه في نفسه ولا في غيره بغير أفعاله »[٣].

ورأى أن العقل غريزة، قال به الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – ومعظم السلف[٤]، والإمام أحمد ممن عاصر المحاسبي، وقد أضاف المحاسبي إلى إلى قوله إن العقل غريزة كلمة « نور » فقال لما سئل عن العقل: « هو نور

أن الحارث تكلم في شيء من (الكلام) فهجره أحمد بن حنبل، فاختفى في دار ببغداد وتوفي فيها سنة ٢٤٣هـ. (الأعلام للزركلي).

(١) العقل وفهم القرآن، للمحاسبي ص ١٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٤) الرد على المنطقيين لابن تيمية، ص ٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغريزة، مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم وبالحلم » (١).

ويعارض المحاسبي قول البعض إن العقل معرفة: « وقد زعم قوم أن العقل معرفة نظمها الله ووضعها في عباده، ويتسع بالعلم المكتسب الدال على المنافع والمضار. والذي هو عندنا أنه غريزة، والمعرفة عنه تكون » (٢).

وكذلك سَمَّى العرب العقل فهماً « لأن ما فَهِمْتَهُ فقد قيَّدته بعقلك وضبطته كما البعير قد عقل، أي قد قيدت ساقه إلى فخذيه » (٣).

وكذلك قالوا عن العقل إنه البصيرة، والبصيرة ظاهرة عقلية، وليست هي العقل عند المحاسبي، لأن البصيرة هي فهم حقاق معاني البيان، وتَحصَل بعد العقل عن الله تعالى، وبعد أن تعظُم معرفته بعظيم قُدْرة الله وبقدر نعمه وإحسانه(٤).

ب- قدامة بن جعفر(٥):

قال: « العقل قسمان: موهوب ومكسوب، فالموهوب خلقه الله، والمكسوب ما يستفاد من التجربة والعبر والأدب والنظر.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٤١.

(٢) العقل وفهم القرآن، ص ٢٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٠.

(٥) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، ويضرب به المثل في البلاغة، توفي ببغداد سنة ٣٣٧هـ. له كتب، منها: الخراج، نقد الشعر، جواهر الألفاظ. (الأعلام للزركلي، ٥/ ١٩١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد شبَّه بعض القدماء العقل الغريزي بالبدن وشبه المكتسب بالغذاء »[١]، ويظهر هذا القول أن قدامة متأثر بقول المحاسبي بأن العقل نور الغريزة يزيد ويقوى بالعلم[٢].

جـ- الجويني (إمام الحرمين) [٣]:

قال السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى: « قال إمام الحرمين في البرهان عند الكلام في تعريف العقل: (وما حوّم عليه أحد من علمائنا غير الحارث، فإنه قال: العقل غريزة يتأتى بها درك العلوم وليست منها، وقد ارتضى الإمام كلام الحارث هذا كما ترى، وقال عقيبه: إنه صفة إذا ثبت بها التوصل إلى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات التي هي مستند النظريات، وهي منه بناء على أن العقل ليس بعلم » [٤].

---

(١) العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ص ١٨٦- ١٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) سنة ٤١٩هـ، ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس جامعاً طرق المذاهب، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك ((المدرسة النظامية)) فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة، منها: غياث الأمم والتياث الظلم، والبرهان في أصول الفقه، قال بعضهم يصفه: الفقه فقه الشافعي، والأدب أدب الأصمعي، وفي والوعظ الحسن البصري. توفي سنة ٤٧٨هـ. (انظر: الأعلام للزركلي، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م).

(٤) العقل وفهم القرآن، ص ١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

د- أبو حامد الغزالي[١]:

قال في كتابه إحياء علوم الدين: ((إن العقل يطلق على أربعة معان:

فالأول: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية ...

الثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد...

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن حنكته التجارب، وهذبته المذاهب يقال: إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً.

الرابع: أن تنتهي قوة هذه الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً من حيث إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب، لا بحكم الشهوة العاجلة، وهذه أيضاً من خواص الإنسان التي مر

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، ولد سنة ٤٥٠ هـ في طوس بخراسان، ورحل إلى بغداد فالحجاز فالشام فمصر، وعاد إلى بلدته. وتوفي سنة ٥٠٥ هـ. من مؤلفاته: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، وفضائح الباطنية... وعشرات الكتب الأخرى. وكتب عنه الكثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بها يتميز عن سائر الحيوان »[١].

هـ- ابن الجوزي[٢]:

ينقل في كتابيه: الأذكياء، وذم الهوى ما قاله الغزالي، ويضيف مبيناً ماهية العقل: « يعرف العاقل بسكوته وسكونه ومراقبته للعواقب، وليس العقل محسوساً، وإنما يدل عليه ظاهر قول العاقل وعمله ».

ويقول: « إنما تتبين فضيلة الشيء في ثمرته وفائدته، وقد عرفت ثمرة العقل وفائدته، فإنه هو الذي دل على الإله، وأمر بطاعته وامتثال أوامره »[٣].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ١/ ٧٢.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، ولد ببغداد سنة ٥٠٨ هـ، وكان علامة عصره في التاريخ والحديث والوعظ، كثير التصانيف، له نحو ثلاثمائة مصنف، توفي في بغداد سنة ٥٩٧هـ. تصانيفه جمعت التفسير والحديث والتاريخ والسير والعربية والطب والوعظ... منها: زاد المسير في علم التفسير، وتلقيح فهوم أهل الأثر في مختصر السير والأخبار، وتلبيس إبليس، والأذكياء، وغريب الحديث ... إلخ. (الأعلام للزركلي ٣/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) ابن الجوزي: الأذكياء، ص ١٠-١٥، وذم الهوى، ص ٨٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و- النسفي[١]:

يُعرِّف العقل بقوله: « هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات، وهو المعني بقولهم: غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات، وقيل: هو جوهر تدرك به الغائبات والمحسوسات بالمشاهدة »[٢].

ويقسم النسفي العقل إلى غريزي واستدلالي، وهو في هذا متأثر بالمحاسبي أيضاً.

والعقول عنده متفاوتة بحسب الفطرة:

- منه العقل البديهي، كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء، وهذا العلم لا يحتاج إلى دليل أو تفكير.
- ومنه العقل الاستدلالي: كالعلم بأن الدخان علامة على وجود النار.
- ومنه العقل الاكتسابي، وهو أعم من الاستدلالي، وهو يقوم على الاختبار بالحواس.
- ومنه يجيء بالإلهام، وهو ما يلقى في القلب مباشرة.

---

(١) محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل برهان الدين النسفي، ولد سنة ٦٠٠ هـ، وسكن بغداد، وتوفي فيها سنة ٦٨٧هـ. عالم بالتفسير والأصول والكلام، من كتبه: الواضح في تلخيص تفسير القرآن للرازي، والمقدمة النسفية، وتسمى ''المقدمة البرهانية''، في الخلاف، وشرح الأسماء الحسنى.

(٢) العقائد النسفية للنسفي، ص ٤٦- ٦١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ز- أبو بكر الرازي[١]:

قال في كتابه « الطب الروحاني » معدداً منافع العقل: « إن الباري عزَّ اسمه إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه، وأنه أعظم نعم الله عندنا، وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا ...

فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسُسناها، وذلَّلناها وصرفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها، وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا، ويحسن ويطيب به عيشنا، ونصل به إلى بُغيتنا ومرادنا، فإنا بالعقل نلنا صناعة الطب الذي فيه الكثير من مصالح أجسادنا، وسائر الصناعات العائدة علينا، النافعة لنا، وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة المستورة عنا، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك، وعظم الشمس، والقمر وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها، وبه وصلنا إلى معرفة الباري ﷻ الذي هو أعظم ما استدركنا، وأنفع ما أصبنا.

وبالجملة فإنه الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين »[٢].

---

(١) محمد بن زكريا الرازي، أبو بكر، فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب وفي الكيمياء، ولد في الري سنة ٢٥١هـ (٨٦٥م)، وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين، وتوفي فيها سنة ٣١٣هـ (٩٢٥م). من مؤلفاته: الحاوي في صناعة الطب، وهو أجلُّ كتبه، ترجم إلى اللاتينية... وله تصانيف سمى ابن أبي أصيبعة منها ٢٣٢ كتاباً.

(٢) انظر: مقام العقل عند العرب قدري حافظ طوقان ، ص ١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هـذه أقوال بعض العلماء في العقل ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر ... وبخاصـة أولـئك الذين تأثر بهم ابن تيمية – رحمه الله – في معاني العقل .. وذكـر آراءهـم. وكمـا رأينـا أن رأي الحـارث المحاسبي – رحمه الله – هو الأصـل في آراء هـؤلاء العـلماء وكـلهم قـد تأثـر بـه، وكـتابه ((مائية العقل ومعناه، واختلاف الناس فيه)) كان المرجع في عصره في هذا المجال...

إلا أن ابـن تيمية – رحمه الله – يدرس العقل دراسة علمية دقيقة جداً ... مبـتدئاً بـرد أقـوال الفلاسـفة اليونانـية في العقـل أمثال أرسطو وتلاميذ الفلسـفة اليونانـية مـن المسـلمين أمـثال الفـارابي والكندي ... ومُبيناً مكانة العقل في الإسلام وصلته بالنقل أو بالشريعة بعامة ... فضلاً عن نقد المنطق الأرسـطي الـذي هـو نتاج الحركة العقلية عند الإنسان... وهذا ما سندرسه بشيء من التفصيل في دراستنا الميسرة هذه.

رابعاً: العقل في القرآن الكريم:

١ – وُروده بصيغة فعل العقل:

ورد فعـل العقـل في القـرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعاً، ولم يرد بشـكل مصـدر مطلقـاً، وكل أفعال العقل تدل على عملية الإدراك والتفكير والفهم لدى الإنسان، ويمكن حصر هذه الأفعال بما يلي:

أ) ورد فعـل العقـل بصيغة ((تعقلون)) في أربع وعشرين موضعاً في القرآن، مـنها قـولـه تعـالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

ب) وورد بصيغة ((يعقلون)) في اثنين وعشرين موضعاً .. منها قوله تعالى:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون﴾ [البقرة: ١٧١] .

ج) وورد بصيغة ((يعقلها)) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون ﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

د) وورد بصيغة ((نعقل)) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِير ﴾ [الملك: ١٠] .

ه - وورد بصيغة ((عقلوه)) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون ﴾ [البقرة: ٧٥] .

٢- وُروده بلفظ الألباب (ج لُب):

وقد وردت كلمة ((الألباب)) في القرآن في صفة أصحاب العقول ست عشرة مرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَاب﴾ [البقرة: ١٧٩] .

وقوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَاب﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

٣- وروده بلفظ النُّهى الدال على العقل:

وقد وردت أيضاً كلمة ((النهى)) في القرآن لتدل على أصحاب العقول أيضاً، مرتين في القرآن، وهما:

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٤].

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه: ١٢٨] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- وروده بلفظ القلب:

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ ((القلب))[1] ليدل على العقل أيضاً في إحدى دلالاته . قال تعالى:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد﴾ [ق: ٣٧].

٥- وورد بلفظ الحِجْر:

ورد بلفظ ((الحِجْر)) ليدل على العقل مرة واحدة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر:٥].

٦- وُروده بلفظ الفكر الذي هو نتاج العقل:

أ- ورد بصيغة ((فكّر)) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر: ١٨-١٩].

ب - وورد بصيغة ((تتفكروا)) مرة واحدة أيضاً في قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ [سبأ: ٤١].

جـ- وورد بصيغة ((يتفكرون)) ٣ مرات، منها قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

---

(١) ورد لفظ القلب في القرآن الكريم في ١٤٤ موضعاً .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون ﴾ [البقرة: ٢١٩].

د- وورد بصيغة ((يتفكروا)) مرتين، منها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [الروم: ٨].

هـ- وورد بصيغة ((يتفكرون)) إحدى عشرة مرة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

خامساً: العقل في السنة:

وردت كلمة العقل في السنة عشرات المرات، وقد حاولت تتبع ما ورد في كتب السنة عن طريق الحاسوب ... لكلمة (عقل) فقط دون اشتقاقها، فوجدت العشرات، وأنا هنا أذكر بعضاً منها:

١- في صحيح البخاري (رقم ٢٩٣، و١٣٦٩):

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمرَّ على النساء فقال: (يا معشر النساء، تصدَّقن، فإني أريتُكنّ أكثر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفُرْن العشيرَ، ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكُنَّ، قلن: وما نُقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تَصُمْ؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- في صحيح مسلم في المقدمة:

عن أبي عقيل صاحب بُهَيَّةَ أن أبناء لعبد الله بن عمر سألوه عن شيء لم يكن عنده فيه علم. فقال له يحيى بن سعيد: والله إني لأعظِمُ أن يكون مثلك، وأنت ابن إمامي الهدى - يعني عمر وابن عمر - تُسأل عن أمر ليس عندك فيه علم. فقال: أعظم من ذلك، والله عند الله، وعند من عقل عن الله، أن أقول بغير علم. أو أخبر عن غير ثقة.

٣- في سنن الترمذي (رقم ٢٧٨٧):

عن جَابِرَ بنَ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيّ ﷺ قالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَاً، فَقَالَ: (إِنّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنّ جِبْرَيلَ عِنْدَ رَأسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلِي، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اضْرِبْ لَهُ مَثَلاً، فَقَالَ: اسْمَعْ سَمِعَت أُذُنُكَ، وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ، إِنّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمّتِكَ، كَمَثَلِ مَلِكٍ اتّخَذَ دَاراً، ثُمّ بَنَى فِيهَا بَيْتَاً، ثُمّ جَعَلَ فِيهَا مَائِدَةً، ثُمّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النّاسَ إِلَى طَعَامِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرّسُولَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ، فَالله هُوَ المَلِكُ، وَالدّارُ الإِسْلاَمُ، وَالْبَيْتُ الْجَنَةُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمّدُ رَسُولٌ، فمن أَجَابَكَ دَخَلَ الإِسْلاَمَ، وَمَنْ دَخَلَ الإِسْلاَمَ دَخَلَ الْجَنّةَ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنّةَ أَكَلَ مَا فِيهَا).

٤- في سنن النسائي (رقم ٣٢٧٠):

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنّ سَالِما يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَقَدْ عَقَلَ مَا يَعْقِلُ الرّجَالُ، وَعَلِمَ مَا يَعْلَمُ الرّجَالُ قَالَ:(أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ). فَمَكَثْتُ حَوْلاً لاَ أُحَدّثُ بِهِ، وَلَقِيتُ الْقَاسِمَ فَقَالَ: حَدّثْ بِهِ وَلاَ تَهَابُهُ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- في سنن أبي داود (رقم ٣٣٩٥):

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه؛ أن رسول اللّه ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: (أعُوذُ بِكَلِماتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّياطِينِ وأنْ يَحْضُرُونِ). وكان عبد اللّه بن عمرو يعلمهنّ مَنْ عقل من بنيه، ومَنْ لم يعقل كتبه فعلقه عليه.

٦- في سنن ابن ماجه (رقم ٤٢٠٨):

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حَسَب كحُسن الخُلق).

٧- في مسند أحمد (رقم ٢٢٥٧):

في الحديث في مسند بني هاشم قول ابن عباس رضي الله عنهما: (إنما عقل من أمر رسول الله ﷺ آخره).

- وفي مسند أحمد أيضاً (رقم ٢٣٢٨٣):

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له).

هذا مما ورد في السنة بلفظ العقل الصريح، أما ما ورد بلفظ البصر،والقلب، والفقه، والفكر، واللب، فهو كثير جداً، وكل هذه الألفاظ فضلاً عن العقل بلفظه الصريح، تؤكد أن العقل قوة الإدراك والفهم والفقه والتفكير السليم... وكل هذه المعاني العظيمة ذكرها ابن تيمية – رحمه الله – خلال دراسته للعقل الإنساني، وخلال دراسته في العقيدة والفقه والسلوك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأخلاق والشريعة الإسلامية بعامة.

سادسا: الخلاصة

ونخلص في الفصل الأول إلى أن العقل لغوياً ونفسياً قوة في الإنسان الناطق وهو أساس الفهم والإدراك، وهو ليس جوهراً قائماً بنفسه كما يقول أرسطو (ومن تتلمذ عليه من الفلاسفة المسلمين)، وما قاله أرسطو من تعدد العقول هو أوهام لا حقيقة لها، ويؤكد هذه الحقيقة جميع العلماء المسلمين الذين سبقوا ابن تيمية مثل الحارث المحاسبي والغزالي والجويني ... ويأتي ابن تيمية ليدرس العقل دراسة علميه دقيقة ويبين صلته بالنقل وينقد المنطق الأرسطي ... وهذا ما نبسطه في الفصول الآتية بإذن الله...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

العقل عند الإمام ابن تيمية

أولاً: الإدراك الحسي والعقلي.

ثانياً: معاني العقل وصلته بالجسم.

ثالثاً: العقل والشرع.

رابعاً: الخلاصة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

العقل عند الإمام ابن تيمية

أولاً: الإدراك الحسي والعقلي

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وزَوَّده بأعضاء يدرك بها نفسه أولاً ثم العالم المحيط به وما يطرأ عليه من متغيرات وحوادث .

وهذه الأعضاء هي الأذن والعين والأنف واللسان والجلد، وهي آلات الحواس الخمسة في الإنسان: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، هذه الحواس التي ندرك بها العالم الخارجي تسمى الحواس الظاهرة .

ولكن هناك حواس ندرك بها ما يحدث في داخلنا من متغيرات .. مثل الجوع والعطش والشبع والري والألم والفرح والحزن، وهذه الحواس تسمى الحواس الباطنة ...

الإدراك الحسي يشمل الحواس الظاهرة والحواس الباطنة .. وهو لا يخص الإنسان وحده، بل يشترك الحيوان معه فيه، ولكن الله عز وجل ميز الإنسان بإدراك آخر فَضَّله به على باقي الكائنات الحية، يعرف به المعاني الكلية مثل الحق والباطل، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة...

هذا الإدراك هو الإدراك العقلي ..

فبالإدراك الحسي وبالإدراك العقلي يتعرف الإنسان على نفسه أولاً، ثم على العالم الذي يحيط به، لكي يستطيع أن يعيش على أنه إنسان مكلف في هذه الحياة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبالحواس والعقل يدرك الإنسان ويتعلم ويزداد علماً ومعرفة، إلا أنه قد يصيب ويخطئ، ويسير ويتعثر، ولا يستطيع التوصل إلى المعرفة اليقينية في الأمور البعيدة جداً عن حدود حواسه أو عقله .. مثل أمور الغيب؛ وهنا يشعر الإنسان بحاجة إلى من يرشده ويهديه إلى الوصول للمعرفة الحقة .. فجاءت رحمة الله للبشر بإرسال الرسل لهدايتهم إلى طريق الحق والخير والصلاح: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد تعرض ابن تيمية - رحمه الله - للإدراك الحسي والإدراك العقلي وناقشهما بشكل متميز أصيل عما سبقه من المفكرين والفلاسفة .. فبدأ بدراسة الحواس التي هي وسيلة الإدراك الحسي، ثم انتقل إلى الإدراك العقلي.

وهذا ما نلمسه في كتبه القيمة مثل: « درء تعارض العقل والنقل »، و« الفتاوى »، و« الرد على المنطقيين ».

الإدراك الحسي:

١- الحواس الظاهرة:

يبين ابن تيمية الحواس ووظيفة كل حاسة وما تتميز به كل حاسة عن الأخرى بما تقوم به من إدراك حسي خاص بها، فيقول: « أما الشم والذوق واللمس فحس محض لا يحصل إلا بمباشرة الحيوان لذلك، فالثلاثة كالجنس الواحد . فالجلود إن خصت باللمس لم يدخل فيها الشم والذوق، وإن قيل بل يدخل فيها عمَّت الجميع . وإنما ميزت عن اللمس لاختصاصها ببعض الأعضاء وبنوع من المدركات وهو الطعوم والروائح، فإن سائر البدن لا يميز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين طعم وطعم، وريح وريح، ولكنه يميز بين الحار والبارد، واللين والصلب، والناعم والخشن، ويميز بين ما يلتذ به وبين ما يتألم به »[١].

والذي أشار إليه ابن تيمية - رحمه الله - في آخر قوله - المذكور آنفاً - هو خاصية الحواس الجلدية، التي بينت الدراسات التشريحية الحديثة ماهيتها وتنوعها وتخصصاتها، فقالت بوجود خلايا حسية كثيرة م ختلفة الشكل في بشرة الإنسان، وهي متخصصة لاستقبال أنواع معينة من الإحساسات، فبعضها يحس بالحرارة وبعضها يحس بالبرودة وبعضها يحس باللمس والضغط، وبعضها يحس بالألم، وقد أشار القرآن إلى وجود أعضاء الحس الخاصة بالإحساس بالألم في بشرة الإنسان وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

فالآية الكريمة تشير إلى وجود الخلايا الحسية المتخصصة في الإحساس بالألم في الجلد. كما بينت الدراسات التشريحية الحديثة.فإذا احترق الجلد وزالت هذه الخلايا انتفى الإحساس بالألم، ولذلك يبدل الله تعالى جلود الكافرين جلوداً جديدة بأخرى وبخلايا حسية جديدة كي يستمر إحساسهم بالألم .

وأشار القرآن أيضاً إلى حاسة اللمس كأداة يستعين بها الإنسان لتحسس الأشياء للتعرف عليها: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ

(١) الرد على المنطقيين ص ٩٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]»[١].

ويفاضل ابن تيمية بين الحواس من حيث تحصيل العلم، فيفضل بعض الحواس على الأخرى، مثل السمع والبصر فهو يفضلهما على الشم والذوق واللمس في نيل العلم والمعرفة، بعد أن يضيف إليهما القلب الذي هو آلة الإدراك العقلي عند الإنسان . مبيناً أيضاً الحقيقة القرآنية من أن الإنسان يولد لا يعلم شيئاً ثم تبدأ حواسه في أداء وظائفها . ويبدأ يدرك الطفل ما حوله من إنسان وحيوان ونبات ..

يقول ابن تيمية بعد أن ذكر قيمة السمع والبصر والقلب[٢] :

« ثم هذه الأعضاء الثلاثة هي أمهات ما ينال به العلم ويدرك . أعني العلم الذي يمتاز به البشر عن سائر الحيوانات دون ما يشاركها فيه من الشم والذوق واللمس . وهنا يدرك به ما يحب ويكره وما يميز به بين من يحسن إليه ومن يسيء إليه . قال تعالى: ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

---

(١) القرآن وعلم النفس، د . محمد عثمان الخاني، ص ١٢٠-١٢١، دار الشروق – القاهرة – بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م .

(٢) سنذكر معاني القلب عند ابن تيمية عند حديثنا عن الإدراك العقلي بإذن الله .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى مبيناً وظيفة كل عضو من هذه الأعضاء :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ "[1] [الأعراف: ١٧٩].

ويبين ابن تيمية وظيفة كل حاسة من حاستي السمع والبصر، وقيمة كل حاسة في تحصيل المعرفة، ودرجة كل حاسة بالنسبة للعقل .

مبيناً أن حاستي السمع والبصر واسطتان فقط لنقل المحسوسات من صور وأمور مادية وكلام ... أي أن وظيفتها هي الإدراك الحسي فقط .

أما القلب (أو العقل) فهو الذي يقوم بعملية الإدراك العقلي والمعرفة عامة، عن طريقهما، ولا يستغنى عنهما في هذا المجال .

ولا يفهم من القول بالإدراك الحسي والإدراك العقلي بأن قوى الإدراك مُجَزَّأة ومنفصلة بعضها عن بعض، بل إن عملية الإدراك واحدة ومتكاملة تبدأ بالإدراك الحسي وتنتهي بالإدراك العقلي، لذلك فإن ابن تيمية يؤكد على هذا المعنى بتشبيه وظيفة الحواس بوظيفة الحجبة الذين يقومون بتوصيل الأخبار من الحواس إلى القلب . والقلب في النهاية هو الذي يقوم بعملية الإدراك العقلي وفهم الأمور الكلية والمعقولات غير الحسية .

وهذا الفهم لعملية الإدراك هو ما أكده علماء النفس قديماً وحديثاً .

يقول ابن تيمية: " إن العين تقصر عن القلب والأذن وتفارقهما في شيء، وهو أنها إنما يرى صاحبها بها الأشياء الحاضرة والأمور الجسمانية

---

(١) فتاوى الرياض ٩/ ٣١٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مثل الصور والأشخاص .

فأما القلب والأذن فيعلم الإنسان بهما ما غاب عنه، ولا مجال للبصر فيه من الأشياء الروحانية والمعلومات المعنوية . ثم بعد ذلك يفترقان: فالقلب يعقل الأشياء بنفسه إذا كان العلم غذاءه وخاصيته، أما الأذن فإنها تحمل القول والكلام، فإذا وصل ذلك إلى القلب أخذ ما فيه من العلم، فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب، وإنما سائر الأعضاء حجبة له توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه »[1] .

وابن تيمية - رحمه الله - يركز على حاستي السمع والبصر ويبين أهميتها للإدراك الحسي ثم العقلي بعد ذلك .. لأن القرآن الكريم اكتفى بذكر هاتين الأداتين للإحساس ؛ وتفضيل ابن تيمية السمع على البصر لأن الله تعالى يذكر السمع قبل الإبصار في كثير من الآيات، وذلك لعدة اعتبارات :

الأول: أن السمع أهم من البصر في عملية الإدراك الحسي والتعلم، وتحصيل العلوم، فمن الممكن للإنسان إذا فقد بصره أن يتعلم اللغة ويحصل العلوم، ولكنه إذا فقد سمعه تعذر عليه تعلم اللغة وتحصيل العلوم، ومما يدل على أهمية السمع في الإدراك وفي تعلم اللغة - وهي من أهم أدوات التفكير وتحصيل العلوم - أن القرآن ذكره وحده مع العقل للدلالة على العلاقة الوثيقة بينه وبين العقل . قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

---

(١) فتاوى الرياض ٩/ ٣١٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي كثير من آيات القرآن، يذكر السمع بمعنى الفهم والتدبر والتعقل، مؤكداً هذه العلاقة الوثيقة بين السمع والعقل .

قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [النور: ٥١].

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا﴾ [الجن: ١٣].

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِين﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

الثانية: أن حاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة حيث يستطيع الوليد أن يسمع الأصوات عقب ولادته مباشرة، بينما يحتاج الوليد إلى فترة من الزمن لكي يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح، كما بينت الأبحاث التشريحية الحديثة .

الثالثة: أن حاسة السمع تؤدي وظيفتها باستمرار دون توقف، بينما حاسة البصر قد تتوقف عن أداء وظيفتها إذا أغمض الإنسان عينيه، أو إذا نام . ويستطيع الصوت الشديد أن يوقظ الإنسان من نومه، ولذلك فقد ذكر الله تعالى في قصة أهل الكهف أنه ضرب على آذانهم حتى يستغرقوا في النوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا يوقظهم صوت .

قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١].

الرابعة: أن حاسة السمع تسمع في كل الأوقات سواء في الضوء أو في الظلام بينما حاسة البصر لا ترى إلا في الضوء. (١)

والإحساس بالحواس الظاهرة نوعان :

أ – الإحساس المباشر، أو بلا واسطة كما يسميه ابن تيمية كإحساسك بالشيء مباشرة، مثل رؤيتك للشمس والقمر مباشرة .

ب – الإحساس غير المباشر أو بواسطة: مثل رؤيتك للأجسام عن طريق المرآة أو عن طريق ارتسام صورتها في الماء .

يقول ابن تيمية: ((والإحساس نوعان: نوع بلا واسطة كالإحساس بنفس الشمس والقمر والكواكب . وإحساس بواسطة كالإحساس بالشمس والقمر والكواكب في مرآة أو ماء أو نحو ذلك))(٢) .

٢ – الحواس الباطنة :

الإحساس الباطن هو إدراك الأمور الباطنة كما رأينا آنفاً ..

---

(١) ارجع إلى ((القرآن وعلم النفس)) للدكتور محمد عثمان نجاتي ص ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ . وكذلك ((معجزة القرآن)) للشيخ محمد متولي الشعراوي، ١/ ٩٥- ٩٨ القاهرة، كتاب اليوم.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٠ و ٤١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن ما هي الحواس التي تدرك الأمور الباطنة ؟ وهل وجودها ضروري لعملية الإدراك ؟

_ أما الإجابة عن السؤال الأول، فإن ابن تيمية أورد هذه الحواس في كتابه ((درء تعارض العقل والنقل)) وكذلك في فتاويه، وذكر من الحواس الباطنة: الحس المشترك والخيال والوهم والذاكرة أو الحافظة .

وهذه الحواس ذكرها من قبلُ أرسطو [١] اليوناني وتابعه بها الفارابي [٢] وذكرها بعد ذلك ابن سينا [٣] والغزالي بشكل مفصل ودقيق .

وذِكْرُ ابن تيمية لها ليس لذاتها، أو لمجرد معرفتها كما هو دأب الفلاسفة، إنما ذكرها، ليوظفها في تأكيد الإيمان بالله تعالى والرد على الملاحدة والدهريين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وغيرهم ممن تنكبوا طريق

---

(١) أرسطو: فيلسوف يوناني، عاش بين عامي (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) أثّر كثيراً بمن يسمون بفلاسفة العرب. من مؤلفاته: المقولات، والجدل، والخطابة، والنفس ..

(٢) الفارابي: (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ) ولد سنة ٢٦٠ هـ، وتوفي سنة ٣٣٩هـ في دمشق، وأصله من فاراب، درس في حران وبغداد وأقام في بلاط سيف الدولة بحلب، كان متضلعاً بالمنطق والفلسفة والموسيقى ولقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو (المعلم الأول) من مؤلفاته المشهورة: آراء أهل المدينة الفاضلة، ورسالة في العقل، والتوطئة في المنطق، وإحصاء العلوم .

(٣) ابن سينا: (أبو علي الحسين بن عبد الله) فيلسوف وطبيب عرف بالشيخ الرئيس، ولد في أفشنة قرب بخارى سنة ٣٧٠هـ، وتوفي بهمذان سنة ٤٢٨هـ، درس فلسفة أرسطو وتأثر بالأفلاطونية الحديثة التي تزعمها (أفلوطين) .. وقال بالفيض الإلهي .. الذي أثر في الصوفية بعد ذلك.. نشأ إسماعيلياً كما ذكر هو في ترجمته الذاتية .. من مؤلفاته: القانون في الطب _ والإشارات والتنبيهات .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإيمان الصحيح. وأضاف إلى هذه الحواس؛ الإحساس الفطري بالله في قلوب الناس جميعاً . يقول ابن تيمية من خلال مناقشته لبعض المذاهب حول طرق إثبات وجود الله ﷻ: ((وأما الطريق الثاني وهو إدراك الحواس، فلا ريب أنهم لا يقولون أنهم يدركونه تعالى بالحس الظاهر، بل يقولون: إن الحس نوعان: ظاهر وباطن، والإنسان يحس بباطنه الأمور الباطنة كالجوع والعطش والشبع والري والفرح والحزن واللذة والألم ونحو ذلك من أحوال النفس .

فهكذا يحسون ما في بواطنهم من محبته سبحانه وتعظيمه والذل له والافتقار إليه مما اضطروا إليه وفطروا عليه، ويحسون أيضاً ما يحصل في بواطنهم من المعرفة المتضمنة لمثله الأعلى في قلوبهم)) [(١)] .

ويؤكد ابن تيمية الإحساس الفطري الباطن ويستشهد على ذلك في تجلّي الحقائق في القلب الذي يكون مستعداً لذلك بالعبادة والإخلاص لله والتقوى [(٢)].

يقول ابن تيمية: ((والقلوب مفطورة على أن يتجلّى بها من الحقائق ما هي مستعدة لتجليها فيها، فإذا تجلى فيها شيء أحست به إحساساً باطناً بواسطة تجليه فيها)).

وأيضاً، فنفس مشاهدة القلوب لنفسه تبارك وتعالى أمر ممكن وإن كان ذلك قد يُقال أنه مختص ببعض الخلق، كما قال أبو ذر وابن عباس وغيرهما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٠و٤١ . وانظر أيضاً ٦/ ١٠٨ .

(٢) انظر كلام ابن تيمية في الإلهام الذي سيرد في طرق الإدراك العقلي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من السلف: ((إن نبينا ﷺ رأى ربه بفؤاده)) [١].

أما عن ضرورة وجود هذه الحواس لعملية الإدراك، فيؤكد ابن تيمية أن الحواس الباطنة ضرورية لإدراك الصور والمعاني الجزئية، وإن هذا الإدراك يكتمل بالإدراك العقلي كما سنجد ذلك حينما يتحدث ابن تيمية عن الحواس الباطنة .

ومن الحواس الباطنة التي يذكرها ابن تيمية - رحمه الله -:

أ- الخيال والوهم:

يعرض ابن تيمية رأي ابن سينا والفلاسفة الذين سبقوه في معنى الخيال والوهم، ويرى أنهم يخلطون بين قوى الخيال والوهم والعقل .

فهم يُعرِّفون الخيال بأنه تصور الأعيان المحسوسة في الباطن .

والوهم: بأنه تصور المعاني غير المحسوسة في تلك الأعيان، مثل: إدراك الشاة معنى الذئب غير المحسوس .

وكلاهما تصور معين جزئي والعقل هو الحكم العام الكلي الذي لا يختص بعين مُعيَّنة ولا معنى مُعيَّن)) [٢] .

ثم يبرهن على أن لفظ الوهم والخيال كثيراً ما يطلق على تصور مالا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٠-٤١ .

(٢) المرجع السابق ٦/ ٢٣، وكذلك انظر الإرشادات والتنبيهات لابن سينا، تحقيق سليمان دنيا - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠م ٢ / ٣٤٥-٣٥٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقيقة له في الخارج، بل هذا المعنى هو المعروف من لغة العرب[١] ولم ينقل أنها تُستعمل بمعنى اليقين، وهم يستعملونها (أي ابن سينا والفلاسفة) في تصور يقيني، وهو تصور المعاني التي ليست بمحسوسة ولا ريب في ثبوتها كعداوة الذئب للشاة . فاصطلاحهم مضاد للمعروف في لغة العرب، بل في سائر اللغات.

وإذا كان كذلك، فالإدراك الصحيح الذي يسمونه هم توهماً وتخيلاً هو نوع من التصور والشعور والمعرفة[٢] .

ويُقوِّم ابن تيمية الخيال والوهم من حيث صدقهما أو كذبهما أو مطابقتهما للحق أو للباطل، لأنه ليس كل تخيل صادق وحق، بل منه ما كان صادقاً ومنه ما كان كاذباً . يقول: ((الوهم والخيال يراد به ما كان مطابقاً وما كان مخالفاً . فأما المطابق مثل توهم الإنسان لمن هو عدوه أنه عدوه . وتخيل الإنسان بصورة ما رآه في نفسه بعد مغيبه، فهذا الوهم والخيال حق وقضاياه صادقة . وأما غير المطابق فمثل أن يتخيل الإنسان أن في الخارج مالا وجود له في الخارج، وتوهمه ذلك مثل أن يتوهم فيمن يحبه أنه يبغضه ومثل أن يتوهم الإنسان أن الناس يحبونه ويعظمونه والأمر بالعكس)) [٣] .

والخيال أو الصورة العلمية من النوع المطابق عند ابن تيمية، ولكن ليس تطابقاً كلياً . إذ لا تساوي الصورة الواقع من حيث الحد والحقيقة،

---

(١) انظر الصحاح للجوهري . مادة: وهم .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٤٤ .

(٣) المرجع السابق ٦/ ١٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكنها تشبهه من حيث الشكل .

يقول: ((حصول الصورة العلمية في العالم كحصول الصورة المرئية في المرآة أو في الماء ونحو ذلك، ومعلوم أنه لم تحل في المرآة والماء نفس الشمس والوجه ولا ما يساويهما في الحد والحقيقة، ولكن صورة تحكيهما . وليست هذه الصورة كالصورة التي تحصل في الشمع والطين من طبع الخاتم والرسم، فإن تلك عَرَض والشمس والوجه جسم وكذلك العلم الذي في القلب، والمعلوم القائم بنفسه كالسماء والأرض جواهر، فليس هذا مثل هذا)) [(١)].

ب- التصور والتفكير:

وللتصور والصورة فائدة كبيرة من حيث اكتمال العمل في الخارج، فالتصور يسبق القول والعمل عند ابن تيمية يقول: ((فإن الإنسان يجد في نفسه أنه إذا أراد أن تصدر عنه صورة خارجية من قول أو فعل، فإنه يتصور في ذهنه ما يريد أن يظهره قبل أن يظهره، ويميز بين الصورة التي في ذهنه وبين ما يظهره بقوله أو فعله)) [(٢)] .

ويقول أيضاً مبيناً أن الإنسان العاقل كالمهندس الذي يخطط صورة البناء قبل أن يبنيه، ثم يحقق هذه الصورة في الواقع: ((العاقل الفاعل فعلاً باختياره يتصور ما يريد أن يفعله في نفسه، ثم يوجده في الخارج، فتلك الصورة الموجودة في الخارج بفعله ليست هي الصورة المعقولة بذهنه، كمن أراد أن يصنع شكلاً مثلثاً أو مربعاً أو يصنف خطبة أو يبني داراً أو يغرس

---

(١) المرجع السابق ١٠/ ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ١٠/ ٥٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شجراً أو يسافر إلى مدينة فإنه يتصور ما يريده ابتداء، فتكون له صورة عقلية في نفسه قبل صورته التي توجد في الخارج)) [١]

جـ-الصورة والعاطفة السائدة :

وللصورة جانب سلبي غير الجانب الإيجابي في العمل الإرادي، هذا الجانب هو ما يسميه علم النفس الحديث بـ ((العاطفة السائدة)) وفيه تستولي الصورة على الشخص فلا تفارقه ولا يستطيع إبعادها وصرفها عنه، كما يستولي الأسد على الفريسة، فلا تستطيع الفريسة الحراك بين يديه وهذه الصورة المسيطرة على الشخص نجدها لدى الذين يتبعون هواهم، حيث يبقى أحدهم أسيراً لهواه لا يستطيع الإفلات منه .

يقول ابن تيمية: ((وصورة المحبوب تستولي على المحب أحياناً حتى لا يرى غيرها، ولا يسمع غير كلامها فتبقى نفسه مشتغلة بها)).

ويقول: ((والمقصود أن المتبعين لشهواتهم من الصور والطعام والشراب واللباس يستولي على قلب أحدهم ما يشتهيه حتى يقهره ويملكه ويبقى أسير ما يهواه، يصرفه كيف تصرف ذلك المطلوب، ولهذا قال بعض السلف: ما أنا على الشاب الناسك بأخوف مني عليه من سبع ضار يثب عليه صبي حدث يجلس عليه .

وذلك أن النفس الصافية التي فيها رقة الرياضة، ولم تنجذب إلى محبة الله وعبادته انجذاباً تاماً ولا قام بها من خشية الله التامة ما يصرفها عن هواها

---

(١) المرجع السابق ١٠/ ٥١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حتى صارت تحت صورة من الصور، واستولت تلك الصورة عليها كما يستولي السبع على ما يفترسه، فالسبع يأخذ فريسته بالقهر ولا تقدر الفريسة على الامتناع منه، كذلك ما يمثله الإنسان في قلبه من الصور المحبوبة تبتلع قلبه وتقهره فلا يقدر قلبه على الامتناع منه، فيبقى قلبه مستغرقاً في تلك الصورة أعظم من استغراق الفريسة في جوف الأسد لأن المحبوب المراد هو غاية النفس، له عليها سلطان قاهر)) [1].

الإدراك العقلي:

يميز ابن تيمية بين الإدراك الحسي والإدراك العقلي . فالإدراك الحسي: إدراك الجزئيات المادية بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة وما يتبعها من قوة التخيل والتصور في الإنسان .. مثل أن أدرك شكل طاولة ونوعها ولونها وغير ذلك من صفاتها المادية .

أما إدراك المفاهيم والحقائق العامة والمعاني الكلية، كمفهوم الحياة والنطق وغيرها مما لا يختص بإنسان أو حيوان معين . فهو من عمل العقل الذي يجرد المحسوسات عن خصوصياتها ليكوّن المفاهيم العامة أو المعاني الكلية .

يقول ابن تيمية: ((إن الحس الباطن والظاهر يفيد تصور الحقيقة تصوراً مطلقاً، أما عمومها وخصوصها فهو من حكم العقل، فإن القلب يعقل معنى من هذا المعين ومعنى يماثله من هذا المعين، فيصير في القلب معنى عاماً مشتركاً وذلك هو عقله – أي عقله للمعاني الكلية – فإذا عقل

(١) فتاوى الرياض ١٠/ ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معنى الحيوانية الذي يكون في هذا الحيوان وهذا الحيوان، ومعنى الناطق الذي يكون في هذا الإنسان وهذا الإنسان وهو مختص به، عَقَل أن في نوع الإنسان معنى يكون نظيره في الحيوان، ومعنى ليس له نظير في الحيوان »[1].

فالعقل إذاً هو آلة الإدراك للمفاهيم العامة، والأمور الكلية البعيدة عن إدراك الحواس في الإنسان.

فما هو العقل ؟ وما هي صلته بالجسم ؟ وما طبيعة عمله ؟.

هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة ... يجيب عليها ابن تيمية – رحمه الله – في الفقرات الآتية:

ثانياً: معاني العقل وصلته بالجسم:

إن ابن تيمية – رحمه الله – في دراسته للعقل الإنساني لم يخرج عن مصادر المعرفة التي اعتمدها في سيره العلمي، ومن أهم مصادر المعرفة لديه هو القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف الصالح .. لذلك نجده في كل أقواله وآرائه وفتاويه وحواره مع غيره من المفكرين والعلماء الذين سبقوه، لا يخرج عن هذه المصادر ..

بينما نجد من سموا بفلاسفة الإسلام، أمثال الكندي والفارابي وابن سينا، جميعاً أخذوا بآراء الفلاسفة اليونانيين في ماهية العقل والنفس لدى الإنسان .

لذلك نجد ابن تيمية – رحمه الله – عندما يتحدث عن العقل، يذكر

---

(١) فتاوى الرياض ٩/ ٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رأي الأقدمين من فلاسفة اليونان، ويرده بقوة، ويعد آراءهم حدوساً بشرية قابلة للخطأ، بينما هو يعتمد على الوحي الإلهي، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

١ – معاني العقل:

ويأخذ العقل عند ابن تيمية معاني أربعة، نوجزها فيما يلي:

أ – العقل: عَرَضٌ أو صفة في الذات العاقلة .

ب – العقل: غريزة ..

جـ – العقل: علم يحصل بالغريزة ..

د – العقل: عمل بالعلم ..

أ – العقل عرض أو صفة بالذات العاقلة:

عندما يقول ابن تيمية: إن العقل عَرَض، فهو يعني أنه ليس جوهراً قائماً بنفسه كما هو في لغة الفلاسفة اليونانيين، ويدلل ابن تيمية على مفهومه هذا بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، يقول في كتابه (الرد على المنطقيين):

« فالعقل في لغة الرسول وأصحابه وأمته عرض من الأعراض، يكون مصدر عقل يعقل كما في قوله تعالى :﴿ لعلهم يعقلون ﴾ ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ ﴿ لهم قلوب لا يعقلون بها ﴾ ونحو ذلك .

« والعقل في لغة فلاسفة اليونان جوهر قائم بنفسه، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث (فيك آخذ، وبك أعطي وبك الثواب وبك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العقاب، وهذا يقال في عقل بني آدم) »[١] .

ويقول في الفتاوى: « إن العقل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل سواء سُمِّي عرضاً أو صفة، ليس هو عيناً قائمة بنفسها، سواء سُمِّي جوهراً أو جسماً أو غير ذلك، وإنما يوجد التعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه في كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون في العقل والنفس »[٢] .

ونجد ابن تيمية - رحمه الله - في تبيانه لمعنى العقل، بعيداً عن تعقيدات الفلاسفة اليونانيين ومن تبعهم من المفكرين المسلمين ؛ الذين جاؤوا بتفسيرات وتعريفات للعقل بعيدة عن الفهم، وفي حقيقتها ما هي إلا حدوس وتخيلات أو أوهام وظنون .

وهكذا نجد أن ابن تيمية رفض العقل على أنه جوهر قائم بنفسه، ورفض كل ما يقوله الفلاسفة عن العقل.

وكذلك رفض وجود العقول والنفوس على أنها مجردات ومفارقات ويؤكد أنها موجودة في الأذهان لا في الأعيان . [٣]

---

(١) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٢٧٦ . وهو جزء من حديث موضوع سيورده ابن تيمية في الصفحة الآتية.

(٢) فتاوى الرياض ٩/ ٢٧١ .

(٣) الرد على المنطقيين ص٢٧٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبهذا لا تكون الملائكة هي العقول والنفوس كما يقول المشاؤون[١] أتباع أرسطو ..

وأنكر ابن تيمية الأحاديث النبوية التي ترفع من شأن العقل إلى درجة كبيرة، ومن هذه الأحاديث الموضوعة عنده هو قول النبي ﷺ: (أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك، فيك آخذ وبك أعطي، وبك الثواب، وبك العقاب)[٢].

ويبين ابن تيمية تناقض ألفاظ الحديث، فالقول: (أول ما خلق الله العقل..).

يدل على أنه أول المخلوقات .. والقول: (ما خلقت خلقاً أكرم منك) يدل على أنه ليس أول المخلوقات .. [٣]

ويرد ابن تيمية على الفلاسفة اليونانيين أتباع أرسطو الذين قالوا بأن العقول غير مخلوقة، وليست من مادة؛ بأن الملائكة والإنس والجن كلها مخلوقات لله تعالى .. ودليل ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (خلق الله الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من

---

(١) المشاؤون: أتباع الفيلسوف اليوناني أرسطو. وسُمُّوا بالمشائين لأنهم كانوا يتحاورون في الفلسفة وهم يمشون.

(٢) ذكر الدار قطني أنه حديث موضوع وضعفه ابن حبان والعقيلي وابن الجوزي وغيرهم (ارجع إلى المرجع السابق ص ١٩٧) .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نار، وخلق آدم مما وصف لكم) [١].

وينقد ابن تيمية نظرية تعدد العقول التي قال بها أرسطو وتبعه ابن سينا الذي قسم العقل إلى عقل هيولاني، وعقل بالمَلَكَة، وعقل بالفِعل، وعقل مُستفاد، ويعدها من أوهام الفلاسفة ..

وكذلك ينقد نظرية الفيض عند ابن سينا وخلاصتها: أن الله – سبحانه – يعقل ذاته فيفيض عنه عقل واحد بالعدد، مُمكن بذاته، واجب الوجود بغيره، وعندما يعقل هذا العقل مبدأه، يفيض عنه عقل ثان هو العقل الكلي، وعندما يعقل ذاته بأنه واجب الوجود بغيره تفيض عنه نفس الفلك الأقصى، وعندما يعقل نفسه بأنه ممكن، يصدر عنه جرم ذلك الفلك ويفيض عن العقل الكلي ثالوث مؤلف من عقل ونفس وفلك، وتستمر سلسلة الفيض حتى تصل إلى العقل الأخير وهو العقل الفعال، أو عقل فلك القمر . وتحت هذا العقل يوجد عالم العناصر، عالم الجزئيات الخاضعة للكون والفساد[٢].

يقول ابن تيمية ناقداً نظرية الفيض: ((إن العقول التي تكون دائمة الفيض، يلزم أن يكون كل ما يصدر عنها بواسطة أو بغير واسطة، لازماً لهذه العقول، قديماً بقدمها . وإذا كانت قديمة أزلية لا يكون فعلها وإبداعها متوقفاً على استعداد أو قبول يحدث عن غيرها)).

---

(١) الرد على المنطقيين ص ١٩٨ وانظر أيضاً منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، د. محمد حسني الزين – المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص ١٨٦ .

(٢) انظر: رسالة في معرفة النفس الناطقة، لابن سينا، تحقيق د . أحمد فؤاد الأهواني ١٩٥٢، ص ١٨٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقـول: « إذا كان وحده هو الفاعل (يعني العقل) لذلك كله، امتنع أن يكون علة تامة أزلية مستلزمة لمعلولها، لأن ذلك يوجب أن يكون معلوله كلـه أزلـياً قديماً بقدمه وكل ما سواه معلول لـه، فيلزم أن يكون كل ما سواه قديماً أزلياً، وهذا مكابرة للحس وقول فاسد بالضرورة »[١] .

ويقـول: « إن مـا يقولـه ابن سينا وأمثاله في أن العالم صدر عن ذات بسـيطة لا يقوم بها صفة ولا فعل، وأن قوله بأن العلة الواحدة البسيطة ينتج عنها معلولات كثيرة هو قول ممتنع عن صريح العقول .

ومهمـا أثبـتوا مـن الوسـائط كـالعقول وغيرهـا، فيـبقى هـذا القـول باطلاً »[٢].

وهكذا نجد أن ابن تيمية نافياً كل أقوال الفلاسفة اليونانيين ومن تبعهم من المسلمين مؤكداً أن آراءهم ونظرياتهم موجودة في الأذهان لا في الأعيان، أي هـي عـبارة عـن ظـنون وأوهـام وحدوس ليس لها وجود في عالم الواقع المحسوس .

ومؤكـداً صـحة العقـيدة الإسـلامية البعـيدة عـن الظـنون الفاسدة .. والأوهام الفلسفية الناقصة ..

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية تحقيق - محمد رشاد سالم ١/ ١٠٥ - مكتبة دار العروبة - القاهرة: ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٢٦-١٢٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب – العقل غريزة :

أي أن العقل فطري في الإنسان وهبه الله له لكي يدرك ويتعلم ويعمل، ولم يكتسبه اكتساباً بعد الولادة .

وهذا المعنى للعقل قال به كل من الإمام أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي -رحمهما الله- . يقول ابن تيمية في كتابه: (الرد على المنطقيين)[١] وقد يراد به (أي العقل) الغريزة التي في الإنسان .

كما قال الإمام أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما: ((إن العقل غريزة))[٢].

ويقول ابن تيمية أيضاً في الفتاوى: ((وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار، كما قال أحمد ابن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما: ((العقل غريزة)) وهذه الغريزة ثابتة عن جمهور العقلاء، كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يتذوق، وفي الجلد قوة بها يلمس))[٣].

ويقول أيضاً في موضع آخر من الفتاوى مؤكداً على وظيفة العقل التي

---

(١) ص ٢٧٦ وانظر أيضاً الاستقامة لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم – ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ٢/ ١٦١ .

(٢) يقول الحارث المحاسبي في ماهية العقل (مخطوط) ص ١٠٥: ((إن العقل غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه لم يطلقها عليها العباد ولا يعرف إلا انفعالها في القلب والجوارح)).

(٣) فتاوى الرياض ٩/ ٢٨٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينال بها الإنسان العلم والعمل: ((العقل: الغريزة التي جعلها الله في العبد، التي ينال بها العلم والعمل))[١].

ج ـ العقل علم يحصل بالغريزة .

د ـ العقل عمل بالعلم .

وقد يراد بمعنى العقل أيضاً عنده ؛ العلم الضروري الذي يحصله الإنسان . ويطلق أيضاً على العمل بهذا العلم لا العمل بلا علم . يقول - رحمه الله -: ((ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول: العقل: هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا))[٢].

ويؤكد ابن تيمية هذا المعنى في موضع آخر من فتاويه، من أن العقل هو العلم الذي يعمل به لا مجرد العلم، وهو العمل بالعلم لا العمل بلا علم.

يقول: ((فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار :﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٣] [الملك: ١٠].

---

(١) المرجع السابق ٩/ ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق ٩/ ٢٨٧ . وانظر أيضاً: درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٢١ .

(٣) فتاوى الرياض ٩/ ٢٨٦ و ٢٨٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعلم بهذا الاعتبار أشرف من مسمى العقل، فإن مسمى العلم هنا، كلام الله تعالى، وكلام الله أشرف من الغريزة التي يشترك فيها المسلم والكافر[١].

ومن العلوم ما لا تدرك بالحواس، فتسمى العلوم المسموعة، وقد تسمى هذه عقلاً أيضاً . يقول ابن تيمية: « وأيضاً قد تسمى العلوم المسموعة عقلاً ؛ كما قيل:

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم تك مطبوع
كما لا تنفع العين وضوء الشمس ممنوع [٢]

ويرى ابن تيمية أن العمل بالعلم هو الأغلب في مسمى العقل عند السلف يقول: « وأما العمل بالعلم، وهو جلب ما ينفع الإنسان ودفع ما يضره بالنظر في العواقب، فهذا هو الأغلب على مسمى العقل في كلام السلف والأئمة، كالآثار المروية في فضائل العقلاء »[٣] .

٢- العقل والقلب:

جاء في لسان العرب: القَلْبُ: مُضْغةٌ من الفُؤَاد مُعَلَّقةٌ بالنِّياطِ... والجمع: أَقْلُبٌ وقُلوبٌ...وقد يعبر بالقَلْبِ عن العَقْل[٤].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ١٢٢ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ١٢٢ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ١٢٢.

(٤) انظر: لسان العرب، مادة (قلب).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجاء في تاج العروس: القلب هو الفؤاد، أو مضغة منه، وقيل: هما مترادفان، والذي جعل القَلْبَ أَخَصَّ من الفؤَاد حديث رسول الله ﷺ: (أتاكم أهل اليَمن، هم أَرَقُّ قلوباً، وأَلْيَنُ أَفْئِدَةً).

وقيل: إن القلب سُمِّي بهذا الاسم لتَقَلُّبِه جرياً على كلام القائل:

ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبه والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإنْسان أَطْوارا[1]

وفسَّر الفراء قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]. أي عقل.

وقد ورد لفظ القلب في القرآن الكريم في / ١٤٤ / مائة وأربعة وأربعين موضعاً، والعقل هو أحد دلالات القلب الواردة في القرآن ؛ قال تعالى:

﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج:٤٦] .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقيل لابن عباس ﷺ: بماذا نلت العلم ؟ قال: ((بلسان سؤول وقلب

(١) انظر: تاج العروس، مادة (قلب).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عقول)).

فهذه الآيات توحد بين القلب والعقل في عملية الفهم والإدراك، وابن تيمية يرى أن القلب في أحد معانيه هو العقل، يقول في فتاويه: ((فصلاح القلب وحقه، والذي خلق من أجله، هو أن يفعل الأشياء، لا أقول أن يعلمها فقط، فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له، بل غافلاً عنه ملغياً له، والذي يعقل الشيء هو الذي يقيده ويضبطه ويعيه ويثبته في قلبه، فيكون وقت الحاجة إليه غنياً، فيطابق عمله قوله وباطنه ظاهره، وذلك هو الذي أوتي الحكمة))[١].

ويقول أيضاً: ((فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦]))[٢].

وتعلق العقل بالقلب لا يعني أنهما واحد، حيث إن العقل قوة الإدراك والفهم في القلب ... يقول ابن تيمية: ((فإن العقل في القلب مثل البصر في العين يُراد به الإدراك تارة، ويراد به القوة التي جعلها الله في العين يحصل بها الإدراك))[٣].

والقلب يقوم بعملية الإدراك عن طريق الحواس مثل السمع والبصر

---

(١) فتاوى الرياض ٩ / ٣٠٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٣ .

(٣) الاستقامة ٢/ ١٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في عالم الشهادة، ويدرك المعقولات في عالم الغيب، مثل أوامر الله تعالى .

يقول ابن تيمية – رحمه الله –: ((والقلب يعقل هذا المشهود وهذا المسموع، فلا بد أن يعقل ما أمر الله به وأخبر، كما لا بد أن يعقل ما شهدنا وحسسنا، فيعقل الشهادة والغيب، بمعنى ضبط العلم، بجريان ذلك على وجه كلي ثابت في النفس))[1].

وهكذا فإننا نجد ابن تيمية يؤكد صلة العقل بالقلب الإنساني، ولكن كيف ينسجم هذا القول مع قوله أن العقل عرض أو غريزة في الإنسان، وهو آلة الإدراك والفهم والفقه ؟ فهذا القول الأخير يثبت أن العقل ليس شيئاً مادياً، وليس له حيز محدود في المكان ..

هنا يعرض ابن تيمية آراء متعددة عن مكان العقل وصلته بالقلب، ثم صلته بالدماغ ...

أما عن صلته بالقلب، فإن ابن تيمية لا يقصد بالقلب ((العضو الجسمي)) الذي يضخ الدم في الجسم .. وإنما يقصد به باطن الإنسان مطلقاً، يقول – رحمه الله –: ((فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه ..لكن لفظ القلب ؛ قد يراد به الغدة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن التي جوفها علقة سوداء، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا

(١) مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه – رسالة لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعت ضمن كتاب: دراسات عربية وإسلامية – ص ٤٤٨ القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٦٢م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فسدت فسد لها سائر الجسد).

((وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً فإن قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك، وقد سُمِّيَ القليب قليباً لأنه أخرج قلبه وهو باطنه))[١] .

٣- العقل والدماغ:

يضيف ابن تيمية إلى قوله بأن العقل متعلق بالقلب، قوله بأن العقل متعلق بالدماغ ويستشهد بقول بعض الأطباء في عصره ولكن ليس على سبيل التأكيد: ((قيل العقل بالدماغ كما يقول كثير من الأطباء، ويقول طائفة من أصحاب الإمام أحمد: إن أصل الفعل في الدماغ فإذا كمل انتهى إلى الدماغ))[٢].

ولكن ابن تيمية في موضع آخر من فتاويه يرى أن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب . وإن بداية الإدراك ونهايته تكون في الدماغ، يقول: ((لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب.

والعقل يراد به العلم ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء وكلا القولين

---

(١) فتاوى الرياض ٩/ ٣٠٣ .

(٢) المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

له وجه صحيح »[١].

ولا يفهم من قول ابن تيمية من أن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، وقوله: ((فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء)) أن العقل والدماغ شيء واحد، أو أنه يساوي بين العقل والدماغ كالفلاسفة الماديين ؛ الذين يرون أن العقل مادة، وأن العملية العقلية عبارة عن هزة عصبية لا أكثر ولا أقل ..

ولكنه يحدد العلاقة الدقيقة بين العقل والجسم المتمثل في الدماغ .. وهي العلاقة التي حيرت الفلاسفة والمفكرين لغموضها وعمقها، إلى أن جاء الفيلسوف الفرنسي ((برغسون)) ونقض أقوال الماديين، وبين أن العقل والدماغ ليسا شيئاً واحداً، صحيح أن الإدراك العقلي يعتمد على الدماغ . فيسمو وينحط تبعاً لسلامة هذا أو انحطاطه، ولكن كما تعتمد الملابس على المشجب، تظل عالقة ما دام المشجب مثبتاً في الحائط، وتهوي إذا ما سقط من مكانه. وبديهي أن ذلك لا يدل على أن الملابس والمشجب شيء واحد .

وبين برغسون أن الدماغ مجموعة من التصورات، أما الإدراك فهو تلك القوة التي تختار من بين تلك المجموعة ما تريد، الدماغ هو المجرى الذي يسير فيه تيار الإدراك، ولكن ليس الماء ومجراه شيئاً واحداً، وإن يكن ذلك محددا بهذا، ولا بد له أن يخضع لتعرُّجه والتوائه .

وإن قراءة متأنية لأقوال ابن تيمية وأفكار برغسون تؤكد أن ابن تيمية - رحمه الله - سبق برغسون بستة قرون [٢] في تقرير هذه الحقيقة ..

---

(١) المرجع السابق ٩/ ٣٠٤ .

(٢) ولد ابن تيمية - رحمه الله - في عام ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م) بينما ولد الفيلسوف الفرنسي =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي تدل على عبقرية ابن تيمية وعمق تفكيره في هذه المسألة الشائكة .

ثالثاً: العقل والشرع

١- فضل العقل:

نود أن نؤكد أولاً أن قيمة العقل كبيرة عند ابن تيمية - رحمه الله - فالعقل هو:

- مناط التكليف .
- وأساس صحة العبادة .
- وأساس قبول العمل عند الله جل وعلا .
- وشرط في العلم والمعرفة .
- وهو الذي أثنى عليه الله تعالى وذكره .

ومن فقد عقله فلا تكليف عليه، ولا تصح عبادته ولا يقبل عمله، ولم يذكره الله بخير أبداً .

يقول - رحمه الله -: « ومن كان مسلوب العقل أو مجنوناً، فغايته أن يكون القلم رفع عنه، فليس عليه عقاب، ولا يصح إيمانه ولا صلاته ولا صيامه، ولا شيء من أعماله، فإن الأعمال كلها لا تقبل إلا مع العقل، فمن لا يعقل لا يصح شيء من عبادته، لا فرائضه ولا نوافله، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُوْلِي النُّهَى ﴾ [طه: ١٢٨]. أي العقول .

= ١٨٥٩م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل، فأما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه، ولم يذكره بخير قط، بل قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك:١٠]))[١] .

ويقول ابن تيمية أيضاً مبيناً أن العقل على فضله، فإنه ليس شرطاً للإيمان والعلم والمعرفة المنجية من عذاب الله: ((فتبين أن العقل الذي هو مناط التكليف لا يحصل بمجرده الإيمان النافع والمعرفة المنجية من عذاب الله، وهذا العقل شرط في العلم والتكليف، لا موجب له))[٢] .

وذلك ((أن الله يعرف ويعبد بالعلم، لا بمجرد الغريزة العقلية))[٣] .

وهذا صحيح .. فالعقل الذي هو آلة الإدراك والفهم عند الإنسان موجود عند أكثر البشر، ومع ذلك لم يقدهم كلهم إلى الإيمان ،بل إن أكثرهم لم يؤمن ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

---

(١) فتاوى الرياض ١٠/ ٤٣٥، ٤٣٦ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ٩/ ٢١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما أن العقل أساس التكليف، إذ يميز به الإنسان بين النافع والضار، وبين الخير والشر، فهذا هدي الشارع الحكيم، وعلى هديه سار ابن تيمية إذ يقول: ((والعقل المشروط بالتكليف لا بد أن يكون علوماً، يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره، فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس، ولا بين أيام الأسبوع، ولا يفقه ما يقال له من الكلام، ليس بعاقل . أما من فهم الكلام، وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل))[١] .

ومادام هذا فضل العقل، ومحل تكريم الله وثنائه، ومادام أن العقل كمال الإنسان، وبه يتميز عن الحيوان البهيم .. فإن من الأولى عدم إزالته، وإن إزالته هبوط بالإنسان إلى مرتبة الحيوانية، لذلك حرم الله إزالته، وحرم ما يكون ذريعة لإزالته، كالخمر مثلاً .

يقول ابن تيمية – رحمه الله –: ((وأما الجنون، فقد نزه الله أنبياءه عنه، فإنه من أعظم نقائص الإنسان، إذ كمال الإنسان بالعقل، ولهذا حرم الله إزالة العقل بكل طريق، وحرم ما يكون ذريعة إلى إزالة العقل كشرب الخمر، فحرم القطرة فيها وإن لم تزل العقل، لأنها ذريعة لشرب الكثير الذي يزيل العقل))[٢].

٢- العقل والنقل:

لقد غلا فلاسفة اليونان، وتبعهم من يدعون بفلاسفة الإسلام، من أمثال الفارابي والكندي وغيرهم ... وكذلك المتكلمون من المعتزلة ... لقد

---

(١) فتاوى الرياض ٩/ ٢٨٧ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٤٤٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غلا الجميع في تعظيم العقل وتقديسه، حتى جعلوه حكماً على الشريعة، فكل ما وافق عليه العقل فهو من الشريعة، وكل ما خالف العقل – بتصورهم – لا يعد من الشريعة.

ولم يقم أحد من العلماء خلال القرون الستة التي سبقت ابن تيمية من رد على هذه المقولة الفاسدة .[١]

ويعد ابن تيمية من أول من قَوَّمَ مكانة العقل في الإسلام، وبَيَّن أن مصدر العقائد هو الوحي والنبوة والكتاب والسنة، وما العقل إلا مؤيد لها، ووسيلة لفهمها وإدراكها، يقول: « إن العقل ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه، ولا معطياً له صفة لم تكن له، ولا مفيداً له صفة الكمال »[٢] .

ويؤكد على تقديم الأدلة الشرعية المستقاة من مصادرها الأصلية على المعقول: « تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول، وذلك لأن كون الشيء معلوماً بالعقل، أو غير معلوم بالعقل، ليست صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر »[٣] .

---

(١) قام أبو حامد الغزالي بمحاربة الفلسفة اليونانية بكتابيه: مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، إلا أنه لم يقوِّم مكانة العقل بالصورة التي قومها به ابن تيمية .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٣٨ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٤٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويدلل ابن تيمية على نسبية الأمور بالعقل بذكر أمثلة كثيرة، وذلك بعرض آراء للمعتزلة والشيعة والفلاسفة، وكل منهم يدعي بأن رأيهم معلوم بالأدلة العقلية القطعية ... [١] .

ويبرهن على أن تقديم النقل لا يستلزم فساد العقل في نفسه، فيقول: « معارضة العقل لما دلَّ العقل على أنه حق دليل على تناقض دلالته، وذلك يوجب فسادها، وأما السمع فلا يعلم دلالته ولا تعارضها في نفسها وإن لم يعلم صحتها، وإذا تعارض دليلان أحدهما علمنا فساده والآخر لم نعلم فساده كان تقديم ما لم يعلم فساده أقرب إلى الصواب من تقديم ما يعلم فساده، كالشاهد الذي علم أنه يصدق ويكذب، والشاهد المجهول الذي لم يعلم كذبه، فإن تقديم قول الناس المعلوم كذبه على قول المجهول الذي لا يعلم كذبه لا يجوز، فكيف إذا كان الشاهد هو الذي شهد بأنه قد كذب في بعض شهاداته »[٢] .

ولا يوجد في كتابات ابن تيمية أنه ألغى العقل بشكل كامل، بل يرى أنه وسيلة لفهم الشرع والاستدلال به إلى طريق الحق والخير، لذلك فإنه يؤكد أن لا تعارض بين صريح العقل وصحيح النقل، ولم يجد خلال دراسته الطويلة على أي تعارض من هذا النوع مطلقاً، والأمور التي ثبتت صحتها بالكتاب والسنة والوحي والنبوة يصدقها العقل الكامل الصحيح « وما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ١/ ١٧١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصحيح لا يعارضه معقول صريح »[١].

فمن أين جاء التعارض في رأي البعض إذاً، واختلف الناس في العقائد والشرائع وتنازعوا وتفرقوا شيعاً، مادام العقل لا يعارض النقل ؟ ويجيب ابن تيمية على هذا السؤال بقوله: « وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال أنه يخالفه ؛ إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ؟ ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمجالات العقول بل بمحارات[٢] العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاؤه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته »[٣].

ويقول أيضاً: « إن الأدلة العقلية الصحيحة البينة التي لا ريب فيها، بل العلوم الفطرية الضرورية توافق ما أخبرت به الرسل لا تخالفه، وأن الأدلة العقلية الصحيحة جميعها موافقة للسمع لا تخالف شيئاً من السمع وهذا –

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٤٧ .

(٢) المحارات: هي ما حارت العقول في فهمه .

(٣) المرجع السابق ١/ ١٤٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولله الحمد – قد اعتبرته فيما ذكره عامة الطوائف »[١].

ويخلص ابن تيمية إلى أن العقل لا يستغني عن النقل أو الرسالة، وعملهما متكاملان، وهو يعمل في توجيهها وإرشادها، يقول ابن تيمية في ذلك: « كما أن نور العين لا يرى إلا مع نور قُدَّامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة، فلهذا كان تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام، وكان معرفة ما أمر به الله ورسوله واجباً على جميع الأنام »[٢].

وقد تمثل هذا التكامل بين العقل والنقل بأكمل صوره منذ أول آية نزلت على الرسول الأعظم محمد ﷺ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥] »[٣].

٣- العقل والغيب:

أ- الغيب في اللغة وفي كتب المفسرين:

الغيب في لغة العرب: كل ما غاب عنك.

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٣٣ .

(٢) فتاوى الرياض ١/ ٦.

(٣) فتاوى الرياض ١٦/ ٢٦٠، ٢٦٦. وكذلك انظر: الفكر التربوي عند ابن تيمية، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، ص ١٠٠-١٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال القرطبي: واختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا، فقالت فرقة: الغيب في هذه الآية ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [في سورة البقرة:٢]، هو الله ﷻ.

وقال آخرون: القضاء والقدر . وقال آخرون: القرآن وما فيه من الغيوب.

وقال آخرون: كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار. قال ابن عطية: وهذه الأقوال لا تتعارض، بل يقع الغيب على جميعها.

وهذا ما أشار إليه ابن تيمية – يرحمه الله – في كتابه القيم (درء تعارض العقل والنقل) أن الغيب: « كل ما غاب عن الإنسان واقعاً وعقلاً، مثل الأمور المتعلقة بذات الله تعالى، واليوم الآخر، والبرزخ، والبعث بعد الموت، والشفاعة، والصراط، والميزان، وخلود الدارين، والروح ... إلخ ..

هذه الأمور الغيبية يجب الإيمان بها، لأنها وردت في القرآن الكريم، ومن لم يؤمن بأي من أمور الغيب هذه فقد خالف اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهذا مما لا شبهة فيه بين أصحاب الحديث والفقهاء والعلماء في العالم الإسلامي كله »[1] .

ويقول صاحب الظلال في تفسيره: « والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٥٠٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحدد الذي تدركه الحواس – أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس – وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله، ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير، كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض، فليس من يعيش في هذا الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته .. ».

ويقول: « لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة، ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان، كجماعة الماديين في كل زمان، يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقرى .. إلى عالم البهيمة الذي لا وجود فيه لغير المحسوس، ويسمون هذا (تقدمية) وهو النكسة التي وقى الله المؤمنين إياها، فجعل صفتهم المميزة صفة ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ والحمد لله على نعمائه، والنكسة للمتنكسين والمرتكسين »[1].

ب– الغيب في القرآن والسنة:

وردت كلمة الغيب في القرآن الكريم ٤٨ مرة، تؤكد على أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن من صفات المؤمنين المتقين الإيمان بالغيب، من هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٢-٣].

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣٩، ٤٠، دار الشروق – القاهرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٣٣].

﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرِ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ووردت لفظة الغيب في السنة المطهرة في مواضع كثيرة من كتب السنة، منها ما يؤكد على أن مفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله، وأنه عالم الغيب والشهادة، وأن من صفات المؤمنين: الإيمان بالغيب قولاً وعملاً واعتقاداً .

فقد ورد في صحيح البخاري أحاديث عدة، بروايات متعددة، تذكر أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ﴿فيها عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: _مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر)[1].

وعن فضل الإيمان بالغيب، روى الحاكم وصححه عن ابن مسعود

(١) وانظر الأحاديث الأخرى في صحيح البخاري برقم: ٩٨١، ٤٢٦١، ٤٤٠٥، ٤٤٧٧، ٤٨٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قول رسول الله ﷺ: (والذي لا إله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمان بغيب).

جـ- الغيب والفلاسفة:

يبين ابن تيمية - يرحمه الله - أن فلاسفة اليونان، أمثال أرسطو الذي يسميه فلاسفة العرب (المعلم الأول) من أجهل الناس بأمور الغيب، أو ما يطلق عليه بالإلهيات. يقول: « إذا نظر في كلام معلمهم الأول - أرسطو - وتدبره الفاضل العاقل، لم يفده إلا العلم بأنهم كانوا من أجهل الخلق برب العالمين ».

ويقول: « وأما ما جاءت به الأنبياء فلا يعرفه هؤلاء البتة، وليسوا قريبين منه، بل كفار اليهود والنصارى أعلم منهم بالأمور الإلهية، ولست أعني بذلك ما اختص الأنبياء بعلمه من الوحي الذي لا يناله غيرهم؛ فإن هذا ليس من علمهم ولا من علم غيرهم، وإنما أعني العلوم العقلية التي بينها الرسل للناس بالبراهين العقلية في معرفة الرب وتوحيده، ومعرفة أسمائه وصفاته، وفي النبوات والمعاد، وما جاؤوا به من مصالح الأعمال التي تورث السعادة في الآخرة، فإن كثيراً من ذلك لم يشمُّوا رائحتها، ولا في علومهم ما يدلّ عليها، وأما ما اختصت الرسل بمعرفته وأخبرت به من الغيب [عن طريق الوحي الإلهي] فذلك أمر أعظم من أن يذكر في ترجيحه على الفلسفة، وإنما المقصود الكلام في العلوم العقلية، دع ما جاءت به الأنبياء فإنه مرتبة عالية »[1].

ويبين ابن تيمية أسباب جهل الفلاسفة اليونان بالعلوم الإلهية والحقائق

(١) الرد على المنطقيين: ص ٢٩٤-٣٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغيبية ... يقول: « أما الغيب الذي يخبر به الأنبياء والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها، وتقسم الموجودات قسمة صحيحة فلا يعرفونها البتة، فإن هذا لا يكون إلا لمن أحاط بأنواع الموجودات وهم لا يعرفون إلا الحساب وبعض لوازمها، وهذا معرفة بقليل الموجودات جداً »[١].

ويوجه ابن تيمية نقده أيضاً إلى من يسمَّون بفلاسفة الإسلام أمثال ابن سينا والفارابي والكندي وغيرهم، وهم من أتباع الفلسفة اليونانية، ولم يستفيدوا من نور الهداية الذي كان بمتناول أيديهم. يقول: « إن هؤلاء المتفلسفة المتأخرين في الإسلام من أجهل الخلق عند أهل العلم والإيمان، وفيهم من الضلال والتناقض ما لا يخفى على الأذكياء من الصبيان، لأنهم لما التزموا ألا يسلكوا إلا سبيل سلفهم الضالين وألاّ يقروا إلا بما يبنونه على تلك القوانين، وقد جاءهم النور والهدى والبيان ما ملأ القلوب والألسنة والآذان، وصاروا بمنزلة من يريد أن يطفئ نور الشمس بالنفخ بالهباء أو يغطي ضوءها بالعباء »[٢].

ولا يكتفي شيخ الإسلام بذلك النقد للفلسفة اليونانية وتلامذتها من المسلمين، بل وجه نقده إلى علم الكلام والمتكلمين الذين حاولوا الدفاع عن الإسلام لكنهم اتخذوا أساليب الفلسفة ومقدماتها ومصطلحاتها القاصرة المحدودة لإحقاق الحقائق الغيبية الدينية التي كانت تختص بمفاهيمها الخاصة[٣].

---

(١) تفسير سورة الإخلاص: ص ٦.

(٢) الرد على المنطقيين: ص ٢٢١.

(٣) انظر: الحافظ ابن تيمية للندوي: ص ١٧٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول في كتاب النبوات: « كلامهم في الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وفي إثبات الصانع ليس فيه تحقيق العلم لا عقلاً ولا نقلاً، وهم معترفون بذلك كما قال الرازي : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن »(١).

د- هل يدرك العقل الغيب ؟

يرفع ابن تيمية من شأن العقل الإنساني ويعده أساس التكليف – كما رأينا آنفاً -. إلا أن هذا العقل له حدود لا يستطيع تجاوزها، لذلك يقصر باعه عن الإحاطة بالحقائق الغيبية، يقول: « فإن نفس الغريزة العقلية التي تكون للشخص قد تعجز عن إدراك كثير من الأمور، لا سيما الغائبات، فمن رام بعقل نفسه أن يدرك كل شيء كان جاهلاً »(٢).

ويؤكد ابن تيمية – يرحمه الله – أن المنطق إذا عُدَّ ميزاناً عقلياً، فهو يعجز عن إدراك الحقائق الدينية والإلهية، ووزن الحقائق الغيبية به يماثل وزن الذهب والفضة في ميزان الحطب والحديد والرصاص والحجارة، يقول: « ومن المعلوم أن موازين الأموال لا يقصد أن يوزن بها الحطب والرصاص دون الذهب والفضة، وأمر النبوات وما جاءت به الرسل أعظم في العلوم من الذهب في الأموال »(٣).

وقد أكد هذا الأمر – أي محدودية العقل – أيضاً ابن خلدون في

(١) النبوات: ١٤٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ٧/ ٣٢٦.

(٣) نقض المنطق ص ١٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمته المشهورة حيث يقول: « بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك، على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه»[1].

وهكذا نجد أن أمور الغيب، وحقائقها، لا تدرك بالعقل وعلى المؤمن أن يؤمن بها كما أنزلت في القرآن الكريم، وكما جاءت في السنة الصحيحة .

وينقل لنا ابن تيمية – يرحمه الله – في كتابه (درء تعارض العقل والنقل)[2] قول أبي محمد بن عبد البصري المالكي[3] في كتابه الذي صنفه في أصول السنة والتوحيد، قال: « وكان إجماع السلف والخلفاء وأئمة الدين وفقهاء المسلمين، من شرق وغرب، وسهل وجبل، وسائر أقاليم الإسلام، من مغرب ومصر وشام وعراق وحجاز ويمن وبحر[4]، وخراسان مجتمعين: على أن عقيدة السنة أربعة عشرة خصلة: سبعة متعلقة بالشهادة، وهي مما يدان بها في الدنيا، وسبعة متعلقة بالغيب وهي مما يؤمن بها من أحكام

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٦٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت– لبنان (دون تاريخ).

(٢) ٨/ ٥٠٣.

(٣) لا يوجد له ترجمة في كتب التراجم، وقد ذكر الأستاذ عمر رضا كحالة في كتابه (معجم المؤلفين) ١٠/ ٢٧٢ أبو محمد بن عبده البصري المتوفى سنة ٣٤٧ هـ فلعله هو .

(٤) أي أهل البحر في الجزر وغيرها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآخرة .

فالتي في الدنيا: القول مع الاعتقاد بأن الإيمان: قول وعمل ونية، والإيمان بالقدر خيره وشره، وأن القرآن غير مخلوق، وتخيير الأربعة على الترتيب[1]، وإثبات الإمامة وترك الخروج على أحد منهم، والصلاة على من مات من أهل القبلة، وترك المراء والجدل .

والمتعلقة بالآخرة: الإيمان بأحكام البرزخ، والآيات التي بين يدي الساعة، والبعث بعد الموت، ورؤية الله تعالى، والإيمان بالحوض والشفاعة والصراط والميزان، وخلود الدارين [2]. فمن خالف شيئاً من هذا فقد خالف اعتقاد السنة والجماعة، وهذا مما لا شبهة فيه بين أصحاب الحديث والفقهاء والعلماء من سائر الأقاليم ».

ولا يقصد ابن تيمية – يرحمه الله – من عدم إدراك العقل للغيب، أنه لا يدركه مطلقاً في الحياة الدنيا والآخرة، أو في الحياة وما بعد الموت، فالذي لا نحسه في الدنيا - والإحساس هو أول طريق الإدراك العقلي كما رأينا آنفاً - وهو غيب بالنسبة لنا، فقد نحسه ومن ثم ندركه بعد الموت أو في الآخرة، يقول: « فلا ريب أن الأعيان منها ما هو محسوس، ومنها ما ليس بمحسوس، وما أخبرتنا به الأنبياء من الغيب ليس محسوساً لنا، فلا نشهده الآن، بل هو غيب عنا، ولكن مما يمكن إحساسه، ومما يحسه الناس بعد الموت، ولهذا كانت عبارة الأنبياء عليهم السلام تقسيم الأمور إلى غيب وشهادة، قال تعالى:

---

(١) يُقصد بالأربعة: الخلفاء الراشدون، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على الترتيب .

(٢) عدد الخصلات المتعلقة هنا ست وليس سبعاً، ولعل في النسخة نقصاً .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣]، وقال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم ﴾ [الحشر: ٢٢] »[1].

وأهل الإيمان في القديم والحديث يلتقون كلهم حول هذا الأمر .. محدودية العقل الإنساني، وأن الله وهبه لمخلوقاته الناطقة، ليدرك حياته الواقعية القريبة، لا الغيب البعيد عنه، يقول صاحب الظلال: « إن الطاقة الفكرية التي وهبها الإنسان، وهبها ليقوم بالخلافة في هذه الأرض، فهي موكلة بهذه الحياة الواقعية القريبة، تنظر فيها، وتتعمقها وتتقصاها، وتعمل وتنتج، وتنمي هذه الحياة وتجملها، على أن يكون لها سند من تلك الطاقة الروحية التي تتصل مباشرة بالوجود كله وخالق الوجود، وعلى أن تدع للمجهول حصته في الغيب الذي لا تحيط به العقول، فأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بحدود هذه الأرض والحياة عليها، دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة، وترك حصة للغيب لا ترتادها العقول... فأما هذه المحاولة فهي محاولة فاشلة أولاً، ومحاولة عابثة أخيراً، فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال، عابثة لأنها تبدد طاقة العقل التي لم تُحلق لمثل هذا المجال. ومتى سلّم العقل البشري بالبديهية العقلية الأولى، وهي أن المحدود لا يدرك المطلق، لزمه – احتراماً لمنطقه ذاته – أن يسلم بأن إدراكه للمطلق مستحيل، وأن عدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون، وأن عليه أن يكل الغيب إلى طاقة أخرى غير طاقة العقل، وأن يتلقى العلم في شأنه من العليم الخبير الذي يحيط

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٦/ ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالظاهر والباطن، والغيب والشهادة، وهذا الاحترام لمنطق العقل في هذا الشأن هو الذي يتحلى به المؤمنون، وهو الصفة الأولى من صفات المتقين »[١].

٤- العقل والتأويل

التأويل في اللغة: هو من آل الشيء، يؤول إلى كذا، أي رجع إليه.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: التأويل: التفسير والمرجع والمصير. وهذا ما جاء أيضاً في لسان العرب[٢].

وهذا ما قرره أبو جعفر الطبري حيث قال: « وأما معنى التأويل في كلام العرب؛ فإنه التفسير والمرجع والمصير، وأصله من آل الشيء إلى كذا، إذا صار إليه، يؤول أولاً، وأولته أنا: صيرته إليه »[٣].

أما التأويل في المصطلح: فهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله لدليل دلَّ على ذلك.

وهذا الصرف لا يقوم على القطع، بل يسير في ساحة الظن، ولذلك فرَّقوا بينه وبين التفسير في الاصطلاح: بأن التفسير تبيين المراد من الكلام على سبيل القطع، أما التأويل: فإنه تبيين المراد من الكلام على سبيل الظن، ولهذا يحرم التفسير بالرأي دون التأويل، والتأويل بهذا المعنى باب من أبواب

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٤٠.

(٢) مجاز القرآن: ١/ ٨٧، طبع سنة ١٣٧٤ هـ، ولسان العرب، مادة (أول).

(٣) تفسير الطبري: ١/ ٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاستنباط العقلي، وطريق من طرق الاجتهاد في بيان النصوص[١].

لفظ التأويل في القرآن:

يؤكد ابن تيمية أن معنى التأويل في القرآن المعنى اللغوي الظاهر للفظ، وليس المعنى الاصطلاحي، يقول - رحمه الله -: « إن لفظ التأويل في القرآن يراد به ما يؤول الأمر إليه، وإن كان موافقاً لمدلول اللفظ ومفهومه في الظاهر، كما يراد به تفسير الكلام وبيان معناه، وإن كان موافقاً له، وهو اصطلاح المفسرين المتقدمين كمجاهد وغيره. ويراد به أيضاً صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى احتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك ».

« وإن لفظ التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح إنما يوجد في كلام المتأخرين »[٢].

ومعنى التأويل في القرآن هو ما فهمه السلف- رحمهم الله - حيث « يراد به ما أراده الله تعالى بلفظ التأويل في مثل قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقّ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقوله: ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله: ﴿ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْل ﴾ [يوسف: ١٠٠].

---

(١) انظر تفسير النصوص، للدكتور محمد أديب الصالح ١/ ٣٦٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهكذا فإن السلف يعنون بالتأويل هو المعنى اللغوي، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهم يفهمونه على أساليب العربية ومدلولات ألفاظها في الخطاب.

وكذلك كان التأويل عند العلماء الأولين، عند الشافعي - رحمه الله - في الرسالة، والطبري في مقدمة تفسيره[1].

وهذا ما فهمه ابن تيمية - رحمه الله - من لفظ التأويل في القرآن، يقول: « قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩] أي كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله، فتبين أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والإيمان بعلمه ولما يأتهم تأويله، وأن الإحاطة بعلم القرآن ليست إتيان تأويله، فإن الإحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام، وإتيان التأويل نفس وقوع المخبر به، وفرق بين معرفة الخبر وبين المخبر به، فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير القرآن، ومعرفة المخبر به هو معرفة تأويله »[2].

ويوضح ابن تيمية هذه المسألة بأسلوب نفسي وعقلي في الوقت نفسه، فإنه يميز بين المعنى الذهني والحقيقة الخارجية حيث يقول: « ونكتة ذلك أن الخبر لمعناه صورة علمية، وجودها في نفس العالم، كذهن الإنسان مثلاً، ولذلك المعنى حقيقة ثابتة في الخارج عن العلم، واللفظ إنما يدل ابتداء على المعنى الذهني، ثم تتوسط ذلك أو تدل على الحقيقة الخارجة، فالتأويل هو

(١) انظر تفسير النصوص، مرجع سابق ١/ ٣٥٩.

(٢) فتاوى الرياض ١٣/ ٢٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحقيقة الخارجة، وأما معرفة تفسيره ومعناه فهو معرفة الصورة العلمية »[١].

ويدلل ابن تيمية على أن التأويل هو وقوع المخبر به نفسه من السنة وآثار السلف بقوله: « فتأويل الكلام الطلبي: الأمر والنهي، هو نفس فعل المأمور به، وترك المنهي عنه، كما قال سفيان بن عيينة: السنة تأويل الأمر والنهي. وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) يتأول القرآن[٢]. وقيل لعروة ابن الزبير: فما بال عائشة كانت تصلي في السفر أربعاً ؟ قال: تأولت كما تأول عثمان. ونظائره متعددة »[٣].

وكذلك تأويل أمور الغيب، كذات الله واليوم الآخر ... فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، يقول: « وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق الله: هو كُنْه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وكذلك قال ابن الماجشون[٤] وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه مسلم ٢/ ٥٠ (كتاب الصلاة، باب ما يقول في الركوع والسجود). والبخاري ٢/ ١٥٩ (كتاب الصلاة، باب التسبيح والدعاء في السجود).

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، من أئمة المحدثين، توفي ببغداد سنة ١٦٤هـ (انظر الأعلام للزركلي ٤/ ١٤٥، ١٤٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولهذا ردَّ أحمد بن حنبل على الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، فردَّ على من حمله على غير ما أريد به، وفسر هو جميع الآيات المتشابهة، وبين المراد منها »[١].

وخلال مفهوم ابن تيمية للتأويل، وهو تأويل السلف نفسه، والتأويل اللغوي ذاته ... ردَّ على الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة الذين أولوا آيات القرآن والسنة، ووقعوا في شبهات وبدع فضلّوا بها، ودعا إلى كشف ضلالات هؤلاء الفلاسفة، وعدم تصديقهم وموافقتهم في لفظ مجمل، حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده ....

ويرى أن كل تأويل يريد معنى صحيحاً، ويكون موافقاً لقول النبي ﷺ يكون حقاً، وكل تأويل يريد معنى مخالفاً لقول النبي ﷺ يكون باطلاً[٢].

وعلى الرغم من أن أبا حامد الغزالي - رحمه الله - وضع قانوناً للتأويل، وذلك ليكون التزامه بهذا القانون حائلاً دون الغلو في تأويل النصوص[٣].

إلا أن ابن تيمية لم يسلم بما في القانون وغيره من قوانين التأويل التي وضعها الفلاسفة والمتكلمون وغيرهم فقال: « أما هذا القانون الذي وضعوه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٧.

(٢) انظر منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، ص ٢٢٧. ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٦ وما بعدها.

(٣) انظر: بين الدين والفلسفة، محمد يوسف موسى، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ص ١١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- أي الفلاسفة - فقد سبقهم إليه طائفة، منهم أبو حامد، وجعله قانوناً في جواب المسائل التي سئل عنها في نصوص أشكلت على السائل، كالمسائل التي سأله عنها القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، وخالفه القاضي أبو بكر في كثير من تلك الأجوبة »[1].

ويصف ابن تيمية العمل بهذا القانون فيقول: « مثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء، يضع كل فريق لنفسه قانوناً فيما جاءت به الأنبياء عن الله، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً له، فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه »[2].

وهؤلاء - عند ابن تيمية - يفترضون تعارضاً بين العقل والنقل، ثم هم بعد ذلك، يؤولون الألفاظ لتتفق مع نظرياتهم العقلية والفلسفية، فهم بهذا يسلّمون بنظريات العقل ثم يصوغون النصوص وفق هذه النظريات، أو أنهم يحولون النصوص إلى ما يوافق معتقداتهم.

أما ابن تيمية فلا يسلم بوجود التعارض بين العقل والنقل، أو حسب عبارته - رحمه الله - « بين العقل الصريح والنقل الصحيح »، وهو يعتقد أن العقول قد تخطئ وقد تصيب، والأدلة غير القطعية من الأحاديث

---

(١) انظر: منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري ص ٢١٩ وما بعدها، وقد ألّف ابن العربي كتاباً سمّاه أيضاً (قانون التأويل)، وقد حقق هذا الكتاب ونشره مع دراسة له محمد السليماني، صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة، ومؤسسة علوم القرآن في بيروت ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٩ وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموضوعة أو المدسوسة هي للتضليل بين الصحيح في أحاديث النبي ﷺ[١].

وهكذا نرى أن ابن تيمية - يرحمه الله - يفهم التأويل كما فهمه السلف - رحمهم الله- وكما هو في اللغة العربية .. التفسير والمرجع والمصير وهو معنى التأويل في القرآن وليس هو المعنى الاصطلاحي أي « صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله لدليل دلّ عليه » ؛ ذلك أن المعنى الاصطلاحي شط بالكثير إلى الانحراف الكامل عن المعنى الحقيقي للنصوص الشرعية في القرآن والسنة، كما نجد ذلك عند الفلاسفة والمعتزلة والمتصوفة.

٥- العقل والذكاء

مفهوم الذكاء

الذكاء لغة الفطنة والتوقد، من ذكت النار أي زاد اشتعالها، فهو يدل على زيادة القوى العقلية والمعرفية في الإنسان.

وهذا المفهوم للذكاء، الذي يؤكد عملية التفكير وما إليه من استدلال استقرائي أو استنباطي، أو القدرة على الفهم الدقيق للأمور هو الذي أكده ابن تيمية بقوله: « إن الأمور الدقيقة سواء كانت حقاً أو باطلاً، إيماناً أو كفراً، لا تعلم إلا بذكاء أو فطنة »[٢].

وقد تعددت بعد ذلك مفاهيم الذكاء تبعاً لتعدد وظائفه، وكثرة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) فتاوى الرياض: ٩/ ٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكوناته ومقوماته، واهتم علم النفس الحديث بهذه المفاهيم، ومن أهمها:

- المفهوم الفلسفي للذكاء وشموله لجميع النواحي العقلية والمعرفية.
- المفهوم البيولوجي للذكاء وهو يوضح أهمية الذكاء في التكيف مع البيئة المحيطة بالفرد.
- المفهوم الفسيولوجي للذكاء ويوضح أهمية التكامل الوظيفي للجهاز العصبي في تحديد معنى الذكاء.
- المفهوم الاجتماعي للذكاء وهو يدرس الاتصال الوثيق بين الكفاح الاجتماعي ومستوى الذكاء.
- المفهوم الإجرائي حيث يدل على أهمية الوسائل التجريبية في التحديد الموضوعي لمعنى الذكاء[١].

الفروق الفردية في الذكاء:

ذكرنا آنفاً عند الحديث عن الاستعداد الفطري للمعرفة أو ما يسمى في علم النفس الحديث : « الفروق الفردية »: هو تفاوت البشر في القدرات العقلية والذكاء، والتحصيل العقلي والمهارات.

وقد بين ابن تيمية هذا التفاوت في القدرات العقلية لدى الناس بقوله: « وهذا مع أن الناس متباينون في نفس عقلهم الأشياء من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير وجليل ودقيق وغير ذلك »[٢].

---

(١) الذكاء: فؤاد البهي السيد: ص٢٠١-٢٠٢، دار الفكر العربي، ط رابعة، ١٩٧٦م، القاهرة.

(٢) فتاوى الرياض: ٩/ ٣٠٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتفاوت الناس في القدرات العقلية وفي الذكاء يترتب عليه عند الإمام ابن تيمية التنوع في ترتيب الواجبات وفي مدى وجوب التكليف على الفرد المسلم وكذلك في ترتيب الحصول على العلم والمعرفة.

يقول ابن تيمية: « وفي الجملة فينبغي أن يعلم أن ترتيب الواجبات في الشرع واحداً بعد واحد، ليس هو أمراً يستوي فيه جميع الناس، بل هم متنوعون في ذلك، فكما أنه قد يجب على هذا ما لا يجب على هذا، فكذلك قد يؤمر هذا ابتداء بما لا يؤمر به هذا »[١].

« وهكذا الواجبات العقلية: إذا قيل بالوجوب العقلي يتنوع الناس في ترتيبها... كما أنهم متنوعون في ترتيب الوجوب فهم متنوعون في ترتيب الحصول علماً وعملاً »[٢].

وحتى النظار والمفكرين يتفاوتون في الذكاء وفي تحصيل العلم، يقول ابن تيمية: « وكم من ناظر مفكر لم يحصل العلم ولم ينله، كما أنه كم من ناظر إلى الهلال لا يبصره، ومستمع إلى صوت لا يسمعه »[٣].

الذكاء والسعادة:

يؤكد ابن تيمية - رحمه الله - أن النفوس السعيدة هي النفوس التي تحيا في عبادة الله تعالى وطاعته، وحياتها هذه الحياة الطبيعية المتنعمة بالحياة،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٨/ ١٦-١٧.

(٢) المرجع السابق: ص١٧.

(٣) فتاوى الرياض: ٩/ ٣٠٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يشوبها شائب ولا يعكر صفوها منغص... مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وإلا فإنها نفوس ميتة، لأنها تعيش في شقاء البعد عن الله، وما يتبع من ذلك من عبادة الأهواء وأوثان المادة وما تورثهما من القلق والفساد في الحياة، يقول - رحمه الله -: « لكن النفس من لوازمها الإرادة والحركة، فإنها حية حياة طبيعية، لكن سعادتها أن تحيا الحياة النافعة فتعبد الله، ومتى لم تحيَ هذه الحياة كانت ميتة، وكان ما لها من الحياة الطبيعية موجباً لعذابها، فلا هي حية متنعمة بالحياة، ولا ميتة مستريحة من العذاب، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى ﴾ [الأعلى ١٣]. فالجزاء من جنس العمل لما كان في الدنيا ليس بحي الحياة النافعة، ولا ميتاً عديم الإحساس، كان في الآخرة كذلك. والنفس إن علمت الحق وأرادته فذلك من تمام إنعام الله عليها، وإلا فهي بطبعها لا بد لها من مراد معبود غير الله، ومرادات سيئة، فهذا تركب في كونها لم تعرف الله، ولم تعبده وهذا عدم »[1].

ومصدر هذه السعادة للنفوس البشرية هو العقل، وقدراته على الفهم والبصر، أي الذكاء في أي درجة من درجاته، وإلا لما كلفت بعبادة الله ... فالعقل هو أساس التكليف ... لذلك كان خطاب الله للناس أجمعين: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ و﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ إلخ. لذلك كان قول الأشقياء في الآخرة: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ

(١) المرجع السابق: ٨/ ٢٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السَّعِير ﴾ [الملك ١٠].

ومن هنا فإن العقل والذكاء لا ينفعان صاحبهما إن لم يطيعا الله، وينعما بفضله في الحياة الدنيا.

وهذا يجري أيضاً على أهل الذكاء والفطنة من أهل الكلام من المسلمين وغيرهم الذين لم يعبدوا الله عبادة حقيقية بعيدة عن الشرك وأوثان الهوى والبدع، فهؤلاء لا ينفعهم ذكاؤهم في تحقيق السعادة في الدنيا، والنجاة من عذاب الله في الآخرة. على الرغم من كونهم أصحاب زهد وأخلاق – كما يصفهم ابن تيمية- حيث يقول: « والقوم (أي أهل الكلام) وإن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق، فهذا القول لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا بالأصول المتقدمة (أي بعبادة الله لا شريك له والإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر).

وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة الدين والإرادة، فالذي يؤتى فضائل علمية وإرادية بدون هذه الأصول، بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه وبدنه بدون هذه الأصول، وأهل الرأي والعلم بمنزلة أهل الملك والإمارة، وكل من هؤلاء وهؤلاء لا ينفعه ذلك شيئاً إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويؤمن برسله واليوم الآخر »[1].

رابعا: الخلاصة

يتناول هذا الفصل الإدراك الحسي والإدراك العقلي، فالإدراك الحسي

(١) فتاوى الرياض ١٨/ ٥٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هو إدراك الحواس الظاهرة والباطنة، والإدراك العقلي هو إدراك المعاني الكلية مثل الحق والعدل والخير والشر، وبالحواس والعقل يدرك الإنسان حياته ويتعلم ويزداد معرفة ... وبين ابن تيمية:

- معاني الحواس الظاهرة والباطنة، الظاهرة: هي الحواس الخمس في الإنسان، والحواس الباطنة مثل: الخيال والذاكرة والحس المشترك.
- ومعاني العقل الأربعة وهو أنه عَرَض أو غريزة، أو العلم الذي يحصل بالغريزة، أو العمل بالعلم والعقل والشرع، وفضل العقل وأنه مناط التكليف وأساس قبول العمل.
- وصلة العقل بالنقل، وأن المنقول الصحيح لا يعارضه المعقول الصريح، وكذلك صلة العقل بالغيب.
- وصلة العقل بالقلب، وأن العقل أحد معاني القلب ...
- وصلة العقل بالدماغ، وأنهما ليسا شيئاً واحداً، لكن العقل يعتمد على الدماغ في الإدراك والفهم.
- وأن العقل له حدود الحياة الواقعية لا يتجاوزها، لذلك هو لا يدرك الغيب، وعلى المسلم الإيمان به، لأنه من النقل الصحيح.
- وبين صلة العقل بالتأويل، وأن السلف فهموا المعنى اللغوي للتأويل لا المعنى الاصطلاحي.
- وكذلك صلة العقل بالذكاء، وأن الأمور الدقيقة لا تفهم إلا بذكاء وفطنة، وأن مصدر السعادة هو العقل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

العقل والمعرفة

أولاً: الاستعداد الفطري للمعرفة.

ثانياً: نقد المنطق الأرسطي.

ثالثاً: الاستقراء.

رابعاً: الاستدلال.

خامساً: الإلهام.

سادساً: الخلاصة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

العقل والمعرفة

أولاً: الاستعداد الفطري للمعرفة:

إن الإدراك العقلي عند ابن تيمية يعتمد أولاً على الاستعداد الفطري للمعرفة، وبهذا الاستعداد يتميز الإنسان عن باقي الحيوانات .

والاستعداد الفطري يدفع الإنسان إلى قبول الحق مباشرة إن لم يشبه شائبة في البيئة التي نشأ فيها من فتن وشبهات .

يقول ابن تيمية: « فأما لو ترك وحاله (أي القلب) فارغاً عن كل ذكر خالياً عن كل فكر، فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه ويرى الحق الذي لا ريب فيه، فيؤمن بربه وينيب إليه، فإن كل مولود يولد على الفطرة...».

« وإنما يحول بينه وبين الحق في غالب الأحوال شغله بغيره من فتن الدنيا ومطالب الجسد وشهوات النفس، فهو في هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال، أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق فيكون كالعين التي فيها قذى لا يمكنها رؤية الأشياء »[1].

ويتفاوت الناس في هذا الاستعداد الفطري للمعرفة العقلية وهو ما يطلق عليه علم النفس الحديث: « الفروق الفردية » .

فالناس يتفاوتون في القدرات العقلية والذكاء والتحصيل العلمي والمهارات.

---

(١) فتاوى الرياض ٩/ ٣١٣ – ٣١٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد سبق ابن تيمية عالم النفس الفرنسي « الفريد بينيه » الذي يعد من أوائل الذين لاحظوا تفاوت التلاميذ – حين دخولهم المدرسة – في القدرات والتحصيل والذكاء[١].

يقول ابن تيمية: ((وهذا مع أن الناس متباينون في نفس عقلهم الأشياء من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونهم من بين قليل وكثير وجليل ودقيق وغير ذلك))[٢]، ويقول أيضاً: ((وكم من ناظر مفكر لم يُحصِّل العلم ولم ينله، كما أنه كم من ناظر إلى الهلال لا يبصره، ومستمع إلى صوت لا يسمعه))[٣].

وبعد أن يؤكد ابن تيمية تفاوت الناس في القدرات العقلية، والتعليم والمهارات، يرتب على ذلك اختلاف ترتيب الواجبات باختلاف أحوال الناس، يقول: ((فينبغي أن يعلم أن ترتيب الواجبات في الشرع واحداً بعد واحد، ليس أمراً يستوي فيه جميع الناس، بل هم مُتنوِّعون في ذلك، فكما أنه قد يجب على هذا ما لا يجب على هذا، فكذلك قد يؤمر هذا ابتداء بما يؤمر به هذا))[٤].

وكذلك الواجبات العقلية والتحصيل العلمي تختلف باختلاف قدرة

---

(١) انظر: كتاب: التربية المثلى لألفريد بينيه، ترجمة كامل بنقسلي وخيرت فخري، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

(٢) فتاوى الرياض ٩/ ٣٠٩ .

(٣) المرجع السابق ٩/ ٣٠٨ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٨ / ١٦ – ١٧ وكذلك ابن تيمية للأستاذ النحلاوي رحمه الله ص ٩٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنسان العقلية « وهكذا الواجبات العقلية، إذا قيل بالوجوب العقلي، يتنوع الناس في ترتيبها ... وكما أنهم متنوِّعون في ترتيب الوجوب فهم مُتنوِّعون في ترتيب الحصول علماً وعملاً »[١].

وقضية ترتيب الحصول في مجال العلم والعمل شغلت علماء النفس المحدثين كثيراً . فقالوا بالدراسات النفسية والتجريبية على الأفراد والمجتمعات ووجد ما يسمى بعلم النفس الفارق، وعلم النفس العيادي (الإكلينيكي)، وعلم النفس المهني، وعلم النفس العسكري، وصنفت الكتب والدراسات الكثيرة - خاصة في المجتمع الغربي المعاصر الذي تقدم فيه العلم شوطاً بعيداً .. في مجال الصناعة والتقدم العلمي التقني - التي تدرس الفروق الفردية بين الأفراد والمجتمعات .. وقابلية كل فرد وكفايته العلمية والعملية وقدرة تحصيله، فمنهم من ينجح في مجال العمل العقلي، لمن وهب ذكاء عقلياً، ومنهم من ينجح في مجال العمل المهني، لمن وهب ذكاء عملياً[٢].

ثانياً: نقد المنطق الأرسطي:

بينا آنفاً عند حديثنا عن ماهية العقل، أن ابن تيمية هو أول من تحرر من الفكر اليوناني في تبيان ماهية العقل، بينما غيره من فلاسفة الإسلام - كما يطلق عليهم - بقوا أسرى الفلسفة اليونانية الوثنية .

وكذلك في مجال المعرفة اليقينية والوصول إليها، نجد ابن تيمية أيضاً هو أول من تحرر من الفلسفة العقلية اليونانية، وهذا لا يمنع من أن بعض علماء

---

(١) المرجع السابق ٨/ ١٦ - ١٧ .

(٢) ارجع إلى: ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية، لمجموعة من المؤلفين الغربيين بإشراف جيلفور، والترجمة العربية بإشراف الدكتور يوسف مراد، دار المعارف، القاهرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلام أمثال « أبي حامد الغزالي » قد نقد الفلسفة اليونانية في كتابه « تهافت الفلاسفة » إلا أن الغزالي بقي أسيراً لمنطق أرسطو وهو أول من صرح بوجوب اتخاذه ميزاناً للعلوم، وفي كتابه « القسطاس المستقيم » نجد كثيراً من الحجج القرآنية قد صاغها في أقيسة منطقية أرستطالية . (١)

ومما يؤسف له أن الجامعات والمدارس الإسلامية الشرعية في القرون الماضية وحتى الوقت الحاضر تدرس المنطق الصوري الأرسطي ويعدونه من متممات الدراسة الشرعية ولا يذكرون ما بذله ابن تيمية من جهد في نقده لهذا المنطق، والذي يعد بحق أول من نقده نقداً علمياً دقيقاً، فقد نقد القضايا والحد والقياس، ونحن هنا لن نتطرق بالتفصيل لهذا النقد، وقد بحث هذا الأمر في كتب متخصصة .. (٢) وإنما نلقي نظرة عامة لهذا النقد وسبل المعرفة الحقة عند ابن تيمية في نقده للمنطق.

يبدأ بأقوال العلماء السابقين مثل ابن الصلاح الذي يقول في فتاويه: « المنطق مدخل الفلسفة ومدخل الشر، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلُّمه مما أباحه الشرع، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، والسلف الصالح وسائر من يقتدى بهم .. وليس بالأحكام الشرعية افتقار إلى المنطق أصلاً، وما يزعمه المنطقي بالمنطق من أمر الحد والبرهان فقاقيع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، ولاسيما من خدم نظريات العلوم الشرعية، ولقد تمت الشريعة وعلومها، وخاض في بحر الحقائق والدقائق

(١) انظر: تجديد التفكير الديني في الإسلام، محمد إقبال، ص ١٤٧، ترجمة عباس محمود، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٨م.

(٢) ارجع إلى كتاب: منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، للدكتور محمد حسني الزين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علماؤها ؛ حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة، ومن زعم أنه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها، فقد خدعه الشيطان »[١] .

وفي هذا الباب أيضاً يشير ابن تيمية إلى مناظرة أبي سعيد السيرافي - وكان من العلماء الفضلاء - مع متى بن يونس - الفيلسوف النصراني - في حضرة الوزير ابن الفرات، وكان هذا الفيلسوف النصراني يقول: « إنه لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، إلا بما حويناه من المنطق، واستفدناه من واضعه على مراتبه »[٢]

وهذه المناظرة جاءت كاملة في كتاب « الإمتاع والمؤانسة » لأبي حيان التوحيدي ... وقد بدأت المناظرة بتوضيح « متى بن يونس » لغاية المنطق فقال: « إنه آلة من آلات الكلام، يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان، فإني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح[٣]، فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف، والإعراب المعروف، إذا كنا نتكلم بالعربية، وفاسد المعنى من صحيحه يعرف بالعقل، إذا كنا نبحث بالعقل ... وهبك عرفت الراجح من الناقص عن طريق الوزن، فمن لك بمعرفة الموزون ؟ أيما هو: حديد أو ذهب أو شبه[٤]، فأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزون، وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدها، فعلى هذا

---

(١) ابن تيمية، لمحمد أبي زهرة، ص ٢٤٤ نقلاً عن فتاوي ابن الصلاح، ص ٤٣٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٤٥، نقلاً عن العقيدة الأصفهانية، ص ١١٦.

(٣) الشائل: المرتفع، والجانح: المنخفض .

(٤) الشبه: النحاس الأصفر .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم ينفعك الوزن الذي كان عليك اعتماده، وفي تحقيقه كان اجتهادك، إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد ».

وبعد مناقشة طويلة حول فضل اليونان على الفلسفة والحكمة، وحول مسائل لغوية، ومصطلحات فلسفية ومنطقية، يقول أبو سعيد السيرافي: « قد سمعت قائلاً يقول: الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان، فإن كان كما قال، فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب ؟ وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان، فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلم صنف ما لا يحتاج إليه ويستغنى عنه؟ وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستذلوا عزيزاً، وعنايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعَرَض والشخص، وتقولوا الهليَّة والأينية[1] والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والهيولية والصورية والأيسية والليسية [2]، ثم تتطاولون فتقولون جئنا بالسحر ... هذه كلها خرافات وترهات ومغالق وشبكات، ومن جاد عقله ولطف نظره وثقب رأيه وأنارت نفسه، استغنى عن هذا كله بعوض الله وفضله، وجودة العقل وحسن التمييز، ولطف النظر وثقوب الرأي، وإنارة النفس من منائح الله الهنية ومواهبه السنية، يختص بها من يشاء من عباده، وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً ... هل فصلتم بالمنطق بين مختلفين ؟ أو رفعتم الخلاف بين اثنين ؟ أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة ؟ »[3].

---

(١) الهَلِّية: نسبة إلى (هَلْ) الاستفهامية. والأينية: نسبة إلى (أيْن) التي يكون بها الاستفهام عن المكان.

(٢) الأيسية: نسبة إلى (أليس) ويريد بها الإثبات. والليسية: نسبة إلى (لَيْس) ويريد بها النفي .

(٣) راجع هذه المناظرة في (الإمتاع والمؤانسة) ص ١٠٤، الليلة الثالثة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعد أن يذكر ابن تيمية نقد المنطق عند من سبقوه يقول في كتابه (نقض المنطق): « إننا لا نجد أحداً من أهل الأرض حقق علماً من العلوم وصار إماماً فيه بفضل المنطق، لا من العلوم الدينية ولا غيرها، فالأطباء والمهندسون وغيرهم يحققون ما يحققون من علوم بغير صناعة المنطق، وقد صنف في الإسلام علوم النحو والعروض والفقه وأصوله وغير ذلك، وليس في أئمة هذه الفنون من كان يلتفت إلى المنطق، بل عامتهم كانوا قبل أن يعرف المنطق اليوناني »[١] .

ويؤكد ابن تيمية أن المنطق اليوناني لا فائدة فيه، ولا يوصل إلى حقيقة « فلو كان صحيحاً يوصل إلى حقيقة يقينية أو يحسم خلافاً، لما بقي في الناس قضية يختلفون من أجلها، ولا سراً إلا توصلوا إلى اكتشافه وفهموه، ولما شاعت الفرق والمذاهب الفلسفية المتضاربة التي يهدم بعضها بعضاً »[٢] .

وبعد أن يبين ابن تيمية عقم المنطق الأرسطي، وينقده نقداً لاذعاً، يخط طريق المعرفة الصحيح الموصل إلى اليقين العلمي .

وهذا الطريق يقوم على التجربة التي يعدها ابن تيمية وحدها التي تؤدي إلى تكوين الكليات العقلية اليقينية[٣] .

والتجربة تحتاج إلى الحس والعقل لتكوين العلم، فالحس يدرك أن شرب الماء يؤدي إلى الري، وقطع العنق يؤدي إلى الموت، والضرب الشديد يوجب الألم إذا تعلقت بشخص معين .

---

(١) نقض المنطق، لابن تيمية، ص ١٦٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٩ .

(٣) الرد على المنطقيين، لابن تيمية ص ٣٨٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعقل يعمم هذه التجربة لتصبح قضية عامة، لا تخص فرداً بعينه، فالقول كل من يقطع عنقه يموت هي قضية لا تدرك بالحس وحده بل بالحس والعقل وقد سمى ابن تيمية اشتراك الحس والعقل بتكوين العلم بقياس الغائب على الشاهد، وقد اقتبس « جون ستيوارث مل »[1] هذه الفكرة من ابن تيمية.

ولم تكن هذه الفكرة هي الوحيدة المقتبسة من ابن تيمية، بل إن المنهج التجريبي الذي يدعي الغرب أنه هو الذي استحدثه، كان من نتاج الفكر الإسلامي، وقد اعترف بهذا المفكر الغربي (بريفولت) في كتابه: (بناء الإنسانية) حيث يقول: « إن روجر بيكون - واضع المنهج التجريبي بنظر الغرب - درس اللغة العربية والعلم العربي في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس، وليس لروجر بيكون ولا لسميّه - فرنسيس بيكون - الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يملَّ قط من التصريح بأن تعلُّم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة. والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي، هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوروبية.

وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشر انتشاراً

---

(١) جون ستيوارث مل: (١٨٠٦-١٨٧٣ م) فيلسوف واقتصادي إنكليزي، من أتباع المدرسة التجريبية، له كتاب: في المنطق الاستدلالي والاستنتاجي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واسعاً، وانكب الناس، في لهف، على تحصيله في ربوع أوروبا »[١].

وهو يعترف أن ازدهار أوروبا العلمي كان أصله الثقافة الإسلامية: « فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون في نشأة تلك الطاقة التي تكوّن ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة، وفي المصدر القوي لازدهاره – أي في العلوم الطبيعية وفي روح البحث العلمي ».

« أما ما ندعوه العلم، فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة، والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي »[٢].

ويوضح ابن تيمية التجربة التي يعنيها لتحصيل العلم بقوله: « ذلك أن التجربة تحصل بنظره واعتباره وتدبره، كحصول الأثر المعين دائراً مع المؤثر المعين دائماً، فيرى ذلك عادة مستمرة لا سيما إن شعر السبب المناسب فيضم المناسب إلى الدوران مع السبر والتقسيم »[٣]، وعمل السبر والتقسيم كما يقول ابن تيمية هو أن ينفي المزاحم أو يبعد العناصر الغريبة من التجربة، وما يحتج به الفقهاء في إثبات كون الوصف علة للحكم من دوران ومناسبة وغير ذلك، إنما يفيد المقصود على نفي المزاحم وذلك يُعلم بالسبر

(١) انظر كتاب: تجديد التفكير الديني في الإسلام، لمحمد إقبال ص ١٤٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠.

(٣) المرجع السابق ص ٣٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتقسيم .

فإن كان نفي المزاحم ظنياً كان اعتقاد العلية ظنياً، وإن كان قطعياً كان الاعتقاد قطعياً، إذا كان قاطعاً بأن الحكم لا بد له من علة، وقاطعاً بأنه لا يصح للعلة إلا الوصف الفلاني[١].

فما هو السبر والتقسيم؟

أطلق الأصوليون اسم السبر والتقسيم على القياس الشرطي المنفصل، وسماه الجدليون: « التقسيم والترديد » [٢].

ومعنى كل ذلك أن ما من شيء إلا وله مؤثر لا يوجد بدونه، وله كذلك ضد يعارض وجوده، ونستطيع الاستدلال على هذا الشيء بثبوت ملزومه وعلى انتفائه بانتفاء لازمه[٣].

ثالثاً: الاستقراء:

من المعلوم أن الاستقراء – حسب التعريف الميسر له – هو الانتقال من الوقائع إلى القوانين، والذي يعد من أسس التجربة العلمية. والفرق بينه وبين الاستنتاج الصوري أن هذا الأخير ينتقل من مقدمات نظرية ليصل إلى نتائج نظرية قد لا تكون لها صلة بالواقع .

بينما الاستقراء فإنه ينتقل من ظواهر الطبيعة الواقعية والقائمة على مبدأ العلية والاطراد .. إلى القوانين الطبيعية التي أوجدها الله في الكون ..

---

(١) المرجع السابق ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعمل الإنسان على اكتشاف هذه القوانين التي كان لها الأثر في التقدم العلمي الإنساني عن طريق التجربة ..

وابن تيمية نادى بهذا الطريق العلمي للوصول إلى اليقين العلمي، قبل أي عالم غربي .. إذ إن مصدر العلية عنده هو الخبرة الإنسانية، وهذا يعني أننا لا نصل إلى هذا التصور بالاستدلال المنطقي، كما أن العلية ليست فكرة قبلية راسخة في الذهن، ولكنها فكرة تقررت في الأذهان بعد الملاحظة المتكررة بين حادثة وأخرى أو ظاهرة وأخرى .

أما الدوران الذي يقول به ابن تيمية، وهو دوران الأثر المعين مع الأثر الآخر المعين، هو دوران العلة مع المعلول، وهو يعتقد أن الخبرة الإنسانية تدلنا على تتابع الظواهر الطبيعية واحدة بعد واحدة وعلى نحو ثابت ومتكرر، فما هو ثابت دائماً يسميه العلة وما هو تابع لذلك هو المعلول .

وقد وضع ابن تيمية شروطاً لأحداث التتابع الظاهر بين حدثين معينين أو ظاهرتين أو بين علة ومعلول .

فلا يكفي بنظر ابن تيمية أن توجد العلة لكي تنتج المعلول، بل يجب إثبات هذه العلة والتحقق من أنها هي فعلاً العلة الفاعلة التي أنتجت الأثر[1].

رابعاً: الاستدلال:

ويقصد به في هذا المجال الانتقال من مقدمات مسلمة البرهان أو واضحة للعيان إلى نتائج صحيحة لازمة ..

---

(١) منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، ص ١٦٧، وكذلك الرد على المنطقيين ص ٢٠٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعد ابن تيمية أسلوب الاستدلال من الأدلة العقلية على صحة الشرع، ونتائجه موافقة للشرع، وهو وسيلة لإفحام الخصم أو إقناعه وتسليمه بالمطلوب. ويبرهن ابن تيمية على انتشار الأدلة العقلية وكثرتها في الكتاب والسنة وتنوعها، وذلك رداً على المتفلسفة والمتكلمين الذين زعموا أن الرسول ﷺ لم يبين أصول الدين وأدلته العقلية .

ويسمي ابن تيمية ما جاء عن الرسل بـ (أدلة السمع) أو (دلالة السمع) في مقابل (أدلة العقل) لأن الأولى تبلغنا عن طريق السمع والأخبار[1] فيقول: « وأما إذا عرف أن دلالة السمع تتناول الأخبار، وتتناول الإرشاد والتنبيه، والبيان للدلائل العقلية، وأن الناس، كما يستفيدون من كلام المصنفين والمعلمين الأدلة العقلية التي تبين لهم الحق، فاستفادتهم ذلك من كلام الله أكمل وأفضل، فتلك الأدلة عقلية باعتبار أن العقل يعلم صحتها إذا نبَّه عليها، وهي شرعية باعتبار أن الشرع دلَّ عليها وهدى إليها؛ فعلى التقديرين تكون الأدلة حينئذ شرعية عقلية »[2].

وقد قسم ابن تيمية طرق الاستدلال في القرآن الكريم، وهي طرق شرعية وعقلية بالوقت نفسه، إلى طريقين :

أ – الاستدلال بالآيات القرآنية .

ب – الاستدلال بقياس الأَوْلى في القرآن .

---

(١) ابن تيمية، للأستاذ عبد الرحمن النحلاوي ص ٦٩-٧٠ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٦-٣٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أ – الاستدلال بالآيات القرآنية:

يفرق ابن تيمية بين الآية القرآنية وبين القياس المنطقي الذي قال به أرسطو .. فالآية القرآنية دليل وعلامة تؤكد عين المدلول، وليس غيره . وفي هذا تأكيد أن المدلول القرآني لا يكون أمراً كلياً مشتركاً بين المطلوب وغيره – فالشمس آية النهار ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٧] فنفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بوجود النهار [(١)]، وكذلك « آيات نبوة محمد ﷺ، نفس العلم بها يوجب العلم بنبوته بعينه، ولا يوجب أمراً كلياً مشتركاً بينه وبين غيره »[(٢)].

وكذلك آيات حدوث الإنسان الدالة على الخالق سبحانه وتعالى . وهو استدلال صحيح دلَّ عليه القرآن وأرشد إليه، فهو يجمع بين الأدلة العقلية البرهانية وبين الأدلة الشرعية، يقول ابن تيمية: « والقرآن مشتمل على هذا وهذا، ولهذا، إذا جادل يسأل عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها، لتقرير المخاطب بالحق، ولاعترافه بإنكار الباطل، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] وقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ

---

(١) الرد على المنطقيين ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٤٠] .

إلى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير المتضمن إقرارهم، واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب .

ثم قال مبيناً ميزة هذا الجدل القرآني: « فهو من أحسن جدل بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات، وإن لم تكن بينة معروفة، فإذا كانت بيِّنة معروفة كانت برهانية، والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم، بل بالقضايا والمقدمات التي تسلّمها الناس، وهي برهانية، وإن كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها »[1] .

ونقل ابن تيمية في كتابه « درء تعارض العقل والنقل » اعتراف أئمة النظار بما في القرآن من أدلة عقلية، فقال: « فإن الخطابي ذكر طريقين: أحدهما المعجزات ... والطريق الثاني: أن القرآن نبَّه على الأدلة العقلية الصحيحة، كما اعترف أئمة النظار بأن القرآن دَلَّ على الطرق العقلية ... ودعاهم إلى تدبره وتأمله، والاستدلال به على ثبوت ربوبيته . فقال ﷻ : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] إشارة إلى ما فيها من آثار الصنعة ولطيف الحكمة، الدالين على وجود الصانع الحكيم ».

فقد بين الخطابي بعض ما نبه عليه القرآن من الاستدلال بالآيات

(١) ابن تيمية، للأستاذ النحلاوي ص ٧١ – ٧٢ – ٧٣.ومجموعة الرسائل الكبرى ١ / ١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النفسية والأفقية وهي أدلة عقلية »[١].

ويعتمد الاستدلال العقلي الصحيح على الفطرة السليمة . يقول ابن تيمية: « إن في الفطرة السليمة قدرة على الاستدلال الصحيح ... وإن الفطرة إذا كانت صحيحة، وزنت بالميزان العقلي، وإن كانت فاسدة، لم يزدها المنطق إلا فساداً »[٢].

٢ – الاستدلال بقياس الأَولى في القرآن:

وهذه الطريقة في الاستدلال العقلي تعتمد على القول: إن ما يثبت لغير الله من كمال لا نقص فيه، فإنه ثابت لله بطريق الأولى، وهو أولى بصفة الكمال من الجميع، وما يتنزه غير الله عنه من النقائص والآفات، فإن التنزه لله أولى عن كل النقائص والآفات . [٣]

ويؤكد ابن تيمية أن قياس الأولى هذا هو الذي كان يستدل به السلف الصالح على أن لله صفات الكمال، وقد استعمله الإمام أحمد ومن كان قبله ومن كان من بعده من أئمة الإسلام، وبمثل ذلك القياس جاء القرآن في تقرير أصول الدين في مسائل التوحيد والصفات، والمعاد[٤]. ويبطل ابن تيمية جميع الأقيسة المنطقية إذا استعملت في العلم الإلهي، ويقرر أنها لا تقود إلا إلى الخطأ، ولا يصل بها الإنسان إلى اليقين فيقول: « لما سلك طوائف المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى

---

(١) ابن تيمية، للأستاذ النحلاوي ص ٧٤ . ودرء تعارض العقل والنقل ٨ / ٣٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٥.

(٣) الرد على المنطقيين ص ١٥٠.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اليقين، بل تناقضت أدلتهم وغلب عليهم الاضطراب والحيرة لما يرونه من فساد أدلتهم »[١].

ويقرر ابن تيمية أنه بهذا القياس الذي يعتمد على البراهين العقلية نستطيع الوصول إلى إدراك القدرة عند الله على الخلق، ثم القدرة على القيامة وبعث الأجساد بعد فنائها، وكذلك نستدل به على صفات الله تعالى وندرك بالبداهة العقلية أن خلق السموات والأرض أعظم بكثير من خلق الناس .

ونخلص إلى القول بأنه على الرغم من أن بعض العلماء من نقد المنطق اليوناني قبل ابن تيمية .. إلا أنه هو من نقده نقداً علمياً عميقاً .. وأطال في نقده، وألف فيه الكتب، حتى يزيل كل آثاره من عقلية المسلمين الذين تأثروا بالغزالي خاصة .. ويمكننا إيجاز ما قام به من إبداع في نقد المنطق بالنقاط الثلاثة الآتية[٢]:

١ – إن المنطق الأرسطي اليوناني يجعل الإنسان محبوس العقل واللسان وضيق العبارات والتصورات، في حين يريد هو أن يحرر الإنسان من قوالب الألفاظ ويرجع به إلى المعاني العقلية، ويدعو إلى صياغة الأدلة في عبارات الناس وفقاً للعقل الصريح ودون التقيد بالمنطق الأرسطي .

٢ – طريق المنطق اليوناني طريق ضيق و طويل، ومن يسلكه يتكلف ويتعثر، ثم إن من يسلك هذا الطريق يكون كمن تكون غايته بيان البين وإيضاح الواضح، وهو مؤدي به حتماً إلى السفسطة . فما من قضية كلية

(١) المرجع نفسه ص٢٩ .

(٢) منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، للدكتور محمد حسني الزين ص(ط و ي) من المقدمة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عامة ثابتة في العلوم إلا ونستطيع الانتقال منها إلى قضية جزئية دون واسطة المنطق، والعقل يدركها بلا قوالب ولا ألفاظ .

٣ – يعتبر أن المنطق اليوناني أمر اصطلاحي وضعه رجل من اليونان، ولا يحتاجه العقلاء بشيء في حياتهم، وطلب العلم ليس موقوفاً عليه، كما أن العلم يجب أن يكون حراً من الألفاظ، فيقول: « طريق العلم لا يكون باستخدام ألفاظهم، أمثال: فيلاسوفياً، وأنالوطيقاً، وأثولوجيا، ومثل تسميتهم للفعل بالكلمة، والحرف بالإرادة، لأن لغتهم تختص بهم يعبرون بها عن معانيهم »[١].

خامساً: الإلهام:

يُعرَّف الإلهام بأنه « إشراق المعرفة وانبثاقها دفعة واحدة، بدون مقدمات معينة أو تذكر لمحفوظ أو خبرة واضحة »[٢] .

فالإلهام بهذا المعنى طريق من طرق المعرفة عند جميع العلماء المحققين .. إلا أن المتصوفة خاصة عدوه الطريق الوحيد للمعرفة، وأن التربية الصوفية القاسية هدفها الوحيد الوصول إلى هذه الدرجة من المعرفة .. ونيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا الرأي نجده واضحاً عند الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » .

وغلا بعضهم أكثر من ذلك في تقدير الإلهام، إذ وضعه بمرتبة الوحي للأنبياء والرسل، حتى أصبح العارف الصوفي عندهم إنساناً لا حدود

---

(١) نقض المنطق، لابن تيمية ص ٢٩.

(٢) ابن تيمية، لعبد الرحمن النحلاوي ص ٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لإلهامه، قد انكشفت حجب الغيب أمامه، والتقى بالملأ الأعلى، وبأرواح الأنبياء والرسل جميعاً .. وهذا ما نجده عند ابن عربي الأندلسي [١] في كتابه « الفتوحات المكية » .

ويأتي ابن تيمية ويضع الإلهام في مرتبته الحقيقية، حيث وضعه فيها الكتاب والسنة، وينقد نقداً شديداً ابن عربي، ويبين انحرافه عن طريق الإسلام، وإلحاده بقوله في وحدة الوجود »، ويُخَطِّئ الغزالي في رأيه أن الإلهام الطريق الوحيد للمعرفة، ويبين أنه أحد طرق المعرفة، وهو نتيجة للتربية الإيمانية الملتزمة بالكتاب والسنة، لا أنه هدف كلي للإنسان، يحتاج إلى تربية صوفية معينة، مثل الخلوة والذكر المفرد وغيره، وعَدَّ ما يحصل للمريد الصوفي، إن هو إلا خيالات وأوهام لا أساس لها في المعرفة اليقينية[٢].

فالإلهام حق وليس باطلاً عند ابن تيمية، وهو علم صحيح لا يقبل النقض، يقول في كتابه: درء تعارض العقل والنقل: « وأما طريقة الإلهام، فالإلهام الذي يدعى في هذا الباب هو – عند أهله – علم ضروري لا يمكنهم دفعه عن أنفسهم، أو مستند إلى أدلة خفية لا تقبل النقض، فلا يمكن أن

---

(١) محيي الدين بن عربي (٥٦٠ – ٦٣١ هـ) صوفي أندلسي مشهور، غلا في طريق التصوف، وقال بوحدة الوجود التي تقول بوحدة الخالق والمخلوق .. وقد كفَّره كثير من العلماء بسبب هذا المذهب المخالف للعقيدة الإسلامية، وله مقام معروف في مسجد باسمه في مدينة دمشق .

(٢) ينقد ابن تيمية منهج المعرفة عند الصوفية عامة، وعند الغزالي خاصة في كتاب فتاوى الرياض ١٣/ ٢٣٠ – ٢٦٩، و ١٠/ ٣٩٣ – ٤٠٧، و٢/ ٥٧، وينقد ابن عربي في كثير من كتبه، ومن ذلك فتاوى الرياض ٢/ ١١٢ – ١٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكون باطلاً »[١].

ويدلل ابن تيمية على وجود الإلهام وواقعية حدوثه من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة، ففي القرآن الكريم نجد أن الإلهام أحد دلالات الهدى . يقول: « وقد يراد بالهدى الإلهام، ويكون الخطاب للمؤمنين المطيعين، الذين هداهم الله إلى طاعته، فإن الله تعالى أراد أن يتوب عليهم ويهديهم، فاهتدوا، ولولا إرادته لهم ذلك لم يهتدوا، كما قالوا: ﴿ الْحَمْدُ لِلّه الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣] »[٢]

« وفي الصحيحين عن النبي ﷺ، في حديث وابصة: (البر ما اطمأنت إليه النفس وسكن إليه القلب، والإثم ما حاك في نفسك وإن أفتاك الناس وأفتوك) وهو في السنن » .

« وفي صحيح مسلم عن النواس عن النبي ﷺ: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) ».

ويتابع ابن تيمية التدليل على وجود الإلهام بقوله: « فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن، يقيناً أوظناً، فالأمور الدينية كذلك بطريق الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج، لكن هذا في الغالب لابد أن يكون كشفاً بدليل، وقد يكون الدليل ينقدح في قلب المؤمن ولا يمكنه التعبير عنه، وهذا

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٤٦ .

(٢) فتاوى الرياض ١٠/ ٥٨٢ – ٥٨٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحد ما فسر به معنى الاستحسان »[١] .

ويقول ابن تيمية أيضاً: « وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة، فإن أهل الحق من هؤلاء لهم إلهامات صحيحة مطابقة، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر)، وفي الترمذي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله)، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] .

وقال بعض الصحابة: « أظنه – والله أعلم –: الحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم »، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) وفي رواية: (فيَّ يسمع، وفيَّ يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)[٢].

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول ويكتب بذلك إلى عماله: « احفظوا عن المطيعين لله ما يقولون، فإنه يتجلى لهم أمور صادقة ».

وبعد أن يدلل ابن تيمية على وجود الإلهام، وأنه طريق من طرق المعرفة، يبين طريق اكتسابه، وأنه يمكن للمؤمن أن يكون من الملهمين بإذن الله، فيقول: « فكلما استعمل العبد عقله، وعمل بعلمه، وأخلص في عمله،

(١) فتاوى الرياض ١٠/ ٤٧٦ – ٤٧٧ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٥١٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصفا ضميره، وجال بفهمه في بصيرة العقل، وذكاء النفس، وفطنة الروح، وذهن القلب، وقوى يقينه، ونفى شكه، وضبط حواسه بالآداب النبوية، وقام على خواطره بالمراقبة، وتحرى ترك الكذب في الأقوال الأفعال، وصار الصدق وطنه، وذهب عنه الرياء والعجب، وأظهر الفقر والفاقة إلى معبوده، وتبرأ من حوله وقوته، ولزم الخدمة، وقام بحرمة الأدب وحفظ الحدود والاتباع، وهرب من الابتداع ؛ زيد في معرفته وقويت بصيرته وكوشف بما غاب عن الأعيان، وصار من أهل الزيادة بحقيقة مادة الشكر الموجبة للمزيد »[1] .

الإلهام الرباني والإلقاء الشيطاني:

ويميز ابن تيمية بين الإلهام الذي يلهمه الله لعباده المؤمنين، وبين الهوى وما يلقي الشيطان على غير المؤمنين من الكافرين والعصاة، والميزان في ذلك هو الكتاب والسنة . يقول: « وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس، فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها، كانت غايته الذي لا يغني عن الحق شيئاً، كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب، أو خطاب ألقي إليهم اعتقدوا أنه من الله وكان من إلقاء الشيطان »[2] .

ويقول أيضاً: « وكذلك من اتبع ما يرد عليه من الخطاب، أو ما يراه من الأنوار والأشخاص الغيبية، ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة، فإنما يتبع ظناً لا يغني عن الحق شيئاً؛ فليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر، وقد

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٥١٨ .

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٥١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وافق عمر ربه في عدة أشياء، ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول ﷺ، ولا يقبل ما يرد عليه حتى يعرضه على الرسول، وكان إذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له، فيرجع إلى السنة، وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه، فيرجع إلى بيان الصديق وإرشاده وتعليمه »[1] .

سادساً: الخلاصة

أن الله خلق الإنسان مستعداً فطرياً للمعرفة، وإن كانت هناك فروق فردية في الاستعداد، من هنا يختلف الناس في القدرات العقلية.

وبصفة أن المنطق من وسائل الحصول على المعرفة لدى أرسطو، فإن ابن تيمية نقد هذا المنطق، بل إنه يعد أول من نقده، وبين أنه لا يوصل إلى المعرفة الحقة، وأن التجربة هي الطريق الموصل للمعرفة.

ومن هنا كان المنهج التجريبي قد اقتبسه الغرب من العقلية الإسلامية عن طريق بعض علمائهم أمثال (بيكون وبل).

ومن طرق هذا المنهج للوصول إلى المعرفة:

- الاستقراء وهو الانتقال من الوقائع إلى القوانين.
- والاستدلال، وهوا الانتقال من مقدمات برهانية واضحة إلى نتائج صحيحة .
- والإلهام وهو إشراق المعرفة دون مقدمات كما في الاستدلال.

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٥٥، ٥٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

صلة العقل بالإرادة والأخلاق والعاطفة

أولاً: العقـــــــل والإرادة.

ثانـــياً: العقـــل والأخـــلاق.

ثالـــثا: العقـــل والعاطفـــة.

رابعـــــاً: الخلاصـــــة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

صلة العقل بالإرادة والأخلاق والعاطفة

أولاً: العقل والإرادة:

نسعى هنا إلى إعطاء لمحة موجزة عن صلة العقل بالإرادة الإنسانية، وأثر العقل في العمل الذي يصدر عن الحركة الإرادية في تصور الإمام ابن تيمية -رحمه الله-.

أما الدراسة المفصلة للإرادة سيأتي بإذن الله في الكتاب الثاني الخاص بالنفس الإنسانية، والذي سيصدر بإذن الله بعد دراسة العقل هذه.

يقسم ابن تيمية الحركة في الإنسان إلى ثلاثة أنواع:

١-الحركة القسرية: وهي التي مبدؤها من غير المتحرك، كأن يُكْرِهَ شخص شخصاً آخر على عمل معين.

٢-الحركة الطبيعية: وهي التي مبدؤها من المتحرك ولكن دون شعور منه.

٣-الحركة الإرادية: وهي التي مبدؤها من المتحرك وبشعور منه.

ويتضح هذا التقسيم في قوله: « الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك، وإما من غيره، فما كان مبدؤها من غير المتحرك فهي القسرية الكرهية، وما كان مبدؤها من المتحرك، فإن كان على شعور منه فهي الإرادة، وإلا فهي الطبيعية »[1].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٧٤،٣٧٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يتصور كائن حي عاقل دون إرادة، لأنه لا يتصور إنسان دون حركة وإحساس، ومن ثم عمل يكون ثمرة هذه الإرادة، يقول ابن تيمية: « فإن الحي لا بد له من إرادة، فلا يمكن أن يكون حياً لا تكون له إرادة »[١].

ويقول: « كل إنسان همام حارث حساس متحرك بالإرادة، بل كل حي فهو كذلك له علم وعمل بإرادته »[٢].

ولكن ما هي الإرادة التي يقصدها ابن تيمية ؟ وهل هي فطرية أم مكتسبة؟

عن هذه الأسئلة يجيب ابن تيمية فيقول: « الإرادة هي المشيئة والاختيار، ولا بد في العمل الإرادي الاختياري من مراد وهو المطلوب، ولا يحصل المراد إلا بأسباب ووسائل تحصله، فإن حصل بفعل العبد فلا بد له من قدرة وقوة، وإن كان من خارج فلا بد من فاعل غيره، وإن كان منه ومن الخارج فلا بد له من الأسباب، كالآلات ونحو ذلك، فلا بد لكل حي من إرادة، ولا بد لكل مريد من عون يحصل به مراده.

فصار العبد مجبولاً على أن يقصد شيئاً ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده، هذا حتم لازم ضروري في صحة كل إنسان يجده في نفسه »[٣].

ونخلص إلى أن ابن تيمية يقصد بالإرادة ما يلي:

---

(١) فتاوى الرياض ١٠/ ٤٩٥.

(٢) المرجع السابق ١ / ٣٤.

(٣) المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١-أن الإرادة هي المشيئة والاختيار، وإذا انعدم الاختيار انعدمت الإرادة.

٢-أن العمل الإرادي لا بد له من مراد أو مطلوب أو غاية، وهذا يدل على أن السلوك غائي، وهو ما أثبته علماء النفس المحدثون.

٣-وأن العمل الإرادي حتى يصل إلى غايته لا بد له من أسباب ووسائل تحصله. ومن هذه الأسباب والوسائل: القدرة والطاقة عند الإنسان إن حصل المراد بفعله.

٤-أن الإرادة فطرية في الإنسان، وأن الله ﷻ خلقه، وخلق فيه الإرادة، والقدرة على تحقيق إرادته بمفرده، أو بالاستعانة بغيره.

وتتضح صلة العقل بالإرادة الإنسانية عند الإمام ابن تيمية حينما يؤكد أن أصلهما واحد، أي أن منبعهما ووسائلهما واحدة ... حيث يؤكد أن أصلهما هو القلب، ويأتي القلب بمعنى العقل عنده إن أريد به الإدراك والفقه. وبصفة أن التصور يسبق كلاً من الفكر الذي هو ثمرة العقل والإرادة حيث لا يتحقق المراد إلا بتصوره أولاً، ثم يتحول بالإرادة إلى العمل والسلوك ... والتصور أصله الدماغ، فهو مبدأ التصور، فالدماغ منه المبتدأ، وآثار التصور تنتهي في الدماغ.

يقول ابن تيمية مبيناً هذه النقاط العميقة في تسلسل منطقي متزن: « والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصل الإرادة، وأصل الإرادة القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلابد أن يكون القلب متصوراً، فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء »[١].

والإمام ابن تيمية حين يتحدث عن أهمية الدماغ بقوله: « فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء » كما مر آنفاً، في كل أمر إرادي أو عقلي، قد سبق عصره بمئات السنين، حيث لم يتوصل إلى هذه الأهمية إلا في العصر الحاضر، وبعد جهود مضنية للعلماء المعاصرين، توصلوا بعدها إلى أهمية الدماغ البشري للإحساس والإدراك والتصور والإرادة والخيال، وكل الأمور العصبية والنفسية.

ومن أهم ثمار العقل هو الوعي، الذي يعد الجزء التنفيذي في حياة الإنسان، فهو الذي يتخذ القرارات، وينفذها بعد اكتمال تصورها بالإرادة المفطورة فيه[٢].

ولا نريد أن ندخل في جدال حول الوعي ....:

- هل يمثل صفة مادية أم غير مادية ؟
- وهل العقل والدماغ شيء واحد ؟
- أم هما شيئان مختلفان ؟

حيث بُحثت هذه النقطة في فقرة صلة العقل بالدماغ آنفاً.

والذي يهم القارئ هو أن ابن تيمية يركز على العمل ونتائجه أكثر من

---

(١) فتاوى الرياض ٩/ ٣٠٤.

(٢) انظر أبجديات العقل البشري، د. محمد منير المعرّاوي، دار إيلاف، بريطانيا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البحث في أصول الأشياء وعلاقاتها بعضها ببعض ... حيث يؤكد أن العمل حتى يكون مثمراً ومفيداً لا بد وأن يسبقه عند الإنسان العاقل تصور دقيق لما يريده، ثم يتحرك لتنفيذ الصورة المطلوبة، وهذا التصور لا يكون إلا بالوعي أو بالعقل، وأداته هو الدماغ، مركز التخيل والتصور ... يقول - رحمه الله -: « العاقل الفاعل فعلاً باختياره يتصور ما يريد أن يفعله في نفسه، ثم يوجده في الخارج، فتلك الصورة الموجودة بفعله ليست هي الصورة المعقولة بذهنه، كمن أراد أن يصنع شكلاً مثلثاً أو مربعاً، أو يصف خطة، أو يبني داراً، أو يغرس شجرة، أو يسافر إلى مدينة، فإنه يتصور ما يريده ابتداء، فتكون له صورة عقلية في نفسه قبل صورته التي يوجدها في الخارج »[1].

وهكذا نجد أن مراحل العمل الإرادي أو الحركة الإرادية عند ابن تيمية - يرحمه الله - وفق هذا التسلسل:

١-العقل أو الوعي ← ٢-الإرادة ← ٣-التصور ← ٤-الهِمَّة ← ٥-العمل.

وهذه المراحل الخمس لا بد من وجودها كلها حتى يتحقق العمل أو الحركة الإرادية:

١-فلا بد للعمل من وعي لدى الفرد أو لدى المجتمع.

٢-وكذلك توافر الإرادة الحرة لديهما.

٣-وتبدأ الحركة الإرادية بتصور العمل المراد تنفيذه ذهنياً.

---

(١) درء تناقض العقل والنقل ١٠/ ٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤-وحتى ينتقل العمل إلى الخارج أو إلى التنفيذ لا بد من وجود الهمة، أو الحماسة نحو العمل، وإذا فقدت الهمة لدى الأفراد أو المجتمعات، تقاعست عن تنفيذ أهدافها وآمالها.

من هنا كان للعقل أهمية كبيرة في الإرادة، ومن هنا جاء قول ابن تيمية – رحمه الله –: « فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء » كما ذكرنا آنفاً.

ثانياً: العقل والأخلاق:

سنوضح هذه الفقرة من صلة العقل بالأخلاق من خلال ثلاث نقاط:

١-الأساس العقلي للسلوك الأخلاقي.

٢-الإلزام الخلقي ومصدره.

٣- السلوك الأخلاقي ودوافعه.

١-الأساس العقلي للسلوك الأخلاقي:

إن للعقل البشري أثراً فاعلاً ومهماً في حياة الإنسان الأخلاقية، وفي اختيار السلوك الأخلاقي في الحياة الاجتماعية الإسلامية، في كيفية التعامل مع الناس وتنظيم العلاقات معهم، لذلك كان من وظائف العقل عند الإمام ابن تيمية التمييز بين الحسن والقبيح، والنافع والضار، فيقترب من الحسن والنافع، ويبتعد عن القبيح والضار، يقول ابن تيمية: « أخص خصائص العقل عند الإنسان أن يعلم ما ينفعه، ويفعله، ويعلم ما يضره وما يتركه »[1].

(١) الرد على المنطقين ص ٤٢٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويؤكد ابن تيمية على أن أثر العقل في إدراك الحسن والقبيح نابع من القوة الفطرية لدى الإنسان، يقول: « الناس إذا قالوا: العدل حسن، والظلم قبيح، فهم يعنون بهذا أن العدل محبوب للفطرة يحصل لها بوجوده لذة، وفرح، ونافع لصاحبه ولغير صاحبه، وتتنعم به النفوس »[1].

وهذه القوة الفطرية نابعة من تكوين النفس الإنسانية الأولى حيث خلقها الله ﷻ وعرَّفها الخير والشر ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٧-٨]، وهداها أيضاً إلى طريقي الفضيلة والرذيلة،﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩].

وهكذا - كما يقول ابن تيمية -: فإن « الناس بفطرتهم يميلون إلى الصفات الخيّرة مثل العدل والخير والجمال، كما ينفرون بفطرتهم من الاتجاهات الخلقية الشاذة والمنحرفة، إذ يشعرون بغرابتها عن فطرتهم، وهذا الميل أو النفور يعززه إدراك العقل الصريح التام لدوافع الميل، ودواعيه من خير أو سرور أو لذة أو غير ذلك ...

ومن هذا يتضح أن أثر الفطرة يكمله إدراك العقل، وأنه ليس بينهما تنافر بأي حال من الأحوال »[2]. ولذا يقرر ابن تيمية أن الإنسان « إذا كان تام العقل، علم أن العلم والعدل والصدق ينفعه، وتصلح به نفسه، وتلتذ،

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣٠.

(٢) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، د. محمد عبد الله عفيفي ص ٦٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأن الكذب والظلم يضره، ويفسد نفسه ويؤلمها »[١].

وفكرة الأساس العقلي للسلوك الأخلاقي يصورها القرآن الكريم حين يتحدث عن موقف أصحاب النار حين يقولون: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وحين يتحدث عن موقف المنافقين حين تتوزعهم الأهواء وتباعد بينهم الغايات بقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُون﴾ [الحشر: ١٤].

٢ - الإلزام الخلقي ومصدره:

يرد في هذا المقام سؤالان:

- هل بقيت الفطرة نقية خالصة حتى يكون تأثيرها فاعلاً في المجال الخلقي؟

- وهل خلص العقل من المؤثرات الخارجية غير الخلقية حتى يقرر ما هو خير؟

والواقع يثبت أنهما انحرفا عن طريقهما، ومن هنا كانت الحاجة إلى التوجيه الإلهي من خلال الرسل عليهم السلام ...

ولذا نستطيع أن نقول: إن مصدر « الإلزام الخلقي هو قوة الإيمان المعتمدة على العقل الخالص، والفطرة المستقيمة، مع الاحتكام إلى نور الشرع »[٢]. ويقول ابن تيمية: « فإن مبنى العقل على صحة الفطرة،

(١) الرد على المنطقيين ص ٤٣٠.

(٢) النظرية الخلقية عند ابن تيمية ص ٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسلامتها، ومبنى السمع على تصديق الأنبياء صلوات الله عليهم »[١] .

وكل من الفطرة السليمة والشريعة يكمل بعضهما بعضاً للوصول إلى العمل الأخلاقي الصالح، يقول ابن تيمية: « وذلك الأمر والنهي والوعد والوعيد (في الشرع) هو تكميل للفطرة، وكل منهما عون على الآخر، فالشريعة تكميل للفطرة الطبيعية، والفطرة الطبيعية مبدأ وعون على الإيمان بالشرع والعمل به، والسعيد من دان بالدين الذي يصلحه فيكون من أهل العمل الصالح في الآخرة، والشقي من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذي جاءت به الشريعة »[٢].

وهكذا نتوصل إلى أن مصدر الإلزام الخلقي يقوم على أسس ثلاث:

١- الفطرة.

٢- والعقل.

٣- ثم الشرع الذي يعطي الحكم النهائي على العمل الأخلاقي.

٣- السلوك الأخلاقي ودوافعه:

مر معنا أن من معاني العقل عند ابن تيمية علم يحصل بالغريزة، وأيضاً: العمل بهذا العلم[٣]، فإذا لم يعمل بهذا العلم فلا يعد عاقلاً، وهكذا فإن العقل هو الذي يدفع إلى العمل الصالح، وعدم العمل بما يقتضيه العقل،

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٣٢٣.

(٢) مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لابن تيمية ص ٤٥٢.

(٣) فتاوى الرياض ٧/ ٥٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعد من الجهل الذي يودي بصاحبه إلى الشقاء، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، ويقول القرآن عن المنافقين :﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤]. فالعقل إذاً هذه القوة الباطنة في الإنسان، هو الذي يوجه الإنسان إلى الخير والعمل الصالح، ويبعده عن الشر والرذيلة .

وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم حينما صور حال الكافرين :﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون ﴾ [الطور: ٣٢].

وهذه الآية تبين قاعدة مهمة لدوافع السلوك الأخلاقي لدى الإنسان، هذه القاعدة المستندة على العقل المستنير بهدى الشرع.

وهكذا فإن العقل قوة دافعة نحو السلوك الخلقي، ولا ((يسمى عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه))[1] .

وهكذا نجد أن القوة العقلية، المفطورة في الإنسان، يمكن أن تغلب القوى الأخرى، المفطورة فيه أيضاً، مثل قوة الشهوة، وقوة الغضب، وبهذه الغلبة يسمو الإنسان حتى يصبح خيراً من الملائكة، يقول ابن تيمية – رحمه الله –: ((قوى الإنسان ثلاث: قوة العقل، وقوة الغضب، وقوة الشهوة .. فأعلاها القوة العقلية التي يختص بها الإنسان دون سائر الدواب، وتشركه فيها الملائكة، كما قال أبو بكر عبد العزيز من أصحابنا وغيره: خلق للملائكة عقول بلا شهوة، وخلق للبهائم شهوة بلا عقل، وخلق للإنسان

(١) الإيمان الكبير، لابن تيمية ص ٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عقل وشهوة، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه »[١] .

ويبين ابن تيمية أن لهذه القوى رذائل وفضائل، رذائل ينحط بها الإنسان حتى يصل إلى درجة البهيمة، وفضائل يسمو بها حتى يصل إلى درجة أفضل من الملائكة.

ومن رذائل هذه القوى:

- الكفر الذي هو اعتداء وفساد في القوة العقلية الإنسانية .
- وقتل النفس الذي هو اعتداء وفساد في القوة الغضبية .
- والزنا الذي هو اعتداء وفساد في القوة الشهوية[٢].

أما فضائل هذه القوى فهي:

- فضيلة العقل والعلم والإيمان، التي هي كمال القوة المنطقية.
- وفضيلة الشجاعة التي هي كمال القوة الغضبية، وكمال الشجاعة هو الحلم.
- وفضيلة العفة التي هي كمال القوة الشهوية.
- وفضيلة العدالة التي هي صفة منتظمة للثلاث المذكورة آنفاً.

ويعد ابن تيمية أن الشجاعة والعفة والعدالة هي الأخلاق العملية

---

(١) فتاوى الرياض ١٥/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) المرجع السابق ١٥/ ٤٣٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للمسلم[١].

ولكن هل كل ما نراه خيراً هو خير، وما نراه شراً هو شر بحسب عقولنا ...؟

ألا يحتاج الإنسان إلى ضابط للعقل يهديه إلى الحسن والقبح، والخير والشر؟

هنا يأتي دور الوحي، الذي يوجه العقل إلى الطريق المستقيم.

والله ﷻ بوحيه يهدي العقل لكل ما هو خير وما هو شر ..

لأنه هو خالقه، وهو العليم به ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وعِلْم الإنسان محدود، وإدراكه محدود، وحواسه محدودة. أما الغيب فلا يعلمه إلا الله ... وما قد يتصوره أنه خير قد يحوي في باطنه الشر، وما يتصور أنه شر، قد يكون الخير فيه. قال تعالى: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويعالج ابن تيمية – رحمه الله – مسألة دقيقة تتعلق بالسلوك الأخلاقي ودوافعه الفطرية. تدور هذه المسألة حول عمل الإنسان الأخلاقي النابع من هذه الدوافع الفطرية، ويقوم به الإنسان لمجرد محبته للأمور الحسنة، لا يعمله

---

(١) المرجع السابق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لوجه الله تعالى، فهل يقدح هذا بعمله ؟ وهل عمله من الرياء أو الإشراك بالله ﷻ ؟

يجيب ابن تيمية عن هذه المسألة الدقيقة فيقول: « فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه، فهو يفعله لما فيه من المحبة له، لا لله، ولا لغيره من الشركاء، مثل أن يحب الإحسان إلى ذوي الحاجات، ويحب العفو عن أهل الجنايات، ويحب العلم والمعرفة وإدراك الحقائق، ويحب الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم، فإن هذا كثير غالب في الخلق في جاهليتهم وإسلامهم، في قوتي النفس العلمية والعملية، فإن أكثر طلاب العلم يطلبونه محبة، ولهذا قال أبو داود للإمام أحمد بن حنبل: طلبت هذا العلم – أو قال-: جمعته لله ؟ فقال: لله عزيز، ولكن حبب إلي ففعلته.

وهذا حال أكثر النفوس، فإن الله ﷻ خلق فيها محبة للمعرفة والعلم وإدراك الحقائق، وقد يخلق فيها محبة للصدق والعدل والوفاء بالعهد، ويخلق فيها محبة للإحسان والرحمة للناس، فهو يفعل هذه الأمور: لا يتقرب بها إلى أحد من الخلق، ولا يطلب مدح أحد، ولا خوفاً من ذمه، بل لأن هذه الإدراكات والحركات يتنعم بها الحي ويلتذ بها، ويجد بها فرحاً وسروراً، كما يلتذ بمجرد سماع الأصوات الحسنة، وبمجرد رؤية الأشياء البهجة، وبمجرد الرائحة الطيبة »[1].

وبعد أن يذكر ابن تيمية وجود هذه الدوافع الفطرية للسلوك الأخلاقي عند الإنسان بعامة، يقوِّم هذا السلوك بالميزان الإسلامي العادل

(١) رسالة فيما إذا كان في العبد محبة لابن تيمية ص ٤٤٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنصف، وبمحاكمة عقلية سليمة فيقول: ((إن محبة هذه الأمور الحسنة ليس مذموماً ولا محموداً ، ومن فعل هذه الأمور لأجل المحبة لم يكن مذموماً ولا معاقباً، ولا يقال إن هذا عمله لغير الله، فيكون بمنزلة المرائي والمشرك، فذاك هو الشرك المذموم، وأما من فعلها لمجرد المحبة الفطرية فليس بمشرك، ولا هو أيضاً متقرباً بها إلى الله، حتى يستحق عليها ثواب من عمل لله وحده، بل قد يثيبه عليها بأنواع من الثواب: إما زيادة فيها من أمثالها، فيتنعَّم بذلك في الدنيا، ولهذا كان الكافر يجزى على حسناته في الدنيا وإن لم يتقرب بها إلى الله، ولو كان فعلُ كل حسن إذا لم يفعل لله مذموماً يستحق به صاحبه العقاب لما أُطعم الكافر بحسناته في الدنيا إذا كانت تكون سيئات لا حسنات، وإذا كان قد تنعَّم بها في الدنيا ويُطعم بها في الدنيا، فقد يكون من فوائد هذه الحسنات ونتيجتها وثوابها في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه، فيكون له عليها أعظم الثواب في الآخرة ...

وهذا معنى قول بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. وقول الآخر لما قيل له: إنهم يطلبون الحديث بغير نية، فقال: طلبهم له نية، يعني نفس طلبه حسن ينفعهم))[1].

ويختم ابن تيمية هذا التصور الإسلامي الدقيق للأساس الفطري للأخلاق بقوله: ((وعلى هذا فما ذكره الإمام أحمد[2] عن نفسه هو حسن، وهو حال النفوس المحمودة المستقيم حالها، ومن هذا قول خديجة رضي الله عنها

(١) المرجع السابق ص ٤٥٠ .

(٢) المذكور آنفاً عندما قال: ''لله عزيز، ولكن حبب إليَّ ففعلته''.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للنبي ﷺ: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. فهذه الأمور يفعلها محبة لما خُلق على ذلك وفُطر عليه، فعلمت أن النفوس المطبوعة على محبة الأمور المحمودة، وفعلها لا يوقعها الله فيما يضاد ذلك من الأمور المذمومة، لما قال لها: قد خشيت على نفسي. قالت كلا والله لا يخزيك الله أبداً ... الحديث »[1].

ويربط ابن تيمية – رحمه الله – بين الدوافع الفطرية للأفعال المحمودة في نفسها وحركة الإرادة وحركة الإرادة الإنسانية النابعة منها، والثواب والعقاب والأمر والنهي الذين هم تكميل للفطرة، ويتوصل إلى أن الشريعة تكميل للفطرة الطبيعية، والفطرة الطبيعية عون على الإيمان بالشرع والعمل به... يقول: « وهذا الحب والإحساس الذي خلقه الله في النفوس هو الأصل في كل حسن وقبح وكل حمد وذم، فإنه لولا الإحساس الذي يعتدُّ به في حب حبيب وبغض بغيض لما وجدت حركة إرادية أصلاً تحرك شيئاً من الحيوان باختياره، ولما كان أمر ونهي وثواب وعقاب؛ فإن الثواب إنما هو بما تحبه النفوس وتتنعم به، والعقاب إنما هو ما تكره النفوس وتتعذب به، وذلك إنما يكون بعد الإحساس، فالإحساس والحب والبغض هو أصل ما يوجد في الدنيا والآخرة من أمور الحي، وبه حسن الأمر والنهي والوعد والوعيد، وذلك الأمر والنهي والوعد والوعيد هو تكميل للفطرة، وكل منهما عون على الآخر، فالشريعة تكميل للفطرة الطبيعية، والفطرة الطبيعية مبدأ وعون على الإيمان بالشرع والعمل به، والعبد من دان بالدين الذي

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها: رقم ٤٩٥٣ (كتاب التفسير، سورة اقرأ) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يصلحه فيكون من أهل العمل الصالح في الآخرة، والشقي من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذي جاءت به الشريعة، فهذا هذا والله أعلم »[١].

ثالثاً: العقل والعاطفة

العاطفة بصفتها جزءاً من الحياة الوجدانية لدى الإنسان، لم تذكر لدى شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله - بهذا الاسم، وإنما يطلق عليها الحب والكره والهوى والعشق ... إلخ .

وهكذا يجد القارئ أن ابن تيمية قد تحدث عن حب الله ورسوله، وحب الخير وحب الجمال والسعادة ، وكراهية الكبر والشر والشيطان والقبح والشقاء، وهذه كلها من العواطف الإنسانية الفطرية في الإنسان .

ويهمنا في هذه الفقرة ودون توسع[٢] تبيان معنى العاطفة في علم النفس الحديث ومدى انطباقها على مفهومها لدى ابن تيمية .

تعريف العاطفة كما يعرفها علم النفس الحديث استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شيء، أو شخص، أو جماعة، أو فكرة معينة. ففيها إذن انفعال، وتصور، وفعل، كالعواطف الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية[٣].

وتتميز العاطفة بطول البقاء والاستمرار، أما الانفعال فحالة عابرة

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥٢ .

(٢) موضوع العاطفة سيبحث في الكتاب الثاني من هذه الدراسات، وعنوانه: (النفس عند شيخ الإسلام ابن تيمية).

(٣)انظر المعجم الفلسفي ، جميل صليبا .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تغلب عليها الصبغة الوجدانية، ومن أمثلة العواطف: الحب والكراهية والصداقة[١].

العاطفة وابن تيمية:

نجد أن مفهوم العاطفة في علم النفس الحديث لا يخرج عن مفهومها لدى ابن تيمية، فعاطفة الحب لديه، هي استعداد فطري ونفسي، بل دافع فطري كدافع الطعام، والجنس، والاجتماع، يقول: « فإن في المحبوب من المعنى المناسب ما يقتضي انجذاب المحب إليه كما ينجذب الإنسان إلى الطعام ليأكله، وعلى امرأة ليباشرها وإلى صديقه ليعاشره، وكما تنجذب قلوب المحبين لله ورسوله والصالحين من عباده لما اتصف به سبحانه من الصفات التي يستحق لأجلها أن يحب ويعبد »[٢].

وقد فطر الله الناس على هذه العاطفة لحفظ الإنسان والحياة واستمرارها بقدر الله في الحياة الدنيا، والمقصود فيها في نهاية الأمر بقاء البشرية لعبادة الله تعالى، يقول - يرحمه الله -: « والله تعالى خلق في النفوس حب الغذاء وحب النساء لما في ذلك من حفظ الأبدان، وبقاء الإنسان، فإنه لولا حب الغذاء لما أكل الناس ففسدت أبدانهم، ولولا حب النساء لما تزوجوا فانقطع النسل، والمقصود بوجود ذلك بقاء كل منهم ليعبدوا الله وحده ويكون هو المعبود لذاته الذي لا يستحق ذلك غيره »[٣].

---

(١)انظر معجم مصطلحات علم النفس،منير وهيبة الخازن، دار النشر للجامعيين (دون تاريخ).

(٢)فتاوى الرياض ١٠/ ٦٠٦، ٦٠٧.

(٣)فتاوى الرياض : ١٠/ ٦٠٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويتحدث ابن تيمية عن العواطف المتعددة لدى الإنسان، ويؤصلها على عاطفتي الحب والكراهية، فهو يتحدث عن حب الخير وكراهية الشر، وحب التواضع وكراهية الكبر، وحب الجمال والسعادة واللذة، وكراهية القبح والشقاء والألم، وحب المعرفة وكراهية الجهل »[١].

ويحدثنا ابن تيمية ووفق التصور الإسلامي السليم، عن انحراف العاطفة، وتحولها إلى هوى يأسر قلب المسلم، ويزيفه عن فطرته التي فطره الله عليها، يقول - رحمه الله -: « إن المتبعين لشهواتهم من الصور والطعام والشراب واللباس يستولي على قلب أحدهم ما يشتهيه حتى يقهره ويملكه، ويبقى أسير ما يهواه[٢]. وقد ذكرنا سابقاً[٣]، كيف أن صورة المحبوب تستولي على الشخص فلا تفارقه ولا يستطيع إبعادها وصرفها عنه، كما يستولي الأسد على الفريسة، فلا تستطيع الفريسة الحراك بين يديه، وهو ما يعرف في علم النفس الحديث بالعاطفة السائدة.

ويحدثنا ابن تيمية في مواضع كثيرة من فتاويه عن درجات الهوى، ودور الشيطان في ذلك من المشركين الذين اتبعوا أهواءهم دون علم وعقل، وحتى أولئك الذين أصبحوا عبيداً لما يحبون من اللباس والأثاث، والمال وغير ذلك من محبوبات الإنسان في هذه الحياة الدنيا[٤].

---

(١)انظر فتاوى الرياض : ١٠/ ٦٠٧، ٦٠٨.

(٢) فتاوى الرياض ١٠/ ٦١١.

(٣)الفصل الثاني، فقرة (العاطفة السائدة).

(٤)انظر فتاوى الرياض ١٠/ ٦١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويبين ابن تيمية - رحمه الله - أن هؤلاء لم يستعملوا عقولهم، ولم يعملوا بالعلم الذي جاءهم، ومن هنا جاء قول أهل النار: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠] حيث إنهم لم يعملوا بما ينفعهم ويدفعوا ما يضرهم بالنظر في العواقب[١].

وهكذا فإننا نجد العقل عند ابن تيمية يكبح جموح الهوى، والحب المنحرف، ويسدده نحو طريق النجاة، وإن ضعف هذا العقل هو الذي يؤدي بالإنسان إلى الفساد والابتعاد عن طريق الله. يقول - رحمه الله -: « نعم قد يسلك المحب لضعف عقله، وفساد تصوره طريقاً لا يحصل بها المطلوب، فمثل هذه الطريق لا تحمد إذا كانت المحبة صالحة محمودة فكيف إذا كانت المحبة فاسدة، والطريق غير موصل كما يفعله المتهورون في طلب المال والرئاسة والصور في حب أمور توجب لهم ضرراً، ولا يحصل لهم مطلوباً، وإنما المقصود الطرق التي يسلكها العقل لحصول مطلوبه »[٢].

وعاطفة الحب لدى ابن تيمية تزيد وتنقص، وزيادتها إذا كانت مسترشدة بهدى الله وبالعقل تبقى سليمة ومحمودة، أما إذا زادت عن حدّها وتحولت إلى عشق فهنا يكمن خطر العاطفة المتزايدة على الإنسان ودينه وعقله، يقول - يرحمه الله - محللاً عاطفة الحب تحليلاً عميقاً، ومبيناً تطورها لدى بعض الناس: « مثال ذلك أن الإنسان يعلم من نفسه تفاضل الحب الذي يقوم بقلبه، سواء كان حباً لولده أو لامرأته أو لرياسته أو وطنه أو

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٩/ ١٢٢.

(٢) فتاوى الرياض ١٠/ ١٩٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صديقه أو صورة من الصور أو خيله أو بستانه أو ذهبه أو فضته، وغير ذلك من أمواله، فلما أن الحب أوله علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة الأنصاب القلب نحوه، ثم غرامٌ للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه، ثم يصير عشقاً إلى أن يصير تتيماً - والتتميم التعبد ، وتيم الله عبد الله - فيصير القلب عبداً للمحبوب، مطيعاً له لا يستطيع الخروج عن أمره، وقد آل الأمر بكثير من عشاق الصور إلى ما هو معروف عند الناس، مثل من حمله على قتل نفسه وقتل معشوقه، أو الكفر أو الردة عن الإسلام، أو أفضى به إلى الجنون وزوال العقل، أو أوجب خروجه عن المحبوبات العظيمة من الأهل والمال والرياسة، أو إمراض جسمه »[(١)].

وهكذا فإننا نلمح في فكر ابن تيمية أن العاطفة والعقل أمران مهمان للإنسان، وبهما تتشكل ذاته، وأن لا صراع بينهما إلا إذا ضعف دور العقل، وزادت العاطفة عن حدها، هنا تغلب العاطفة العقل، ويختل التوازن النفسي بينهما، فينحرف الإنسان تبعاً لذلك عن طريق الهدى والفطرة السليمة.

أما إذا سار باتزان على طريق الهدى والعلم والاستقامة، فإنهما يشكلان المؤمن المفعم قلبه بالإيمان، محباً لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[(٢)].

وقد تنحرف العاطفة أيضاً عند طوائف من الناس:

---

(١)فتاوى الرياض ٧/ ٥٦٦ ، ٥٦٧.

(٢)المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- فأصحاب البدع يدّعون حبَّ الله وحبَّ رسوله، وهم لا يتبعون الرسول في القول والعمل، وهؤلاء منحرفون وكاذبون في حبهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه ﴾ [آل عمران: ٣١]، يقول ابن تيمية عن هؤلاء: « وهكذا أهل البدع، فمن قال: إنه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه، فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة، فإن البدع التي ليست مشروعة، وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله، فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله، فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر »[(١)].

- ومنهم أيضاً بعض الصوفية الذين يبالغون في المحبة لله ورسوله - كما يقولون - حتى يصلوا إلى درجة العشق التي أشرنا إليها آنفاً، ويزيدون هذا الحب عن طريق الأشعار والسماع، يقول ابن تيمية: « وصار في بعض المتصوفة من يطلب تحريكها أي المحبة بأنواع من سماع الحديث كالتغبير وسماع المكاء والتصدية فيسمعون من الأقوال والأشعار ما فيه تحريك جذوة الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من حب، بحيث يصلح لمحب الأوثان والصلبان والإخوان والأوطان والمردان والنسوان كما يصلح لمحب الرحمن، ولكن كان الذي يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والإمكان والخلان، وربما اشترطوا له الشيخ الذي يحرس من الشيطان، ثم توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا فيه إلى أنواع

(١) فتاوى الرياض ٨/ ٣٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المعاصي، بل إلى أنواع من الفسوق، بل خرج فيه طوائف إلى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد »[١].

ونخلص إلى أن العاطفة، بصلتها بالعقل، لها آثار مفيدة وآثار ضارة:

- أما الآثار المفيدة فتظهر بالإيمان وحب الله ورسوله، وحب المؤمنين، فضلاً عن حب الإنسان لأهله وولده ورحمتهم، وحبه لوطنه، وما يدفعه هذا الحب إلى الخلق الحسن مع جميع الخلق، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدفعه أيضاً إلى التضحية بالنفس والمال إن تعرض هؤلاء لمكروه.

- أما الآثار الضارة فهي سيطرة العاطفة على شخصية الإنسان وعلى عقله وحكمته وسلوكه كله، فتتلون شخصية الإنسان بلون العواطف، فتصبح العواطف هي السائدة، مثل عاطفة حب النساء والمال والجاه والمنصب واللباس ... فيصبح هؤلاء جميعا محور تفكيره وشغله الشاغل ... حتى يستبعد من قبلها، فيبتعد عن طريق الله المستقيم المتوازن، فضلاً عن الآثار المترتبة عن العشق عند الصوفية، حتى يصل ببعضهم إلى السكر – في مصطلحهم – أو الفناء[٢] ... ومن ثم الخروج من دائرة التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، يقول الشاعر الإسلامي الكبير محمد

---

(١) المصدر السابق ١٠/ ٦١-٦٤.

(٢) السُكْر: ضد الصحو، وهو من أحوال الصوفية، حيث يغيب فيها الإنسان عن وعيه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إقبال[١]: « إن حالة السكر (في اصطلاح الصوفية) تنافر الإسلام وقوانين الحياة، وحالة الصحو، وهي الإسلام، موافقة قوانين الحياة، وإنما قصد الرسول ﷺ إلى إنشاء أمة صاحية (في حالة الصحو) »[٢].

وكما ذكرنا آنفاً عن ابن تيمية - رحمه الله - أن العشق في مصطلح التصوف إذا قوي لدى المسلم، فإنه يخرجه عن الإسلام وشريعته، فإن محمد إقبال - رحمه الله - يكرر المقولة نفسها، حينما نقد التصوف العجمي[٣] وشعراءه قائلاً: « وقد افتن هؤلاء الشعراء في إبطال شرائع الإسلام بأساليب عجيبة خداعة... وأبانوا عن وجه مذموم في كل أمر ممدوح في الإسلام، وأضرب الجهاد مثلاً؛ فقد التمس شعراء العجم معنى آخر في هذه الشعيرة التي يراها الإسلام من ضرورات الحياة، انظر إلى هذه الرباعية:

« يسلك الغازي كل سبيل من أجل الشهادة، ولا يدري أن شهيد العشق أفضل منه، كيف يستوي هذا وذاك يوم القيامة، هذا قتيل العدو، وذاك قتيل الحبيب »[٤].

والعقل أيضاً قد ينحرف، وذلك حين يتخلى عن الوحي والإيمان،

---

(١)محمد إقبال: شاعر ومفكر إسلامي كبير، ولد في ٢٤ من ذي الحجة ، سنة ١٢٨٩هـ (٢٢ شباط سنة ١٨٧٣م) في سيالكوت بالهند قبل نشوء باكستان، وهي الآن جزء من باكستان، وكان له الأثر الكبير في نهضة المسلمين في الهند وإنشاء دولة باكستان. وتوفي عام ١٩٣٨م.

(٢)محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، عبد الوهاب عزام ص ٦٣ .

(٣)محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، عبد الوهاب عزام ص ٦٥ .

(٤) محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، عبد الوهاب عزام ص ٦٥ . والرباعية من شعر حافظ الشيرازي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويباهي بنظرياته وحدوسه، ظاناً أنه توصل إلى الحقيقة، وإلى سعادة الإنسان بينما هو لم يحصل إلا إلى ظنون وأوهام لا حقيقة وراءها ... ورأينا عند دراستنا العقل عند الإمام ابن تيمية - الفصل الثاني من هذه الدراسة - كيف أن ابن تيمية حكم على الفيلسوف اليوناني أرسطو ومن تبعه ممن يسمون بفلاسفة الإسلام أمثال الفارابي والكندي وغيرهم، أنهم لم يتوصلوا إلا إلى أوهام، وأن أنواع العقول التي يقولون بها ما هي إلا أوهام، وأن نظرياتهم موجودة في الأذهان لا في الأعيان .

ونجد هذا الانحراف كثيراً في أيامنا هذه، وبخاصة عند العقلانيين من ذراري المسلمين ... الذين عشقوا الفلسفة الغربية ومقولاتها الظنية، وأخذوا يتغنون بها في مقالاتهم ومحاوراتهم، بل أخذوا يفسرون القرآن وفق هذه المقولات حتى بعدوا عن الإسلام وشرائعه ... وهم مع ذلك، ما زالوا يدَّعون الإسلام، ولا أدري كيف يجتمع حب الله ورسوله وحب (هيغل وكانت وغاندي) في قلب مؤمن .

رابعاً: الخلاصة

- أن الإرادة التي هي فطرية في الإنسان كالعقل، ضرورية ومهمة جداً لتحقق العمل عند ابن تيمية، الذي يرى أن مراحل الحركة الإدارية تبدأ بالوعي، أو العقل ثم الإدارة، ثم التصور، ثم الهمة، ثم العمل
- وأن للعقل أثراً فاعلاً في حياة الإنسان الأخلاقية، وأن مصدر الإلزام الخلقي هو الإيمان المعتمد على العقل الخالص والفطرة السليمة مع الاحتكام إلى الشرع .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- وأن للعاطفة صلة عميقة بالعقل، ولهذه الصلة آثار مفيدة، وآثار ضارة، فمن الآثار المفيدة تقوية إيمان المؤمن وحب الله ورسوله.

ومن الآثار الضارة سيطرة العاطفة على سلوك الإنسان وانحرافه عن جادة الصواب في الدين والدنيا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاتمة

وبعد ...

فنود أن نجمل النقاط والأفكار والمبادئ التي ذكرها ابن تيمية – يرحمه الله – خلال دراستنا للعقل لديه، لتكون ثبتاً لدى القارئ المسلم المثقف، ومن ثم الاستفادة منها نظرياً وعملياً بإذن الله.

١- منهج القرآن في الاستدلال لإثبات الحقائق الغيبية، وإبداء مقاصد الشريعة أبلغ من كل منهج.

٢- إن العقل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين أمر يقوم بالعاقل، سواء سمي عرضاً أم صفة، ليس عيناً قائمة بنفسها، وقد أنكر ابن تيمية الأحاديث النبوية التي ذكرت العقل ورفعته إلى درجة عالية، مثل حديث (أول ما خلق الله العقل ...) وعد الحديث موضوعاً باتفاق علماء الحديث.

٣- عملية الإدراك تبدأ بالإدراك الحسي وتنتهي بالإدراك العقلي.

٤- الإحساس نوعان: نوع بلا واسطة: كالإحساس بنفس الشمس والقمر والكواكب، وإحساس بواسطة: كالإحساس بالشمس والقمر والكواكب في مرآة أو ماء أو نحو ذلك.

٥- إن الحس نوعان: ظاهر وباطن، والإنسان يحس بباطنه الأمور الباطنة، كالجوع والعطش والشبع والري والحزن واللذة والألم ونحو ذلك من أحوال النفس .

٦- الحواس الباطنة ضرورية لإدراك الصور والمعاني الجزئية، وإن هذا الإدراك يكتمل بالإدراك العقلي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧- الوهم والخيال ليسا كما يتصورهما الفلاسفة، حيث هم يخلطون بين قوى الخيال والوهم والعقل.

٨- التصور له فائدة كبيرة من حيث اكتمال العمل في الخارج، فالتصور يسبق القول والعمل.

٩- العاطفة السائدة هي أن تستولي الصورة على الشخص فلا تفارقه .. وهذه الصورة المسيطرة نجدها لدى الذين يتبعون هواهم.

١٠- الإدراك الحسي هو إدراك الجزئيات المادية بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة وما يتبعها من قوة التخيل والتصور في الإنسان.

١١- الإدراك العقلي هو إدراك المفاهيم والحقائق العامة والمعاني الكلية كمفهوم الحياة والنطق .

١٢- العقل عَرَض أو صفة بالذات العاقلة، وقول ابن تيمية ''عرض '' أي أنه ليس جوهراً قائماً بنفسه كما هو في لغة الفلاسفة اليونانيين، وعند من تبعهم من فلاسفة المسلمين، أمثال الكندي والفارابي وابن سينا، لذلك رفض ابن تيمية كل ما تصوره الفلاسفة عن العقل، وعده كفراً أو ضلالاً.

١٣- وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون الضار، كما هي عند الإمام أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي.

١٤- وقد يراد بالعقل العلم الذي يحصل بالغريزة، أو العمل بالعلم، وهو جلب ما ينفع الإنسان ودفع ما يضره في العواقب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٥- العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا [الحج: ٤٦] ﴾.

١٦- قد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً، فإن قلب الشيء باطنه، كقلب اللوزة والجوزة، وقد سمي القلب قلباً لأنه أخرج قلبه وهو باطنه .

١٧- أضاف ابن تيمية إلى قوله: إن العقل متعلق بالقلب، أن العقل متعلق بالدماغ على قول الأطباء .. وقال: إن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب ..

١٨- لا يفهم من قول ابن تيمية إن العقل متعلق بالدماغ أن العقل والدماغ شيء واحد، وقوله إن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، يعني أن الدماغ هو المجرى الذي يسير فيه الفكر والنظر العقلي، وهذا ما قال به في العصر الحاضر الفيلسوف الفرنسي برغسون. وهكذا فقد سبق ابن تيمية برغسون بستة قرون في هذا القول.

١٩- قيمة العقل عند ابن تيمية وفضله كبير، حيث هو مناط التكليف وأساس صحة العبادة، وأساس قبول العمل، وشرط في العلم والمعرفة، وهو أخيراً الذي أثنى عليه الله وذكره.

٢٠- مصدر العقائد هو الوحي والنبوة والكتاب والسنة، والعقل مؤيد لها ووسيلة لفهمها وإدراكها .. لذا فالنقل متقدم على العقل.

٢١- لا يوجد تعارض بين صريح العقل وصحيح النقل .. فمن أين إذاً جاء التعارض بين العقل والنقل في رأي البعض ؟ يجيب ابن تيمية: إن التعارض جاء إما من النقل غير الصحيح، أو من الشبهات الفاسدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي يعلم بالعقل بطلانها ..

٢٢- الغيب هو كل ما غاب عن الإنسان واقعاً وعقلاً، مثل الأمور المتعلقة بذات الله، واليوم الآخر ... والإيمان بالغيب هو من أركان الإيمان.

٢٣- الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه.

٢٤- فلاسفة اليونان – كما يقول ابن تيمية – من أجهل الناس بأمور الغيب، أو ما يطلق عليها بالإلهيات.

٢٥- إن فلاسفة الإسلام المتأثرين بالفلسفة اليونانية أمثال ابن سينا والفارابي والكندي، فيهم من الضلال والتناقض ما لا يخفى على الأذكياء من الصبيان .. ولم يستفيدوا من نور الهداية الذي كان بمتناول أيديهم ..

٢٦- إن للعقل حدوداً لا يستطيع تجاوزها، لذلك يقصر باعه عن الإحاطة بالحقائق الغيبية، والذي يريد التوصل إلى الحقائق الغيبية عن طريق العقل، مثله مثل رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يَزِنَ به الجبال.

٢٧- التأويل في اللغة هو من آل الشيء يؤول إلى كذا، أي رجع إليه،أو التفسير والمرجع والمصير، كما جاء في لسان العرب.

٢٨- والتأويل في المصطلح: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله لدليل دلَّ على ذلك، وهو لدى المتأخرين كما يقول ابن تيمية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٩- يؤكد ابن تيمية أن معنى التأويل في القرآن هو المعنى اللغوي الظاهر للفظ، وليس المعنى الاصطلاحي، وهو تأويل السلف نفسه.

٣٠- إن الإدراك العقلي يعتمد أولاً على الاستعداد الفطري للمعرفة، وبهذا الاستعداد يتميز الإنسان عن باقي الحيوان.

٣١- يتفاوت الناس في الاستعداد الفطري للمعرفة العقلية، وهو ما يطلق عليه علم النفس الحديث « الفروق الفردية ».

٣٢- سبق ابن تيمية (الفريد بينيه) عالم النفس الفرنسي الذي لاحظ تفاوت التلاميذ في القدرات والتحصيل والذكاء في تقرير هذه الحقيقة، في أن الناس متباينون في نفس عقلهم الأشياء من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير وجليل ودقيق وغير ذلك ..

٣٣- يعد ابن تيمية هو أول من تحرر من الفكر اليوناني في تبيان ماهية العقل. مع العلم أن الغزالي نقد الفلسفة اليونانية، إلا أنه بقي أسير المنطق الأرسطي.

٣٤- بين ابن تيمية عقم المنطق الأرسطي، ونقده نقداً لاذعاً، ومن ثم بين طريق المعرفة الصحيح الموصل إلى اليقين العلمي. وهذا الطريق يقوم على التجربة التي يعدها ابن تيمية وحدها التي تؤدي إلى تكون العلوم العقلية اليقينية.

٣٥- اقتبس (جون ستيوارت مل) فكرة اشتراك الحس والعقل بتكوين العلم، بقياس الغائب على الشاهد، من ابن تيمية، وادعاها بعد ذلك لنفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٦- قال المفكر الغربي (بريفولت) في كتابه (بناء الإنسانية): إن العلم التجريبي الذي قامت عليه المدنيةالغربية، هو منهج عربي، وإن روجر بيكون - واضع العلم التجريبي بنظر الغرب - درس اللغة العربية والعلم العربي في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس.

٣٧- الاستقراء هو الانتقال من الوقائع إلى القوانين، أما الاستنتاج الصوري فهو الانتقال من المقدمات النظرية إلى نتائج نظرية قد لا تكون لها صلة بالواقع.

٣٨- لا يكفي - بنظر ابن تيمية - أن توجد العلة لكي تنتج المعلول، بل يجب إثبات هذه العلة والتحقق من أنها هي فعلاً العلة الفاعلة التي أنتجت الأثر.

٣٩- الاستدلال هو الانتقال من مقدمات مُسلَّمة البرهان، أو هي واضحة للعيان إلى نتائج صحيحة لازمة.

٤٠- الاستدلال - عند ابن تيمية - يعد من الأدلة العقلية على صحة الشرع فنتائجه موافقة للشرع.

٤١- القرآن نبَّه على الأدلة العقلية الصحيحة، ودلَّ على الطريق، ودعاهم على تدبره وتأمله، والاستدلال به على ثبوت ربوبيته. فقال: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون ﴾ إشارة إلا ما فيها من آثار الصنعة ولطيف الحكمة، الدالين على وجود الصانع الحكيم.

٤٢- المنطق الأرسطي اليوناني يجعل الإنسان محبوس العقل واللسان وضيق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العبارات والتصورات، في حين يريد هو أن يحرر الإنسان من قوالب الألفاظ ويرجع إلى المعاني العقلية.

٤٣- الإلهام: إشراق المعرفة وانبثاقها دفعة واحدة دون مقدمات معينة، أو تذكر لمحفوظ، أو خبرة واضحة. وهو بهذا المعنى طريق من طرق المعرفة.

٤٤- غلا بعض المتصوفة في تقدير الإلهام، إذ وضعه بمرتبة الوحي للأنبياء والرسل، ومنهم ابن عربي في (الفتوحات المكية).

٤٥- عند ابن تيمية أن الإلهام أحد طرق المعرفة، لا الطريق الوحيد كما هو عند الغزالي ..

٤٦- يميز ابن تيمية بين الإلهام الرباني والإلقاء الشيطاني، فالأول يلهمه الله لعباده المؤمنين، والثاني يلقيه الشيطان على غير المؤمنين، والميزان في ذلك هو الكتاب والسنة .

٤٧- الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك، وإما من غيره، فما كان مبدؤها من غير المتحرك فهي القسرية، وما كان مبدؤها من المتحرك، فإن كان على شعور منه فهي الإرادة، وإلا فهي الطبيعية .

٤٨- لا يتصور حي عاقل دون إرادة .

٤٩- كل إنسان همام حارث حساس متحرك بالإرادة .

٥٠- إن الإرادة هي المشيئة والاختيار، وإذا انعدم الاختيار انعدمت الإرادة.

٥١- إن العمل الإرادي لا بد له من مراد أو مطلوب أو غاية، وهذا يدل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على أن السلوك غائي – كما يرى ابن تيمية – وهو ما قال به علماء النفس المحدثون بعدة قرون.

٥٢- إن الإرادة فطرية في الإنسان، وإن الله خلقه وخلق فيه الإرادة .

٥٣- العاقل الفاعل فعلاً باختياره يتصور ما يريد أن يفعله في نفسه، ثم يوجده في الخارج.

٥٤- مراحل العمل الإرادي عند ابن تيمية: العقل أو الوعي ← الإرادة ← التصور ← الهمَّة ← العمل .. وهذه المراحل الخمس لا بد من وجودها كلها حتى يتحقق العمل أو الحركة الإرادية .

٥٥- أخص خصائص العقل عند الإنسان أن يعلم ما ينفعه ويفعله، ويعلم ما يضره ويتركه، وهو أمر فطري لدى الإنسان .

٥٧- لم تبق الفطرة نقية خالصة، لذا ضعف تأثيرها في المجال الخلقي، وبانحراف الفطرة كانت الحاجة إلى التوجيه الإلهي من خلال الرسل عليهم السلام .

٥٨- مصدر الإلزام الخلقي هو قوة الإيمان المعتمدة على العقل الخالص والفطرة المستقيمة مع الاحتكام إلى نور الشرع .

٥٩- إن مبنى العقل على صحة الفطرة وسلامتها، ومبنى السمع على تصديق الأنبياء عليهم السلام .

٦٠- الفطرة السليمة والشريعة يكمل بعضهما بعضاً للوصول إلى العمل الأخلاقي الصالح .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦١- مصدر الإلزام الخلقي يقوم على أسس ثلاث: الفطرة والعقل ثم الشرع الذي يعطي الحكم النهائي على العمل الأخلاقي .

٦٢- خلق الله في كل النفوس محبة لكثير من القيم الأخلاقية والعلمية، مثل الصدق والعدل والوفاء بالعهد، والعلم والمعرفة، فمن يفعل هذه الأمور لمحبتها فقط لا لله، فلا يُعَدُّ مذموماً ولا محموداً، ولا يقال إن هذا عمله لغير الله .. ويثاب عليها بزيادة من أمثالها، فيتنعّم بها في الدنيا .

٦٣- هذا الحب والإحساس للقيم الأخلاقية، الذي خلقه الله في النفوس هو الأصل في كل حسن وقبح وكل حمد وذم، فإنه لولا الإحساس الذي يعتد به في حب حبيب وبغض بغيض لما وجدت حركة إرادية أصلاً تحرك شيئاً من الحيوان باختياره .

٦٤- إن الإرادة التي هي فطرية في الإنسان كالعقل، ضرورية ومهمة جداً لتحقق العمل عند ابن تيمية، الذي يرى أن مراحل الحركة الإدارية تبدأ بالوعي، أو العقل ثم الإدارة، ثم التصور، ثم الهمة، ثم العمل

- وأن للعقل أثراً فاعلاً في حياة الإنسان الأخلاقية، وأن مصدر الإلزام الخلقي هو الإيمان المعتمد على العقل الخالص والفطرة السليمة مع الاحتكام إلى الشرع .

- وأن للعاطفة صلة عميقة بالعقل، ولهذه الصلة آثار مفيدة، وآثار ضارة، فمن الآثار المفيدة تقوية إيمان المؤمن وحب الله ورسوله.

ومن الآثار الضارة سيطرة العاطفة على سلوك الإنسان وانحرافه عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جادة الصواب في الدين والدنيا.

هذه نقاط مهمة جداً في فكر ابن تيمية – يرحمه الله – تعطي صورة واضحة عن عقلية كبيرة، اهتمت بالإنسان بعامة، وعقله بخاصة ... وكل غايته، هو اهتداء هذا العقل إلى الصراط المستقيم، طريق الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ملحق -

نصوص أخرى لابن تيمية

لم ترد في الدراسة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١- العقل: عرض وليس عيناً قائمة بنفسها

((العقل)) في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين: هو أمر يقوم بالعاقل، سواء سمي عرضاً أو صفة، ليس هو عيناً قائمة بنفسها، سواء سمي جوهراً أو جسماً أو غير ذلك، وإنما يوجد التعبير باسم ((العقل)) عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه في كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون في العقل والنفس، ويدعون ثبوت عقول عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من أتباع أرسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين، ومن تلقى ذلك عنهم من المنتسبين إلى الملل[١].

٢- العقل والعاقل والمعقول

ولفظ ((العقل)) إذا أريد به المصدر فليس المصدر هو العاقل الذي هو اسم الفاعل، ولا المعقول الذي هو اسم مفعول، وإذا أريد بالعقل جوهر قائم بنفسه فهو العاقل، فإذا كان يعقل نفسه أو غيره فليس عين عقله لنفسه أو غيره هو عين ذاته.

وكذلك إذا سمي عاشقاً ومعشوقاً بلغتهم، أو قيل: ((محبوب ومحب)). بلغة المسلمين، فليس الحب والعشق هو نفس العاشق ولا المحب، ولا العشق ولا الحب هو المعشوق ولا المحبوب، بل التمييز بين مسمّى المصدر ومسمى اسم الفاعل واسم المفعول، والتفريق بين الصفة والموصوف مستقر في فطرة العقول ولغات الأمم، فمن جعل أحدهما هو الآخر كان قد أتى من السفسطة بما لا يخفى على من يتصور ما يقول، ولهذا كان منتهى هؤلاء

(١) فتاوى الرياض: ١٠/ ٢٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات [١].

٣- العقل والنقل

وذلك لأن القائل الذي قال: العقل أصل الشرع، به عُلمت صحته، فلو قدمنا عليه الشرع للزم القدح في أصل الشرع.

يقال له: ليس المراد بكونه أصلاً له: إنه أصل في ثبوته في نفس الأمر، بل هو أصل في علمنا به، لكونه دليلاً لنا على صحة الشرع.

ومعلوم أن الدليل مستلزم لقيمة المدلول عليه، فإذا قُدِّر بطلان المدلول عليه لزم بطلان الدليل، فإذا قُدِّر عند التعارض أن يكون العقل راجحاً والشرع مرجوحاً، بحيث لا يكون خبره مطابقاً لمخبره لزم أن يكون الشرع باطلاً، فيكون العقل الذي دلَّ عليه باطلاً، لأن الدليل مستلزم للمدلول عليه، فإذا انتقص المدلول اللازم وجب انتفاء الدليل الملزوم قطعاً.

أما إذا قُدِّم الشرع، فإن المقدَّم له قد ظفر بالشرع ولو قدر مع ذلك بطلان الدليل القطعي، لكان غايته أن يكون الإنسان قد صدق بالشرع بلا دليل عقلي، وهذا مما ينتفع به الإنسان بخلاف من لم يبق عنده لا عقل ولا شرع. فإن هذا قد خسر الدنيا والآخرة، فكيف والشرع يمتنع أن يناقض العقل المستلزم لصحته. وإنما يناقض شيئاً آخر ليس هو دليل صحته، بل ولا يكون صحيحاً في نفس الأمر [٢].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ١/ ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ٥/ ٢٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- العقول العشرة لدى الفلاسفة

وقد ذهب الفلاسفة أهل المنطق إلى جهالات [ومن ذلك] قولهم: أن الملائكة هي العقول العشرة، وأنها قديمة أزلية، وأن العقل رب ما سواه، وهذا شيء لم يقل مثله أحد من اليهود والنصارى ومشركي العرب، ولم يقل أحد أن ملكاً من الملائكة رب العالم كله ويقولون أن العقل مبدع كل ما تحت فلك القمر، وهذا أيضاً كفر لم يصل إليه أحد من كفار أهل كتاب ومشركي العرب ... [١].

ويقولون: إن الملائكة هي العقول العشرة أو القوى الصالحة في النفس وأن الشياطين هي القوى الخبيثة، وغير ذلك من عرف فساده بالدلائل العقلية، بل بالضرورة من دين الرسول [٢].

٥- العقل ومكانه:

فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، و« قيل لابن عباس: بما نلت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول ». لكن لفظ القلب قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها علقة سوداء، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ : « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا

---

(١) فتاوى الرياض: ٩/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) فتاوى الرياض: ٩/ ١٠٤-١٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فسدت فسد لها سائر الجسد ». وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً فإن قلب الشيء باطنه، كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك، ومنه سمي القلب قليباً لأنه أخرج قلبه وهو باطنه، وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضاً ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ، كما يقول كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ [١].

٦- الحس، الإحساس:

فالحس نوعان: حس ظاهر يحسه الإنسان بمشاعره الظاهرة، فيراه ويسمعه ويباشره بجلده، وحس باطن، كما أن الإنسان يحس بما في باطنه من اللذة والألم والحب والبغض والفرح والحزن والقوة والضعف وغير ذلك.

والروح تحس بأشياء لا يحس بها البدن كما يحس من لا يحصل له نوع تجريد بالنوم وغيره بأمور لا يحس بها غيره.

ثم الروح بعد الموت تكون أقوى تجرداً، فترى بعد الموت وتحس بأمور لا تراها الآن ولا تحس بها [٢].

٧- الصورة، التصور، الوهم:

ومن المعلوم أن مقدَّرات الأذهان ومتصوَّرات العقول يحصل فيها ما لا وجود له في الخارج، تارة بأن لا يوجد ما يطابقه وهو الوهم، وتارة مع

---

(١) فتاوى الرياض: ٩/ ٣٠٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ٦/ ١٠٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجـود ما يطابقه كمطابقة الاسم للمُسمَّى، والعلم للمعلوم، وهو مطابقة ما في الذهن لما في الخارج، ومطابقة الصورة العلمية لمعلوماتها الخارجية.

وإذا قيل في هذه الصورة: إنها كلية، فهو كقولنا في الاسم: إنه عام.

والمـراد بذلك أنها مطابقة لأفرادها، مطابقة اللفظ العام والمعنى العام لأفـراده، وهـي مطابقـة معلومة متصورة لكل عاقل، لا تحتاج إلى نظير، وإذا شـبهت بمطابقـة الصـورة التي في المرآة للمرآة، أو مطابقة نقش الخاتم للشمع ونحـو ذلـك، كـان ذلك تقريباً وتمثيلاً وإلا فالحقيقة معلومة وكل عاقل يعلم مثل هذا من نفسه [1].

٨- الخيال والوهم، الحس الظاهر والحس الباطن:

والمقصـود أن يعـرف اصطلاحهم ومرادهم بلفظ الخيال والوهم ونحو ذلـك، وأن الخـيال هـو تصـور الأعـيان المحسوسة في الباطن، والوهم تصور المعـاني الـتي ليسـت محسوسـة في تلك الأعيان، وكلاهما تصور معين جزئي والعقل هو الحكم العام الكلي الذي لا يختص بعين معينة ولا معنى معين.

وإذا عـرف ذلـك فـيقال: هذه القوة في الباطن بمنزلة القوى الحسية في الظاهـر والقـدح فـيها كالقدس في الحسيات، وهذه القوة لا يجوز أن يناقض تصـورها لـلمعقول، كمـا لا يـناقض سـائر القـوى الحسـية لـلمعقول، لأن المعقـولات أمور كلية تتناول هذا المعين وهذا المعين، سواء كان جوهراً قائماً بنفسه أو معنى في الجوهر والحس الباطن والظاهر، لا يتصور إلا أموراً معينة

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٥/ ١٣٧-١٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا منافاة بينهما فالحس الظاهر يدرك الأعيان المشاهدة وما قام بها من المعاني الظاهرة كالألوان والحركات، والذي سموه الوهم جعلوه يدرك ما في المحسوسات من المعاني التي لا تدرك بالحس الظاهر، كالصداقة والعداوة ونحو ذلك والتخيل هو بمثل تلك المحسوسات في الباطن ولهذا جعلوا الإدراكات ثلاثة: الحس والتخيل والعقل [١].

٩- التعلق بالصور يوجب فساد العقل:

وأما الفائدة الثانية في غض البصر: فهو نور القلب والفراسة، قال تعالى عن قوم لوط: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢] فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه ... وذكر الله سبحانه آية النور عقب آيات غض البصر، فقال: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] وكان شجاع بن شاه الكرماني لا تخطي له فراسة. وكان يقول: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات -وذكر خصلة سادسة أظنه هو أكل الحلال-: لم تخطئ له فراسة والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب [٢].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٦/ ٢٣-٢٤.

(٢) فتاوى الرياض: ١٥/ ٤٢٥-٤٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠- التأويل:

وأما بلفظ التأويل في التنزيل فمعناه: الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها فتأويل ما أخبر به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، وتأويل ما أخبر عنه عن نفسه هو نفسه المقدسة الموصوفة بصفاته العلية.

وهذا التأويل لا يعلمه إلا الله ولهذا كان السلف يقولون: الاستواء معلوم والكيف مجهول فيثبتون العلم بالاستواء: وهو التأويل الذي بمعنى التفسير، وهو معرفة المراد بالكلام حتى يتدبر ويعقل ويفقه، ويقولون: الكيف مجهول: وهو التأويل الذي انفرد الله بعلمه وهو الحقيقة التي لا يعلمها إلا الله.

وأما التأويل بمعنى: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل من تأول: استوى بمعنى استولى، ونحوه فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته [1].

١١- منطق أرسطو:

يا منطق اليونان ما أفسده ... وعن طريق الحق ما أبعده

ولسهيل الغي ما أطلبه ... وعن سبيل الرشد ما أهربه

وبقضايا الإفك ما أحذقه ... وفي خلاف الصدق ما أصدقه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٥/ ٣٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي قضـــاياه فمـــا أكذبـــه وفي انتقاض الحكم ما أعجبه
وإن تقـل مـا فـيه مـا أظهـره ولصـريح العقـل ما أذهبه[١]

١١- المنطق اليوناني:

أمـا بعـد فإني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينـتفع بـه البلـيد، ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأيت صدق كثير منها، ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه وكتبت في ذلك شيئاً.

***

وهؤلاء يقولون:إن المنطق ميزان العلوم العقلية،ومراعاته تعصم الذهن عـن أن يغلـط في فكـر، كمـا أن العروض ميزان الشعر، والنحو والتصريف ميزان الألفاظ العربية المركبة والمفردة، وآلات المواقيت موازين لها.

ولكـن ليس الأمر كذلك فإن العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بني آدم مـن أسـباب الإدراك، لا تقـف عـلى ميزان وضعي لشخص معين، ولا يقلد في العقليات أحد بخلاف العربية، فإنها عادة لقوم لا تعرف إلا بالسماع، وقوانيـنها لا تعـرف إلا بالاسـتقراء بخـلاف مـا بـه يعرف مقادير الكيلات، والموزونات، والمزروعات، والمعدودات، فإنها تفتقر إلى ذلك غالباً لكن تعيين ما به يكال ويوزن بقدر مخصوص أمر عادي[٢].

وقـد كانـت الأمـم قبـلهم تعـرف حقـائق الأشياء بدون هذا الوضع،

(١) قـال المحقـق: ''وجدت هذه الأبيات بخط ابن تيمية في ظهر أحد المخطوطات''. انظر: درء تعارض العقل ولنقل ١/ ٦٣.

(٢) الرد على المنطقيين، ص٣، إدارة ترجمان السنة،لاهور،باكستان،١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعامة الأمم بعدهم تعرف حقائق الأشياء بدون وضعهم[١].

وجماهير العقلاء من جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهم لوضع أرسطو، وهم إذا تدبروا أنفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الأشياء بدون هذه الصناعة الوضعية[٢].

١٢- الكليات ووجودها:

فإذا قال القائل: (إنسان) كان للفظه وجود في لسانه، وللمعنى وجود في ذهنه، ووقوع هذا على زيد وعمر كوقوع هذا على زيد وعمر، وهذا هو المعنى الذي سميته معقولاً، وجعلته معقولاً صرفاً وهل يكون المعقول الصرف إلا في الحي العاقل؟ فإن المعقول الصرف الذي لا يتصور وجوده في الحس هو ما لا يوجد إلا في العقل، وما لا يوجد إلا في العقل لم يكن موجوداً في الخارج عن العقل فالتفتيش الذي أخرج من المحسوس ما ليس بمحسوس أخرج منه المعقولات المحضة التي يختص بها العقلاء، وهي الكليات الثابتة في حقول العقلاء فإن الإنسان إذا تصور زيداً أو عمراً ورأى ما بينهما من التشابه انتزع عقله من ذلك معنى كلياً معقولاً، لا يتصور أن يكون موجوداً في الخارج عن العقل.

فهذا هو وجود الكليات، وهذه الكليات المعقولة أعراض قائمة بالذات العاقلة، لا توجد إلا بوجودها، وتعدم لعدمها، وليس بينها وبين الموجودات الخارجية تلازم، بل يمكن وجود أعيان في الخارج من غير أن

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٦- ٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعقل الإنسان كلياتها، ويمكن وجود كليات معقولة في الأذهان لا حقيقة لها في الخارج، كما يعقل الأنواع الممتنعة لذاتها وغير ذلك، فمن استدل على إمكان الشيء ووجوده في الأعيان بإمكان تصوره في الأذهان كان في هذا المقام أضل من بهيم الحيوان [١].

١٤- الإلهام:

وأما طريقة الإلهام، فالإلهام الذي يدعى في هذا الباب هو عند أهله علم ضروري، لا يمكنهم دفعه عن أنفسهم، أو مُستندٌ إلى أدلة خفية لا تقبل النقض فلا يمكن أن يكون باطلاً.

وأما الاستدلال على الأحكام بالإلهام، فتلك مسألة أخرى ليس هذا موضوعها، والكلام في ذلك متصل بالكلام على الاستحسان والرأي وأنواعهما، وأن ما يعينه هذا بالاستحسان قد يعينه هذا الإلهام وليس الكلام فيما عُلم فساده من الإلهام لمخالفته دليل الحس والعقل والشرع، فإن هذا باطل بل الكلام فيما يوافق هذه الأدلة لا يخالفها [٢].

١٥- المادة والصورة:

والتحقيق: أن المادة والصورة لفظ يقع على معان كالمادة والصورة الصناعية والطبيعية والكلية والأولية.

فالأول: مثل الفضة إذا جعلت درهما وخاتماً وسبيكة ... ونحو ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٥/ ١٣٣-١٣٤.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا ريب أن المادة هنا التي يسمونها الهيولى: هي أجسام قائمة بنفسها، وأن الصورة أعراض قائمة بها فتحوُّل الفضة من صورة إلى صورة هو تحولها من شكل إلى شكل، مع إن حقيقتها لم تتغير أصلاً.

والثاني: من معاني المادة والصورة: هي الطبيعية، وهي صورة الحيوانات والنباتات والمعادن ونحو ذلك، فهذه إن أريد بالصورة فيها نفس الشكل الذي لها، فهو عرض قائم بجسم، وليس هذا مراد الفلاسفة، وإن أريد بالصورة نفس هذا الجسم المتصور، فلا ريب أنه جوهر محسوس قائم بنفسه [١].

١٦- العلم والعمل:

إن الخير (يكون) بمعرفة الحق واتباعه في العلم والعمل جميعاً وصلاح القول والعمل بالعلم والإرادة. والعلم أصل العمل، وأصل الإرادة والمحبة وغير ذلك. وهو مستلزم له ما لم يحصل معارض مانع. فالعلم يوجب اتباعه إلا لمعارض راجح، مثل اتباع الهوى بالاستكبار ونحوه. كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد رأت الحق اتبعته وأحبته ، إذ الحق نوعان:

- حق موجود، فالواجب معرفته، والصدق في الإخبار عنه، وضد ذلك الجهل والكذب.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٣/ ٨٤-٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- وحق مقصود وهو النافع للإنسان، فالواجب إرادته والعمل به، وضد ذلك إرادة الباطل واتباعه [١].

١٧ - محبة العمل الصالح والعلم النافع من الفطرة:

ومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل، ومحبة الصدق دون الكذب، ومحبة النافع دون الضار.

وكذلك أيضاً إذا اندفع عن النفس المعارض من الهوى والكبر والحسد، وغير ذلك: أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح، كما إن الحسد إذا اندفع عنه المرض أحب ما ينفعه من الطعام والشراب، فكل واحد من وجود المقتضى وعدم الدافع سبب للآخر، وذلك سبب لصلاح حال الإنسان، وضدهما سبب لضد ذلك فإذا ضعف العلم غلبه الهوى (لدى) [٢] الإنسان، وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضى والدافع فالحكم للغالب [٣].

١٨ - فضائل قوى الإنسان:

وباعتبار هذه القوى (أي قوة العقل وقوة الغضب وقوة الشهوة) كانت الفضائل ثلاثاً: فضيلة العقل والعلم والإيمان، التي هي كمال القوة المنطقية، وفضيلة الشجاعة التي هي كمال القوة الغضبية، وكمال الشجاعة

---

(١) فتاوى الرياض: ١٥/ ٢٤٠-٢٤١.

(٢) في الأصل فراغ، ووضعت الكلمة لإتمام المعنى.

(٣) الفتاوى: ١٥/ ٢٤١-٢٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو الحلم، كما قال النبي ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) ... كما أن كمال القوة الشهوية العفة، فإذا كان الكريم عفيفاً والسخي حليماً، اعتدل الأمر[١].

١٩- طرق العلم:

وهذه الطرق الثلاثة: السمع، والبصر، والعقل هي طرق العلم:

- فالبصر: -وهو المشهود الباطن والظاهر- يدرك ما في هذه الحركات والإرادات من الملاءمة المتأخرة والمنفعة والمضرة العاجلة.

- السمع: -وهو وحي الله وتنزيله- يخبر بما يقصر الشهود عن إدراكه من منفعة ذلك ومضرته في الدار الآخرة.

- والقلب: يعقل هذا المشهود وهذا المسموع، فلا بد من أن يعقل ما أمر الله به واخبر، كما لا بد أن يعقل ما شدنا وما حسسنا فيعقل الشهادة والغيب، بمعنى ضبط العلم بجريان ذلك على وجه كلي ثابت في النفس[٢].

٢٠- الحسن والقبح في العقل والشرع:

فالناس في مسألة التحسين والتقبيح على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط.

- الطرف الواحد: قول من يقول بالحسن والقبح ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل لازمة له، ولا يجعل الشرع إلا كاشفاً عن تلك الصفات، لا سبباً

---

(١) الفتاوى: ١٥/ ٤٣٢.

(٢) مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه لابن تيمية، ص ٧٤٧-٧٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لشيء من الصفات، فهذا قول المعتزلة وهو ضعيف وإذا ضم إلى ذلك قياس الرب على خلقه فقيل: ما حسن من المخلوق حسن من الخالق، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق، ترتب على ذلك أقوال القدرية الباطلة وما ذكروه في التحوير والتعديل ...

- وأما الطرف الآخر: فهو قول من يقول: إن الأفعال لم تشتمل على صفات هي أحكام ولا على صفات هي علل للأحكام، بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر لمحض الإرادة، لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر، ويقولون: إنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله وينهى عن عبادته وحده، ويجوز أن يأمر بالظلم والفواحش وينهى عن البر والتقوى والأحكام التي توصف بها الأحكام مجرد نسبة وإضافة فقط، وليس المعروف في نفسه معروفاً عندهم، ولا المنكر في نفسه منكراً عندهم ... ليس في نفس الأمر عندهم لا معروف ولا منكر ولا طيب ولا خبيث، إلا أن يعبر عن ذلك بما يلائم الطباع، وذلك لا يقتضي عندهم كون الرب يحب المعروف ويبغض المنكر ... وهذا خلاف المنصوص والمعقول، وقد قال تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٤] وعندهم تعلق الإرسال بالرسول لتعلق الخطاب بالأفعال، لا يستلزم ثبوت صفة لا قبل التعلق ولا بعده، وجمهور الفقهاء وجمهور المسلمين يقولون: الله حرم المحرمات فحرمت، وأوجب الواجبات فوجبت، فمعنا شيئان: إيجاب وتحريم، وذلك كلام الله وخطابه والثاني: وجوب وحرمة، وذلك صفة للعقل، والله تعالى حكيم: علم بما تتضمنه الأحكام من المصالح، فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي والمأمور، والمحظور من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصالح العباد ومفاسدهم، وهو أثبت حكم الفعل، وأما صفته فقد تكون ثابتة بدون الخطاب.

وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن وقبيح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن. لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة، إذا لم يرد شرع بذلك. وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة، ولو لم يبعث إليهم رسولاً، وهذا خلاف النص.

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه؟ ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه، ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات: ١٠٣]، حصل المقصود ففداه بالذبح ... فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به.

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك. بدون أمر الشارع.

والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب [١].

٢١- الحب والإحساس الفطريان هما أصل التحسين والتقبيح:

وهذا الحب والإحساس الذي خلقه الله في النفوس هو الأصل في كل حسن وقبح، وكل حمد وذم، فإنه لولا الإحساس الذي يعتد به في حب حبيب وبغض بغيض لما وجدت حركة إرادية أصلاً تحرك شيئاً من الحيوان باختياره، ولما كان أمر ونهي وثواب وعقاب، فإن الثواب إنما هو بما تحبه النفوس وتتنعم به، والعقاب إنما هو بما تكره النفوس وتتعذب به، وذلك إنما يكون بعد الإحساس، فالإحساس والحب والبغض هو أصل ما يوجد في الدنيا والآخرة من أمور الحي، وبه حَسُنَ الأمر والنهي والوعد والوعيد، وذلك الأمر والنهي والوعد والوعيد هو تكميل للفطرة، وكل منهما عون على الآخر، فالشريعة تكميل للفطرة الطبيعية، والفطرة الطبيعية مبدأ وعون على الإيمان بالشرع والعمل به، والعبد من دان بالدين الذي يصلحه ويكون من أهل (العمل) الصالح في الآخرة، والشقي من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذي جاءت به الشريعة فهذا هذا والله أعلم [٢].

❁ ❁ ❁

(١) فتاوى الرياض: ٨/ ٤٣١-٤٣٢.

(٢) مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه. ص٤٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهارس

١-فهرس المصطلحات والتعريفات للألفاظ الواردة في الدراسة.

٢-فهرس الأعلام.

٣-فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

٤-فهرس المصادر والمراجع.

٥-فهرس الموضوعات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس المصطلحات والتعريفات للألفاظ الواردة في الدراسة.

- مصطلحات ... وردت في الدراسة

- وتعريفات موجزة لها ...

- أ -

- **الاتجاه المادي أو المذهب المادي Materialism:**

هو المذهب الذي يفسر كل شيء بالأسباب المادية، ويطلق في الفلسفة على الذين يقولون: إن المادة وحدها هي الجوهر الحقيقي الذي تفسر به جميع ظواهر الحياة، وجميع أحوال النفس، وهو بهذا المعنى يقابل المذهب الروحي الذي يؤمن بوجود الروح مستقلة عن المادة.

وفي علم النفس، يطلق المذهب المادي على أن جميع أحوال الشعور ظواهر ثانوية ناشئة عن الظواهر الفيزيولوجية المقابلة لها.

وفي علم الأخلاق، المذهب المادي هو القول أن غاية الحياة هي الاستمتاع بالخيرات المادية وحدها.

- **الاتحادية، أو وحدة الوجود Pantheism:**

مذهب الذين يوحدون بين الله والعالم، ويزعمون أن كل شيء هو الله، وهو مذهب قديم أخذت به البراهماتية والرواقية، والأفلاطونية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجديدة، وبعض الصوفية، والذي يهمنا هنا هو قول بعض المتصوفة أن الله هو الحق، وليس هناك إلا موجود واحد، وهو الموجود المطلق، أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية، وليس له وجود في ذاته -سبحانه- لأنه صادر عن الله بالتجلي. وقد ردَّ ابن تيمية على هذا المذهب في كتبه، وأخرج أصحابه من الإسلام.

- الإحساس *Sensations*:

هو ظاهرة نفسية متولدة من تأثر إحدى الحواس بمؤثر ما، وعرفه الجرجاني: الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس، فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات.

والحسي أو المحسوس هو الذي يدرك بالحواس، ويقابل الحسي العقلي.

ويقسم ابن تيمية الإحساس إلى نوعين: الإحساس المباشر، بلا واسطة، كإحساسك بالشيء مباشرة، والإحساس غير المباشر، وهو الذي يتم بواسطة: مثل المرآة والماء.

- الإحساس الباطن *Sensations interme*:

هو ما ندركه بالحواس الباطنة، مثل الجوع، والعطش، والشبع، والري، والألم، والفرح، والحزن ...

- الإحساس الفطري *Sensations innate* :

أو الإحساس الباطن الفطري -كما يسميه ابن تيمية- هو الإحساس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقابل للإحساس الظاهر لدى الإنسان، وهو الإحساس لأحوال النفس من فرح وحزن ولذة وألم، وحب الله تعالى فطروا عليه، وكذلك يحس الإنسان ما في باطنه من معرفة الله تعالى والإيمان به، ويستشهد ابن تيمية على هذا الإحساس الفطري الباطن في تجلي الحقائق في القلب الذي يكون مستعداً لذلك بالعبادة والإخلاص لله والتقوى.

- **الأخلاق، السلوك الأخلاقي Moral, Ethics:**

الأخلاق في اللغة جمع خلق، وهو العادة والسجية والطبع والدين، وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة، فتقول: فلان كريم الأخلاق، وفلان سيئ الأخلاق.

وفي الإسلام: الأخلاق هي الالتزام بسلوك طريق الخير في التعامل مع الآخرين، والابتعاد عن طريق الشر، وهذا السلوك الأخلاقي مصدره الإيمان بالله والتقوى، لذلك فإن الله تعالى يقرن الإيمان بالعمل الصالح في كثير من آيات القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٧] فعمل الصالحات هو السلوك الأخلاقي السليم.

- **الإدراك الحسي *Perception exterieure* :**

الإدراك في اللغة هو اللحاق والوصول.

والإدراك الحسي هو معرفة العالم الخارجي المادي عن طريق الحواس الظاهرة، مثل السمع والبصر والذوق والشم واللمس. والحواس الباطنة، مثل الصورة والخيال ... ويقال: إدراك الحس، وإدراك الخيال، ....

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والإدراك عند معظم الفلاسفة إما أن يكون إدراك الجزئي، أو إدراك الكلي، وإدراك الجزئي يتوقف على وجود الحس، ووجوده في الخارج، وإدراك الكلي، مثل إدراك المعاني الكلية والمفاهيم.

- الإدراك العقلي *Perception intellectuelle*:

هو إدراك المفاهيم والحقائق العامة، والمعاني الكلية، كمفهوم الحياة والنطق، والإنسانية.

وفي الفلسفة الحديثة فإن الإدراك يدل أولاً على شعور بالإحساس أو بجملة من الاحساسات تنقلها إليه حواسه، أو هو شعور الشخص بالمؤثر الخارجي والرد على هذا المؤثر بصورة موافقة، وهذا المعنى العام يدل على أن الإدراك يختلف عن الإحساس.

وكما يختلف الإدراك عن الإحساس يختلف الإدراك عن العاطفة، لأن الإدراك حالة عقلية والعاطفة حالة وجدانية انفعالية. (للتوسع في معنى الإدراك عامة انظر: المعجم الفلسفي –جميل صليبا).

- أدلة السمع أو دلالة السمع:

وهي الأدلة والبراهين التي جاءت بها الرسل عليهم السلام، وتبلغنا بها عن طريق السمع والأخبار، وهي أدلة شرعية عقلية بالوقت نفسه، فهي شرعية بصفة أن الشرع دلّ عليها، وهي عقلية بصفة أن العقل يعلم صحتها إذا نُبِّه إليها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الإرادة *Will*:

تأتي الإرادة بمعان متعددة:

٢- الإرادة: هي نزوع النفس وميلها إلى الفعل، بحيث يحملها عليه.

٣- الإرادة: هي القوة التي هي مبدأ النزوع، وتكون قبل الفعل.

٤- الإرادة: هي اعتقاد النفع أو ظنه ثم الميل إليه.

٥- الإرادة في علم الأخلاق هي الاستعداد الخلقي، فالإرادة الصالحة هي العزم الصادق على فعل الخير، والإرادة السيئة هي الإرادة الموجهة إلى الشر.

- وفرقوا بين الإرادة والاختيار، فقالوا: الإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل والاختيار، فهو ميل مع تفضيل.

- وفرقوا بين الإرادة والشهوة، فقالوا: الإنسان قد يريد شيئاً ولا يشتهيه كالدواء، وقد يشتهي ما لا يريده بل يكرهه.

- الاستدلال *Reasoning*:

- في اللغة: طلب الدليل.

- وفي عرف الأصوليين والمتكلمين، النظر في الدليل.

- وعند بعضهم انتقال الذهن من الأثر إلى المؤثر، أو من المؤثر إلى الأثر.

- ويقسم الاستدلال إلى استنساخ واستقراء وتمثيل.

وجملة القول: أن الاستدلال الانتقال من مقدمات مسلمة البرهان أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واضحة للعيان إلى نتائج صحيحة لازمة، وهو من الأدلة العقلية. والمعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الاستدلال هي المعرفة غير المباشرة، أما المعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الحدس فهي المعرفة المباشرة.

- الاستدلال بقياس الأولى *Raisonnement afortiori*:

وهو الانتقال من قضية إلى أخرى، لاشتمال القضية الثانية على مرجح زائد على الأسباب المشتركة بين القضيتين أن ما يثبت لغير الله من كمال لا نقص فيه، فإنه ثابت لله بطريق الأولى، وهو أولى بصفة الكمال من الجميع، وما يتنزه غير الله عنه من النقائص والآفات، فإن التنزه لله أولى عن كل النقائص والآفات.

- الاستعداد الفطري للمعرفة *Disposition innate*:

أي أن الله عز وجل خلق الإنسان وعنده استعداد للمعرفة وتقبل العلم، وبهذا الاستعداد يتميز الإنسان عن باقي الحيوانات، وهو الذي يدفع الإنسان إلى قبول الحق مباشرة، إن لم يشبه شائبة في البيئة التي نشأ فيها منه فتن وشبهات.

وقال ديكارت (وهو فيلسوف فرنسي) بأن في العقل أفكاراً ومبادئ فطرية (*iodees adventices*)، وليس المقصود بذلك كما يقول ليبنتز (وهو فيلسوف ألماني) إن الطفل يولد في نفسه معانٍ فطرية واضحة، ولكن المقصود هو أن في نفسه استعدادات شبيهة بالعروق التي نجدها في حجر المرمر، فهي تجعل هذا الحجر صالحاً لقبول صورة معينة، بحيث يمكنك أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقول أن هذه الصورة فطرية له، وهي لا تنتقل من القوة إلى الفعل إلا بالتجلية أي بالتجربة والعمل. (ارجع إلى المعجم الفلسفي، مادة: الفطري).

- **الاستقراء *induction*:**

في اللغة: الاستقراء: التتبع. من استقرأ الأمر إذا تتبعه لمعرفة أحواله.

وعند المنطقيين:هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم على الجزئي.

وهو من طرق العقل للوصول إلى المعرفة ومن أنواع الاستدلال وفيه ينتقل العقل من الوقائع إلى القوانين، أي من ظواهر الطبيعة الواقعية والقائمة على مبدأ العلية والاطراد إلى القوانين التي أوجدها الله في الكون.

والاستقراء نوعان: التام والناقص.

أما الاستقراء التام فهو الحكم على الجنس لوجود ذلك الحكم في جميع أنواعه. ومن أنواع الاستقراء التام الاستقراء الرياضي، وهو الانتقال من الخاص إلى العام، ومن العام إلى الأعم.

أما الاستقراء الناقص فهو الحكم على الكلي بما حكم به على بعض جزئياته، ويسمى هذا الاستقراء أيضاً استقراء علمياً، لأنه ينتقل من الظواهر إلى القانون، أي من الحكم على الحقائق المشاهدة في زمان ومكان محدودين إلى الحكم على جميع الحقائق حكماً عاماً غير محدود بزمان أو مكان. (المعجم الفلسفي، مادة: استقراء).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الاستنتاج *Deduction*:

هو أيضاً من طرق العقل للوصول إلى المعرفة، وفيه ينتقل العقل من مقدمات نظرية إلى نتائج، والصفة الأساسية له هي لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً.

وللاستنتاج ثلاثة أنواع: الاستنتاج الصوري والاستنتاج التحليلي والاستنتاج التركيبي أو الإنشائي. (ارجع إلى المعجم الفلسفي، مادة: الاستنتاج).

- الإسماعيلية:

هم فرقة باطنية من غلاة الشيعة، ويقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، ويخالفون أهل السنة بالوصول والفروع كالشيعة الإمامية، ويغلون في أئمتهم حتى درجة التأليه ومعرفة أمور الغيب، وهم فرق متعددة، منهم القرامطة، والفاطمية، والحشاشون، والنزارية، والبهرة ومنهم اليوم الإسماعيلية أتباع آغا خان والواقفة.

نشأت الإسماعيلية بداية في العراق، ثم انتشرت في العالم العربي والإسلامي. (ارجع إلى الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة).

- الأعيان (المحسوس) *Sensible*:

هي كل ما هو محسوس للإنسان في الحياة الدنيا، وما هو غير محسوس الآن، أي مما أخبرتنا به الرسل من الغيب مما ليس محسوساً لنا الآن، ولكن مما يمكن إحساسه بعد الموت. وقد وصف ابن تيمية أقوالَ الفلاسفة اليونانيين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن تبعهم من المسلمين أنها في الأذهان لا في الأعيان، أي هي ظنون وحدوس وأوهام ليس لها وجود في الواقع المحسوس.

- **الأفلاطونية الحديثة:**

أسسها أفلوطين (٢٠٤-٢٧٠م) الذي ولد في مصر وتعلم في الإسكندرية، وقد تأثر بأفلاطون الفيلسوف اليوناني، وحاول التوفيق بين الفلسفة والدين النصراني، وقال بنظرية الفيض الإلهي، التي أخذ بها ابن سينا وبعض الصوفية.

- **الإلزام *Obligation*:**

ألزمه المال والعمل، أو بالمال والعمل: أوجبه عليه، ويقال: ألزمت خصمي أي حججته.

- **الإلزام الخلقي:**

ينشأ هذا الإلزام عن طبيعة الإنسان من حيث هو قادر على الاختيار بين الخير والشر، فما كان فعله أو عدم فعله ممكناً من الناحية المادية، ثم وجب حكمه من الناحية الأخلاقية كان إلزامياً، بمعنى أن الشخص لا يستطيع أن يتهاون في فعله أو عدم فعله من دون أن يعرض نفسه للخطأ واللوم، ومصدر الإلزام الخلقي لدى ابن تيمية هو قوة الإيمان المعتمدة على العقل الخالص، والفطرة المستقيمة مع الاحتكام إلى نور الشرع. (انظر الكتاب القيم لتوضيح الإلزام الخلقي في الإسلام: دستور الأخلاق في القرآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للدكتور محمد عبد الله دراز، وكتاب النظرية الخلقية عند ابن تيمية للدكتور محمد عبد الله عفيفي).

- الإلهام *inspiration*:

مصدر ألهم، وهو أن يُلقي الله ﷻ في نفس الإنسان أمراً يبعثه على فعل الشيء أو تركه، وذلك بلا اكتساب أو فكر، وهو وارد غيبي، ويشترط فيه أن يكون باعثاً على فعل الخير أو ترك الشر.

وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من العلم، وهو يدفع إلى العمل من غير استدلال ولا نظر.

وقد يراد بالإلهام التعليم كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، أي علمها.

- اللّيسيّة (العدم) *Non-being*:

نسبة إلى ((ليس)) ويراد بها النفي أو العدم في المنطق اليوناني، وقد استعملها الفلاسفة بمعنى العدم أيضاً، وهي بخلاف (أيس) فهو يدل على الوجود أو الموجود.

- الأيسيّة:

نسبة إلى ((أيس)) ويراد بها الإثبات أو الوجود ضد العدم في المنطق اليوناني. وقال الفراهيدي: تقول العرب: جيء به من أيسُ وليس أي من حيث هو موجود وغير موجود.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الأينية (الأين) Place:

نسبة إلى ((أين)) التي يكون بها الاستفهام عن المكان في المنطق اليوناني، وأطلقه الفلاسفة على المحل الذي ينسب إليه الجسم، أي الحيز الخاص به. ويسمى هذا أيناً حقيقية، وقد يقال الأين فيما ليس مكاناً حقيقياً مثل الدار والبلد، فنقول مجازاً: زيد في دمشق ويعني بذلك وجوده في مكان غير خاص به.

- ب -

- البرجماتية: أو الذرائعية *instrumentalism*:

ويطلق لفظ الذرائعية في الفلسفة الحديثة على مذهب (جون ديوي) ومذهب مدرسة (شيكاغو)، وهو مذهب براغماتي (*Pragmatique*)، وهو مذهب فكري يقول: إن على الإنسان أن يتخذ من أفكاره ذرائع لحفظ حياته، وأن الرأي الصحيح ما له فائدة عملية لأكبر عدد من الناس، وأن سلوكنا العملي هو الذي يوجه أفكارنا، وأن المدرك العقلي هو مدرك حسي.

والعلة الذرائعية هي الوسيلة لإحداث النتيجة، كالقلم الذي يكتب به، وكاليد التي هي أداة التنفيذ للإرادة العاقلة.

والمنطق الذرائعي هو المنطق الذي يبني أحكامه على التجربة.

- البرهان *Demonstration*:

- هو الحجة الفاصلة البينة، يقال: برهن يبرهن برهنة، إذا جاء بحجة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قاطعة، وفي الحديث: (الصدق برهان). البرهان هنا: الحجة والدليل.

- والبرهان عند الأصوليين: ما فصل الحق عن الباطل، وميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه (تعريفات الجرجاني).

- أما عند الفلاسفة فهو القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كان ابتداء وهي الضروريات، أو بواسطة وهي النظريات.

- والمحدَثون يطلقون البرهان على الحجة العقلية، وعلى الحجة التجريبية التي تستند على التجارب والأحداث، ويعدون أكمل أشكال البرهان هو البرهان الرياضي. (المعجم الفلسفي).

- البصيرة *Foresight*:

البصيرة هي الفطنة والذكاء، وهي بالنسبة إلى النفس كالبصر بالنسبة إلى العين، لا بل هي استقصاء النظر إلى الشيء، والتبصر فيه وتأمله، فكأنها رؤية عقلية تستقصى بها حقائق الأشياء وبواطنها، أو حدس تدرك به المعقولات (انظر المعجم الفلسفي، مادة: البصر)..

وهي ظاهرة عقلية، وليست هي العقل عند الحارث المحاسبي، لأن البصيرة هي فهم حقائق معاني البيان، وتحصل بعد العقل عن الله تعالى، وبعد أن تعظم معرفته لعظيم قدرة الله وبقدر نعمه وإحسانه. (ارجع إلى العقل وفهم القرآن للمحاسبي) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ت -

- التأويل *Anagogic interpretation*:

في المصطلح: هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله لدليل دلّ على ذلك.

أما معناه اللغوي: - وهو ما أخذ به ابن تيمية -: التفسير والمرجع والمصير (ارجع إلى (العقل والتأويل) في هذا البحث)..

- التصور Conception:

هو من الحواس الباطنة في الإنسان، ويطلق عليه أحياناً الخيال ومكانه الذهن، والتصور قد يكون مأخوذاً من الواقع المادي، وقد يكون غير واقعي، وهو عند ابن تيمية ضروري لاكتمال العمل في الخارج حيث إنه يسبق القول والعمل، فالصورة الذهنية هي مقدمة لتحقيقها في الواقع لدى الإنسان، ويفرق الفلاسفة بين التصور القَبْلي والتصور البَعْدي، فالأول هو التصور المتقدم على التجربة، والثاني هو المعنى العام المستجد من التجربة، كتصور معنى الإنسان أو الحيوان أو النبات، ولفعل التصور في الفلسفة الحديثة عدة معان، فهو أولاً يدل على كل عمل فكري منطبق على الشيء، وهو يدل ثانياً على فعل العقل المضاد للتخيل، وهو يدل ثالثاً على الفعل الذي به ندرك المعاني أو نؤلفها (ارجع إلى المعجم الفلسفي، مادة: التصور).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- التصور الإسلامي:

يقصد به هنا التفكير الإسلامي، أو نظرة الإسلام للإنسان والكون والحياة، ومن هذا المنطلق أطلق سيد قطب – رحمه الله – على أحد مؤلفاته (التصور الإسلامي ومقوماته).

- التربية *Pedagogy*:

التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون: تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً، ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية حتى يصبح قادراً على مؤالفة الطبيعة، ويجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس. (انظر: المعجم الفلسفي)، وكذلك (مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام للأستاذ عبد الرحمن الباني).

- التربية الروحية:

هي علاج أمراض القلوب والنفوس من أمراض الحسد والغيرة والأنانية والطمع وحب الدنيا، وسيطرة الغرائز على الإنسان. وقد اعتنى العلماء الربانيون في الإسلام بهذه التربية عناية خاصة.

- التفكير *Thinking*:

إعمال العقل في مسألة ما للتوصل إلى حلها، والتفكير مما يميز الإنسان العاقل عن غيره ... حيث يعمل عقله في كل أمر، ويرتّب بعض ما يعلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليصل إلى علم جديد، والتفكير عند معظم الفلاسفة عمل عقلي عام يشمل التصور والتذكر والتخيل والحكم والتأمل، ويطلق على كل نشاط عقلي..

- **التقسيم والترديد:**

وسماه الأصوليون (السبر والتقسيم) ويبين ابن تيمية معناه أن ما من شيء إلا وله أثر لا يوجد بدونه، وله كذلك ضد يعارض وجوده، ونستطيع الاستدلال على هذا الشيء بثبوت ملزومه، وعلى انتفائه بانتفاء لازمه، وعمل السبر والتقسيم هو أن ينفي المضاد أو المزاحم، أو يبعد العناصر الغريبة من التجربة، وتبقى العلة الموجبة للحكم، فإن كان اعتقاد العلية ظنياً كان الاعتقاد ظنياً، وإن كان قطعياً كان الاعتقاد قطعياً.

- **التوفيق بين العقل والنقل:**

هو من الخصائص المهمة لمنهج ابن تيمية للوصول إلى المعرفة الحقة في نظرياته النفسية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية حيث بين أن صريح المعقول لا يعارض صحيح المنقول، وله كتاب في هذا وهو (درء تعارض العقل والنقل).

- ج -

- **الجاهلية:**

هي صفة كل عقيدة أو فكر أو نظام اجتماعي يناقض الإسلام، وهي من المصطلحات التي استعملها ابن تيمية، وسار على منواله فيها بعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المفكرين المسلمين في الوقت الحاضر مثل أبي الأعلى المودودي، وسيد قطب، وأخيه محمد قطب الذي ألف كتاباً فيها سماه ((جاهلية القرن العشرين)).

- الجدل *dialectic*:

جدل جدلاً اشتدت خصومته، وجادله مجادلة وجدالاً ناقشه وخاصمه، قال تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] والجدل في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلَّمة، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. (تعريفات الجرجاني).

- الجدل القرآني:

هو جدال القرآن للمعاندين من الكفار والمشركين بآيات الله في الإنسان والكون والحياة، والخلق ... حيث يبدأ بالمقدمات البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها لتقرير المخاطب بالحق، والتوصل إلى الحقيقة المطلوبة.

- الجدلية الهيجلية :

قال بها الفيلسوف الألماني هيجل، حيث يعتقد أن الوحدة في الفكر هي وحدة أضداد، وأن المطلق هو الانسجام بين الأضداد، أي أن الفكرة تتطور على مراحل: الإثبات، ثم النقض، ثم الخلاصة، ومن هذه الفكرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استقصى المفكر الماركسي الملحد فكره، إلا أنه استبدل المادة بالفكرة؛ أي أن التطور الجدلي عند هيجل هو تطور الفكرة، أما عند ماركس فهو تطور المادة..

- **الجهمية: أو الجبرية *Fatalism*:**

فرقة تنسب إلى جهم بن صفوان (ت١٢٨هـ/ ٧٤٥م)، تقول: لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هي بمنزلة الجمادات، فهو مسيَّر لا مخيَّر، ونفت الصفات الإلهية، وهم يوافقون المعتزلة في نفي الرؤية، وإيجاب المعرفة بالعقل قبل ورود الشرع.

- **الجوهر *Substance*:**

- الجوهر عند المتكلمين: هو الجوهر الفرد المتحيز الذي لا ينقسم، أما المنقسم فيسمونه جسماً لا جوهراً.
- والجوهر عند الفلاسفة يطلق على معانٍ: منها الموجود القائم بنفسه حادثاً كان أو قديماً، ويقابله العرَض، ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها، ومنها الموجود الغني عن محل يحل فيه. (انظر المعجم الفلسفي).

- **الحاكمية:**

هو اصطلاح حديث، المقصود منه إقامة حكم الله في الأرض، وكما يؤمن المسلم بالله وبأسمائه وصفاته، كذلك يؤمن به رباً وخالقاً ومدبراً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للكـون وشؤون الإنسان الدنيوية. قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

- الحد *Definition, Terme*:

الحـد في اللغـة: المنع والفصل بين الشيئين، والحد أيضاً تأديب المذنب، ومنه أقمت عليه الحد، وحدود الله تعالى التي بين تحريمها وتحليلها.

والحـد في اصطلاح الفلاسفة هو القول الدال على ماهية الشيء، وهو تعـريف كـامل، أو تحلـيل تـام لمفهـوم اللفظ المراد تعريفه، كتعريف الإنسان والحيوان الناطق .

والحـد في اصطلاح المنطقيين: هو ما تنحل إليه القضية، وفي كل قياس ثـلاث قضايا، أي مقدمتان ونتيجة، والمقدمتان تشتركان في حد، وتفترقان في حدين، فتكو ن الحدود ثلاثة.

- الحدس *intuition* :

يـأتي بمعـان مـتعددة، فهـو عـند برغسون الفيلسوف الفرنسي: المعرفة المباشـرة دون واسـطة الحـواس، وعـند الغـزالي أيضـاً المعرفة المباشرة، لكنه ينسـبها إلى إشـراق المعـرفة الإلهـية في نفس الإنسان، ويطلق عليها الإلهام أو الكشـف، وإن أطلقـت مجـردة فـتدل عـلى معـناها اللغـوي، وهـو الظـن والـتخمين، والـتوهم في معـاني الكـلام والأمـور، والنظر الخفي، والضرب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والذهاب في الأرض على غير هداية، والرمي، والسرعة في السير.

- الحركة *Move, Motion, Movement*:

للحركة معانٍ عدة عند القدماء، والذي يهمنا هو معناها الفلسفي، ومن ثم معناها الذاتي، أما المعنى الفلسفي فالحركة هي التغير المتصل الذي يطرأ على وضع الجسم في المكان من جهة ما هو تابع للزمان، فلكل حركة زمان، لأن الجسم المتحرك لا يشغل مكانين في زمان واحد. وأما المعنى الذاتي فهي التي يكون عروضها لذات الجسم نفسه، ولها ثلاثة أنواع وهي:

١- **الحركة الإرادية**: وهي الحركة التي مبدؤها في الشيء المتحرك نفسه مع شعوره بأنه مبدأ تلك الحركة التي تصدر من الإنسان وبشعور منه وباختياره.

٢- **الحركة الطبيعية**: وهي التي تكون بسبب أمر خارج، ولا تكون مع شعور وإرادة، كحركة الماء والحجر إلى أسفل.

٣- **الحركة القسرية**: هي الحركة التي مبدؤها من غير المتحرك، كالحجر المرمي إلى فوق. (المعجم الفلسفي، مادة: الحركة).

- الحسن والقبيح:

الأمر الحسن والأمر القبيح معروف لغوياً، والمهم معرفة إدراك الحسن والقبيح هل هو فطري في الإنسان؟ فقد أجاب المعتزلة أنهما صفة ذاتية للفعل لازمة له فيه، ودور الشرع هو الكاشف لهذه الصفة ... أما ابن تيمية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيرى أن ما أقر به الشرع وحسنه هو الحسن والخير، وما نهى عنه الشرع وقبحه فهو القبيح، وهو الحق، وهذا لا يمنع من القول أن الله فطر الناس على حب الخير، والجمال، وكره الشر والظلم ... ووظيفة العقل هو التمييز بين الحسن والقبيح، والنافع والضار.

- د -

- الداروينية Darwinism:

مذهب فكري ينسب إلى تشارلس داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) الإنكليزي وعالم الطبيعة، وصاحب نظرية التطور في الأجناس الحية ... وتطلق على المعنيين الآتيين:

١- مذهب التحول والتبدل، وهو القول بأن الأنواع تنشأ بعضها عن بعض، ولا سيما النوع الإنساني، فهو منحدر عن الأنواع الحيوانية التي ترجع إلى أصل واحد، أو عدة أصول.

٢- الداروينية أيضاً هي القول بأن تبدل الأنواع نتيجة اختيار طبيعي لصالح الأجناس الأكثر أهلية للبقاء، أو بمعنى آخر: البقاء للأفضل ... وقد رد كثير من علماء الطبيعة على هذه النظرية غير الواقعية وأثبتوا بطلانها.

- الدهريون: الدهرية:

فرقة نشأت في العصر العباسي وتأثرت بالفلسفة اليونانية الوثنية وأنكرت وجود الله، واليوم الآخر، ولهم أصول قديمة، ذكرهم القرآن بقوله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾.

- الدوافع الفطرية *Drive innate*:

من وجهة النظر النفسية فكلمة دافع فطري اصطلاح يطلق على البواعث الذاتية أو الباطنة، والدافع بهذا المعنى الخاص عبارة عن قوة داخلية موجهة، وتشمل الدوافع الفطرية حاجات الإنسان الحيوية، والدوافع التي فطرها الله في الإنسان .. مثل الدافع الجنسي، ودافع الجوع، ودافع النوم ... إلخ. (انظر معجم مصطلحات علم النفس، منير وهيبة الخازن).

- دوران العلة على المعلول:

عند ابن تيمية- هو دوران الأثر المعين مع الأثر المعين الآخر، ويضرب ابن تيمية مثلاً بالظواهر الطبيعية التي تتتابع بحيث تكون الأولى سبباً للأخرى على نحو ثابت ومكرر، أو تتابع حدثين، فما هو ثابت دائماً يسميه العلة، وما هو تابع لذلك يسميه المعلول.

- ر -

- الروح *Spirit*:

تطلق لفظة الروح في القرآن على معانٍ متعددة، منها أنها:

- ذات متميزة عن الجسم، وهي أساس حياة البدن، وهي من أمر الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى، ولا يعلم كنهها إلا الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥].

- وقد تطلق الروح على القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

- وتطلق على جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

- ز -

- الزنادقة:

الزندقة هي القول بأزلية العالم، وأطلق على الزردشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية، وتوسع فيه فأطلق على كل شاكّ، أو ضالّ، أو ملحد. والزنديق من يؤمن بالزندقة.

- س -

- السلوك Behaviour:

حركة الإنسان الهادفة المنطلقة من بواعث داخلية أو خارجية، والسلوك غائي في التصور الإسلامي منذ زمن الغزالي وابن تيمية، وهو ما أثبته علماء النفس المحدثون، وعلم السلوك عند القدماء هو معرفة النفس ما لها وما عليها، ويسمى بعلم الأخلاق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسلوك عند علماء النفس المحدثين مجموع ما يقوم به الكائن الحي من ردود فعل مترتبة على تجاربه السابقة، وهو يتضمن الأفعال الجسمانية الظاهرة والباطنة، والعمليات الفسيولوجية والوجدانية والنشاط العقلي. (ارجع إلى المعجم الفلسفي).

- **السفسطة:**

هي قياس منطقي مركب من قضايا وهمية الغرض منه إفحام الخصم وإسكاته كقولنا: الجوهر موجود في الذهن، وكل موجود في الذهن عَرَض، إذاً الجوهر عَرَض. والسفسطة منهج السفسطائية، وهم فرقة ينكرون الحسيات والوقائع والبديهات وغيرها ... وقد عاشوا في زمن فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو وسقراط.

- ص -

- **الصورة الذهنية *image Mentale*:**

هي الصورة التي تبقى في الذهن بعد رؤية الصورة المادية المحسوسة، ويطلق عليها أيضاً الخيال ... وأطلق عليها وليم جيمس المدرك الحسي ... أي أصلها من الحس ...

ويميز ابن تيمية بين نوعين من الصورة الذهنية، منها ما هو غير مطابق للواقع وهو الوهم والخيال، ومنه ما هو مطابق للواقع ويسميه الصورة العلمية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الصورة العلمية *image Science*:

هي الصورة المطابقة للمدرك الحسي الواقعي، وتحصل - لدى ابن تيمية- كحصول الصورة المرئية في المادة أو المرآة، والصورة غير مطابقة كلياً للواقع من حيث الحد والحقيقة، ولكن تشبهها من حيث الشكل.

- ظ -

- الطاقة الروحية *Energy Spirit*:

تعبير حديث يعبر عما في الإنسان من قدرة الإنسان بالاتصال بالوجود كله وخالق الوجود بالذكر والعبادة، فتدفعه للإيمان بالله والغيب، فيرتفع فوق مستوى العقل الإنساني المحدود بحدود الحس في هذه الحياة الدنيا ...

- الطاقة الفكرية *Energy intellectual*:

قدرة العقل على التفكير والتأمل، إلا إن هذه الطاقة محدودة بحدود هذه الأرض، ولا تستطيع أن تتعدى حدودها إلى أعلى من ذلك، لأن الإدراك الحسي المادي ومعرفته لا تتعدى ذلك.

- ظ -

- الظواهر النفسية *Phenomenon Psychic*:

هي ما يظهر على الإنسان من آثار نفسية داخلية مثل الانفعال والعاطفة، ولهذه الظواهر آثارها النافعة والضارة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ع -

- العاطفة السائدة:

هو استيلاء صورة أو خيال ما على إنسان فلا تفارقه ولا يستطيع إبعادها، فتسيطر على الشخص ويصبح أسيراً لها ... ونجد هذا الأمر لدى الأشخاص الذين يتبعون هواهم من النساء والطعام والشراب واللباس، وهذه العاطفة من مصطلحات علم النفس الحديث، إلا أن ابن تيمية بينها في عدد من مؤلفاته (انظر الصورة والعاطفة السائدة – الفصل الثاني من هذا البحث).

- عالم الشهادة *Monde Sensible*:

هو عالم الواقع المادي للكون، ويدرك حسياً بالحواس الخمس للإنسان، وهو مقابل لعالم الغيب، قال الله تعالى: ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

- عالم الغيب:

الغيب لغة: كل ما غاب عن الإنسان ... وهو اصطلاحاً: كل ما غاب عن الإنسان واقعاً وعقلاً مثل الأمور المتعلقة بذات الله، واليوم الآخر، والبرزخ، والبعث بعد الموت، والشفاعة، والصراط ... إلخ، قال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر:٢٢].

- العقل *intellect, Reason*:

هو قوة أو غريزة يدرك بها الإنسان الموجودات، وهو ليس عيناً أو جوهراً. (وللاطلاع على معاني العقل انظر الفصل الثاني – معاني العقل وصلته بالجسم من هذه الدراسة).

- العقل بالفعل *intellect en acte*:

وهو أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد، ولكنها لا تشاهدها بالفعل (تعريفات الجرجاني)، وكذلك (المعجم الفلسفي).

- العقل البديهي *intellect HaBitude*:

هو الذي يعلم بلفظ البديهيات، كالكل أكبر من الجزء، وهذا العلم لا يحتاج إلى دليل أو تفكير.

- العقل الفعال *intellect active*:

هو من مصطلحات أرسطو أيضاً وأوهامه، وليس له حقيقة، وسمي فعالاً لكثرة أفعاله في عالم العناصر، وهو العقل العاشر عنده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- **العقل الموهوب *intellect Gifted*:**

هو العقل الذي خلقه الله، ولم يكتسب من التجربة.

- **العقل المكسوب (بالفعل) *intellect en acte*:**

هو العقل الذي يكتسب من التجربة والنظر والعبر، ويتقوى بالعلم.

- **العقل الهيولاني: أو العقل بالقوة *intelligence materiell*:**

وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات، وهو قوة محضة خالية من الأفعال، وسمي بالهيولاني نسبة إلى الهيولى الأولى الخالية من الصور كلها، أيضاً هذا العقل من أوهام أرسطو، وهو مجرد كلام نظري ناتج عن تأملات لا حقيقة لها.

- **العقول البرهانية:**

هو أحد أنواع العقول الثلاثة لدى ابن رشد، وهذه العقول عنده قادرة على متابعة دليل يقيني محكم، وتصل إلى نتائج بينة ضرورية.

- **العقول المنطقية:**

وهي التي تكتفي بالبراهين الجدلية، وهي النوع الثاني من العقول لدى ابن رشد، وقد أنكر أبو بكر العربي هذه العقول لدى الفلاسفة، وقال عنها بأنها أسماء لا فائدة تحتها، وتهويلات لا طائل تحتها (انظر العقل عند الفلاسفة – الفصل الأول من هذه الدراسة).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- العقل الكلي *intellect agent*:

هو العقل الذي يفيض عن العقل الأول الذي يفيض أيضاً من ذات الله سبحانه: حسب نظرية الفيض التي يعدها ابن تيمية من أوهام الأفلاطونية الحديثة وما تبعها من فلاسفة المسلمين مثل ابن سينا.

- علم النفس العيادي أو علم النفس الإكلينيكي *clinical Psychology*:

هو فرع من فروع علم النفس، يعنى بتشخيص الاضطرابات النفسية الخفيفة وعلاجها من مثل عيوب الكلام، والمصاعب المدرسية والعُصابات.

- علم النفس العسكري:

هو أحد فروع علم النفس الذي يهتم بشؤون القوات المسلحة، واختيار أفراد الجيش، وتقوية الروح المعنوية لهم ...

- علم النفس الفارق *differential Psychology*:

أحد فروع علم النفس الذي يهتم بالفروق الفردية بين الأفراد والمجتمعات، وقابلية كل فرد وكفايته العلمية وقدرة تحصيله، فمنهم من ينجح في مجال العمل العقلي، ومنهم من ينجح في مجال العمل المهني لمن وهب ذكاء عملياً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- علم النفس المهني *Psychology industrial*:

أحد فروع علم النفس الذي يبحث في المشكلات النفسية التي تنشأ في الصناعة والأعمال المهنية.

- غ -

- الغريزة *instinct*:

هي دافع فطري في الإنسان، خلقه الله تعالى لحفظ بقائه على وجه الأرض وإشباعاً لحاجاته، وذلك بالإقبال على الملائم والإحجام عن المنافي، وهي واحدة لدى البشر جميعاً (انظر معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي).

- ف -

- الفِراسة *Physiogwmony*:

تعرف لغوياً بأنها المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها، ويعدها ابن تيمية نوعاً من الإلهام الرباني قال ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله). (رواه الترمذي)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥].

- الفرويدية:

مذهب في علم النفس نادى به فرويد عالم النفس النمساوي اليهودي،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حيث يعد الجنس أساس الدوافع السلوكية لدى الإنسان، ويعتمد المذهب على التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية لدى الإنسان، وقد نقد فرويد من قبل كثير من علماء النفس، حيث إن علاجه النفسي لم يحقق فائدة عملية لدى المرض، وإن آراءه ونظرياته كان يستقصيها من المرضى والشواذ لديه.

- **الفطرة *instinct*:**

الفطرة هي الجبلة التي يكون عليها كل موجود في أول خلقه، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] ، وفي الحديث الشريف: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ...) الحديث. ومعنى ذلك أن المولود يولد على السلامة خلقاً وطبعاً وهيئة، وهو على استعداد لقبول أي دين.

وقالوا أيضاً: الفطرة هي الإسلام، أو هي الاستعداد للإسلام، كما يرى ابن تيمية، وكل مولود يولد على الفطرة. وقد استفاض في الحديث عن الفطرة في كتابه القيّم: (درء تعارض العقل والنقل).

- **الفلسفة *Philosophy*:**

لفظ مشتق من اللغة اليونانية وأصله (فيلا – صوفيا) ومعناه محبة الحكمة، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح، والواقع أن العلم بحقائق الأشياء لا يعلمه إلا الله، والعمل بما هو أصله لا نجده إلا في رسالات الأنبياء ... أما ما قاله الفلاسفة فهو حدوس بشرية منها الصحيح ومنها الخطأ، ومنها أوهام لا صلة لها بالحقيقة ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكانت الفلسفة مشتملة لجميع العلوم النظرية والعملية، مثل العلم الإلهي – بزعمهم – والرياضيات والطبيعة وعلم الأخلاق والسياسة ... ثم استقلت كثير من العلوم عن الفلسفة.

- فلاسفة الإسلام:

يطلق هذا الاسم على بعض فلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية ونسجوا على منوالها، مثل الفارابي الذي يطلق عليه المعلم الثاني، لأن أرسطو الفيلسوف اليوناني هو المعلم الأول ، وكذلك الكِندي، وابن رشد الحفيد الذي رد على كتاب الغزالي ((تهافت الفلسفة)) بكتاب يدافع فيه عن الفلسفة اليونانية، وأطلق عليه ((تهافت التهافت))، وابن سينا الذي اقتبس ((نظرية الفيض)) من أفلوطين مؤسس مدرسة الأفلاطونية الحديثة ... وأخذ بعض الصوفية هذه النظرية الوهمية واعتنقوها.

أما فلسفتهم فقد وصفها سيد قطب – رحمه الله – في كتابه ((خصائص التصور الإسلامي)) بأنها فلسفة يونانية بثوب إسلامي.

- فلاسفة اليونان:

عاش هؤلاء الفلاسفة في القرون الخمسة قبل الميلاد، وأهمهم سقراط، وأفلاطون، وأرسطو. (انظر تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف مكرم).

- الفلسفة الحديثة:

دراسة بشرية للمبادئ الأولى للكون والإنسان والحياة، وتفسير المعرفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفسيراً عقلياً، وقد اهتمت الفلسفة الحديثة بالمنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة ... وكان لمدارسها الحديثة في أوربا خاصة تأثير على الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها ...

ومن أهم الفلاسفة المؤثرين في الفكر الأوربي الغربي: (هيجل) الألماني صاحب فلسفة الجدلية الهيجيلية، و(كانت) الألماني أيضاً الذي قال بالعقل النظري والعقل العملي، و(كونت) الفرنسي، مؤسس المذهب الوضعي ... و(برغسون) الفرنسي أيضاً ، و(سارتر) الفيلسوف الوجودي، و(هيوم) الإنكليزي، و(جون ديوي)، و(وليم جيمس) الأمريكيان...

- **فلسفة القرون الوسطى:**

أيضاً إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة في القرون الوسطى الميلادية هي عبارة عن آراء وحدوس وتأملات مبنية على رؤيتهم العقلية للوجود والحياة، ومن هؤلاء الفلاسفة: أ(وغسطين ٣٥٤-٤٣٠م) الذي قال بأن الإيمان ضروري للعقل ... و(أنسلم ١٠٣٣-١١٠٩م) الذي قال: إن العقل وحده هو وسيلة المعرفة وهو سبيل الإيمان ... و(توما الإكويني ١٢٢٥-١٢٧٤م) وهو من فلاسفة الكنيسة الإيطالية ... الذي قال بأن العقل والعقيدة يرميان إلى غرض واحد.

- **الفلسفة المادية:**

يمكن تلخيص أسس الفلسفة المادية بالآتي:

١- الإيمان بالطبيعة/ المادة على أنها أساس الوجود الإنساني، وتسبقه في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجود.

٢- الإيمان بقانون الطبيعة (لكل علة سبب)، وكل سبب يؤدي إلى النتيجة نفسها في كل زمان ومكان.

٣- الإيمان بأن الطبيعة تتحرك بشكل تلقائي، وأن الحركة أمر عادي.

٤- الإيمان بأنه لا يوجد غائية في العالم المادي.

٥- الإيمان بأنه لا يوجد غيبيات أو تجاوز للنظام الطبيعي من أي نوع، فالطبيعة تحوي داخلها كل القوانين التي تتحكم فيها، وكل ما نحتاج إليه لتفسيرها.

وهكذا فإن الفلسفة المادية ترفض الإله كشرط من شروط الحياة، وتعد المعرفة انعكاس الواقع الخارجي في دماغنا عبر إحساساتنا، وتراكم المعطيات الحسية على صفحة العقل البيضاء.

وهكذا فإن المادة تسبق العقل، وتسبق أيضاً الأخلاق، والأخلاق تفسر تفسيراً مادياً ووفقاً لقانون طبيعي، وتسبق التاريخ، فإن كل تطور يتوقف على الظروف المادية، وخير نموذج للفلسفة المادية الماركسية والوجودية والداروينية والوضعية. (لزيادة الاطلاع انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان للدكتور عبد الوهاب المسيري).

- **الفلسفة اليونانية:**

كانت نتاج الفلاسفة اليونانيين، ونظرتهم للكون والإنسان والحياة، وتفسيرهم تفسيراً عقلياً، وكانت تشمل العلوم جميعاً: النفس والأخلاق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلم الجمال، والمجتمع وما وراء الطبيعة، فهي حدوس بشرية مملوءة بالأوهام والخيالات التي لا حقيقة لها ... أو كما قال ابن تيمية: « في الأذهان لا في الأعيان ».

نقلت هذه الفلسفة عن طريق الفلاسفة المسلمين - الذين ذكرناهم آنفاً - إلى الغرب ... وقد ألبسوها ثوباً إسلامياً مملوءاً بالأوهام أيضاً (انظر الفلسفة اليونانية في العقل ورد ابن تيمية عليها في الفصل الثاني من هذه الدراسة).

- الفيض الإلهي *Emanation*:

قال بهذه النظرية الخيالية أفلوطين الفيلسوف الإسكندري (٢٠٤-٢٠٧م) ووصف بأنه صوفي زاهد، وخلاصتها كما وضحها ابن سينا: «إن الله – سبحانه - يعقل ذاته فيفيض عنه عقل واحد، ممكن بذاته، واجب الوجود بغيره، وعندما يعقل هذا العقل مبدأه يفيض عنه عقل ثان هو العقل الكلي، وعندما يعقل ذاته بأنه واجب الوجود بغيره تفيض عنه نفس الفلك الأقصى، وعندما يعقل نفسه بأنه ممكن الوجود يصدر عنه جرم ذلك الفلك، ويفيض عن العقل الكلي ثالوث مؤلف من عقل ونفس وفلك، وتستمر سلسلة الفيض حتى تصل إلى العقل الأخير وهو العقل الفعال، أو عقل فلك القمر، وتحت هذا الفلك يوجد عالم العناصر، عالم الجزئيات الخاضعة للكون والفساد».

هذه خلاصة نظرية الفيض التي كلها أوهام وحدوس وخيالات وظنون لا أساس لها من الصحة ... وصدق الله العظيم: ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لاَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُغْـــنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: ٢٣]. (انظر معاني العقل – الفصل الثاني في هذه الدراسة).

– ق –

- القضية *Proposition*:

هـي جـزء مـن القـياس المنطقي الصوري الأرسطي المؤلف من ثلاث قضايا مثل:

١- كل إنسان فان - قضية كلية عامة.

٢- خالد إنسان - قضية جزئية.

٣- خالد فان - نتيجة.

(انظر المعجم الفلسفي، مادة: القضية).

– ك –

- الكمية *Quantity*:

- الكـم في الرياضـيات هو المقدار، وهو ما يقبل القياس، وهو عَرَض يقبل لذاتـه القسمة والكم في الفلسفة مقابل للكيف، وهي من مقولات العقل الأساسية.

- قـال ابـن رشـد: والكمية منها بالذات ومنها بالعرض، فالتي بالذات مثل العدد، والتي بالعرض مثل السواد والبياض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و(برغسون) الفيلسوف الفرنسي الحديث يقول: إن إحدى نتائج العلم الحديث قسمت الوجود نصفين: أولهما الكم الذي يُحمل على الأجسام، وثانيهما: الكيف الذي يُحمل على النفوس ...

- والقدماء لم يقيموا الحواجز بين الجسم والنفس، ولا بين اللكم والكيف.

- **الكيفية *Quality*:**

- وهو اسم يجاب به عن السؤال عن كيف؟

ومعناه: صفة الشيء وصورته وحاله، وهي إحدى مقولات أرسطو.

- والكيفيات عند الفلاسفة القدماء أربعة أقسام: الكيفيات المحسوسة وتسمى الكيفيات الانفعالية كالحلاوة والملوحة، والكيفيات المختصة بالكميات كالتثليث والتربيع ... والكيفيات الاستعدادية والكيفيات النفسانية.

- م -

- **المشاؤون *Peripatetic*:**

هم أتباع الفيلسوف اليوناني أرسطو، وسُموا بالمشائين لأنهم كانوا يتحاورن في الفلسفة وهم يمشون.

- **المعاني الكلية: أو المفاهيم العامة *Notions*:**

مثل مفهوم الحياة، والنطق، وإدراك هذه المفاهيم يتم عن طريق العقل،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو الذي يكونها بعد أن يجردها عن المحسوسات ...

- **المنطق Logic:**

قال ابن خلدون في المقدمة: علم المنطق: قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرِّفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات.

وقد رتب أرسطو مسائله وفصوله، وجعله أول العلوم الحكمية وفاتحتها. وعلم المنطق - كما هو عند أرسطو - يحتوي على ما يسمى بالقياس الأرسطي المؤلف من القضايا، والحدود، وسمي المنطق الصوري لأنه ينطلق من مقدمات نظرية لا واقعية ... وقد نقد ابن تيمية المنطق الأرسطي، وأكد أنه لا فائدة فيه ولا يوصل إلى حقيقة يقينية، أو يحسم خلافاً، وألف كتاباً سماه ((نقض المنطق))، وكتاب ((الرد على المنطقيين)).

وأكثر المنطقيين العرب يضيفون كتاب ((إيساغوجي)) إلى كتب أرسطو المنطقية، و(إيساغوجي) لفظ يوناني معناه المدخل أو المقدمة ... وضعه (فرفوريوس الصوري) ليكون مدخلاً للمقولات أو المنطق ... وبقي الكتاب وما زال يدرس في البلاد العربية بهذا الاسم ... وما زال في كثير من المدارس الشرعية يدرس كمدخل للمنطق الصوري الأرسطي.

- ن -

- **النفس Soul:**

وردت كلمة النفس في القرآن الكريم في (٣٦٧) موضعاً، في دلالات متعددة:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- للدلالة على ذات الإنسان: ﴿ لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً ﴾.
- وللدلالة على الذات الإلهية: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾.
- وللدلالة على باطن الإنسان: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾.
- وللدلالة على الأصل الواحد للبشر: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَة ﴾.
- وللدلالة على جوهر النفس الإنسانية وتنوعها: ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ . ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوء ﴾. ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ﴾.
- وتأتي النفس بمعنى الروح: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾.

- **النفس الناطقة** *Pensante ome*:

يقصد بها النفس الإنسانية التي هي الوحيدة بين الكائنات الحية التي تعقل.

- **النفعية** *Utilitarianism*:

مذهب يقول: إن المنفعة مبدأ جميع القيم، علمية كانت أم عملية، وهي مبدأ الأخلاق، ويستند مذهب المنفعة إلى أن تقدير سعادة الفرد يرجع إلى الفرد ذاته، وأن الناس يشعرون في الشروط نفسها بلذة واحدة، وأن الأفعال الصالحة هي التي توصل إلى السعادة، وأن الأفعال السيئة هي التي توصل إلى الشقاء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- و -

- الوجودية existentualism:

المعنى العام لها هو إبراز قيمة الموجود الفردي، وهو مذهب بعض الفلاسفة الأوربيين قبل سارتر، مثل: كيركجارد، وياسبرز.

أما الوجود كمذهب فقد تبلور على يد (جان بول سارتر) الفيلسوف الفرنسي في كتابه الوجود والعدم، يقول: ((إن الوجود متقدم على الماهية)) أي أن الوجود المادي الإنساني متقدم على كل فكر وروح وخالق ... ثم يقول: ((وإن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه)) وفي هذا القول ينكر سارتر كل شريعة إلهية تشرع للإنسان الأحكام والقيم الخلقية ... إلخ.

- الوعي Retention:

يقصد بالوعي حصاد إدراك الناس وتصوراتهم للعالم المحيط بهم، بما يشتمل عليه من علاقات بالحياة والإنسان والعقيدة والفكر.

وهذا الإدراك هو من ثمار العقل، والذي يعد الجزء التنفيذي في حياة الإنسان، فهو الذي يتخذ القرارات وينفذها بعد اكتمال تصورها بالإرادة المفطورة فيه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾	٢-٣	١١٤
﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾	٣	١١٣، ١١٤، ١٢١
﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ﴾	٣٣	١١٥
﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون ﴾	٧٥	٦٨
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾	١٦٥	١٨٠
﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون﴾	١٧١	٦٨
﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَاب﴾	١٧٩	٦٨
﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾	٢١٦	١٧٢
﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون ﴾	٢١٩	٧٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢٤٢	٦٧
﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾	٢٦٩	٦٨

سورة آل عمران

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه ﴾	٣١	١٨١
﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْب ﴾	١٧٩	١١٥
﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾	١٩٣	٨٣

سورة النساء

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	٥٦	٧٩
﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾	٥٩	١٢٣

سورة المائدة

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِين﴾	٨٣	٨٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الأنعام		
﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	٧	٨٠
﴿ قُـل لاَّ أَقُـولُ لَكُـمْ عِـندِي خَـزَائِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾	٥٠	١١٥
﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾	٥٩	١١٥
﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِير ﴾	٧٣	١١٥
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾	١١٥	٤٨
سورة الأعراف		
﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾	٤٣	١٥٥
﴿ هَـلْ يَـنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَـهُ يَـوْمَ يَـأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقّ ﴾	٥٣	١٢٣
﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾	١٠٠	٨٣ ،
﴿ وَلَقَـدْ ذَرَأْنَـا لِجَهَـنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ	١٧٩	٨١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة
قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾		
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٦٩، ١٠١

سورة الأنفال

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾	٢٢	١٠٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾	٢٤	١٣١

سورة يونس

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾	٣٩	١٢٤

سورة يوسف

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢	٦٧، ١٠٣ ، ١٠٧
﴿ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾	١٠٠	١٢٣
﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	١٠٣	١٠٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الرعد		
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٣	٧٠
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون ﴾	٤	٥٤
سورة الحجر		
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	٧٥	١٥٦
سورة الإسراء		
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾	١٧	١٤٩
سورة الكهف		
﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾	٥	٤٨
﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ ﴾	١١	٨٤
سورة طه		
﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾	٥٤	٦٨
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾	١٢٨	٦٨، ١٠٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة

سورة الأنبياء

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين ﴾	١٠٧	٧٨

سورة الحج

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾	٤٦	١٠١، ١٠٢
﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها ﴾	٤٦	١٨٩

سورة المؤمنون

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾	٧٨	٨٠

سورة النور

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٥١	٨٣

سورة النمل

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	٥٢	٥٤
﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ	٧٨	٨٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة
شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		

سورة العنكبوت

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾	٤٣	٦٨

سورة الروم

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾	٨	٧٠

سورة سبأ

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾	٤٦	٣
﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾	٤٦	٦٩

سورة يس

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾	٨١	١٤٩

سورة ق

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	١٤٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٣٧	٦٩، ١٠١

سورة الطور

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون ﴾	٣٢	١٧٠
﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون﴾	٣٥	١٤٩

سورة الذاريات

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾	٢١	١٥٠، ١٩٢

سورة الحشر

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُون﴾	١٤	١٦٨
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾	١٤	١٧٠
﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم ﴾	٢٢	١٢١

سورة الملك

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ	١٠	٨٢، ٩٩، ١٦٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة
السَّعِير﴾		١٦٨، ١٧٠
﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾	١٠	٦٨، ١٣٢، ١٧٩
﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير﴾	١٤	١٧٢

سورة الجن

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا﴾	١٣	٨٣

سورة المدثر

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	١٨-١٩	٦٩

سورة القيامة

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾	٣٦ – ٤٠	١٥٠

سورة الأعلى

﴿ ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى ﴾	١٣	١٣١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفجر		
﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾	٥	٦٩
سورة البلد		
﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	٨-٩	١٦٧
سورة الشمس		
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	٧-٨	١٦٧
سورة العلق		
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	١-٥	١١٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الأحاديث والآثار

أتاكم أهل اليَمن، هم أرَقُّ قلوباً، وألْيَنُ أفْئِدَةً ١٠١

اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله ١٥٦

احفظوا عن المطيعين لله ما يقولون ١٥٦

أرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ ٧١

أصدق الأسماء حارث وهمام ٤٣

أعُوذُ بِكَلِماتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبادِهِ ٧٢

إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ١٠٣

إن نبينا رأى ربه بفؤاده ٨٧

إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث ١٧٥

إنما عقل من أمر رسول الله ٧٢

إنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ جِبْرَيلَ عِنْدَ رَأسِي ٧١

أول ما خلق الله العقل ..... ٩٥، ١٨٧

البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك ١٥٥

البر ما اطمأنت إليه النفس وسكن إليه القلب ١٥٥

تأولت كما تأول عثمان ١٢٥

خلق الله الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ٩٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له ٧٢

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي ١٢٥

فيك آخذ، وبك أعطي وبك الثواب ٩٣

قد كان في الأمم قبلكم محدثون ١٥٦

كل مولود يولد على الفطرة ٤٣

كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان ٤٧

لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف ٧٢

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه ١٨٠

ما خلقت خلقاً أكرم منك ٩٥

مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ١١٥

والذي لا إله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمان بغيب ١١٦

ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ١٥٦

يا معشر النساء، تصدَّقن، فإني أريتُكنّ أكثر أهل النار ٧٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس الأعلام

أحمد بن تيمية، ١٢، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠

أحمد بن حنبل ، ٢١، ٦٠، ٧٢، ٩٨، ١٠٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٨

أرسطو، ١٧، ٢٠، ٥٣، ٥٦، ٦٧، ٨٥، ٩٥، ٩٦، ١١٦، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٨ ، ١٨٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو الأعلى المودودي، ٣٤

ابن الأنباري، ٥١

أنسلم، ٥٦، ٧٣

أوغسطين، ٥٥، ٥٦

البخاري، ٧٠، ١١٥

برغسون، ٢٢، ٥٨، ١٠٥، ١٨٩

بريفولت، ١٤٤، ١٩٢

أبو بكر الرازي، ٦٦

أبو بكر عبد العزيز، ١٧٠

أبو بكر بن العربي، ٥٤، ١٢٧

بل، ١٥٨

بيكون، ١٥٨

الترمذي، ٧١، ١٥٦

توما الإكويني، ٥٦

جَابِرَ بنَ عَبْدِ الله، ٧١

أبو جعفر الطبري، ١٢٢

ابن الجوزي، ٦٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جون ستيوارث مل، ١٤٤، ١٩١

الجويني، ٦٢، ٧٣

جيؤو ردانو برونو، ١٠

الحارث المحاسبي، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧٣، ٩٨، ١٨٨

أبو الحسن الندوي، ٣٢

حسن البنا، ٣٥

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ١٧٤

الخطابي، ١٥٠

الخليل بن أحمد، ٤٨

أبو داود، ٧٢

ديكارت، ٢٠

أبو ذر، ٧٢، ٨٦

الذهبي، ٣٠، ٣١، ٣٣

الرازي، ١١٨

ربيعة، ١٢٥

ابن رشد، ٥٣، ٥٦

روجر بيكون، ١٤٤، ١٩٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رونكان ماكدونالد، ٣٤

الزبيدي، ٥٢

زيغريد هونكه، ٦

سارتر، ٥٥

السبكي، ٦٢

أبو سعيد الخدري، ٧٠

أبو سعيد السيرافي، ١٤١، ١٤٢، ١٥٦

سفيان بن عيينة، ١٢٥

سَهْلَةُ، ٧١

سيبويه، ٤٨

سيد قطب، ٣٤

ابن سينا، ١٨، ٢٣، ٣٩، ٥٣، ٥٦، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٦، ٩٧، ١٨٨

الشافعي، ١٢٤

ابن الصلاح، ١٤٠

الطبري، ١٢٤

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها ٧١، ٧٢، ٩٥، ١٢٥

عبد الحميد بن باديس، ٣٤، ٣٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبد الرحمن بن تيمية، ٢٩

عبد الله بن تيمية، ٢٩

عبد الله بن عباس، ٧٢، ٨٦، ١٠١

عبد الله بن عمر، ٧١، ١١٥

عبد الله بن عمرو، ٧٢

عبد الله بن مسعود، ١١٥

ابن عبد الهادي، ١٣

أبو عبيدة معمر بن المثنى، ١٢٢

عثمان بن عفان ﷺ، ١٢٥

ابن عربي (محيي الدين) ١٥٤، ١٩٣

عروة بن الزبير، ١٢٥

ابن عطية، ١١٣

أبو عقيل، ٧١

علم الدين البرزالي، ٣٠

علي بن أبي طالب ﷺ، ٥٢

عمر بن الخطاب ﷺ، ٧١، ١٥٦، ١٥٧

عمر بن علي البزّار، ٣٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عمرو بن شعيب، ٧٢

غاليله، ١٠

غاندي، ١٨٤

الغـزالي (أبـو حـامد محمد بن محمد)، ١٧، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ٨٥، ١٢٦، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٩١، ١٩٣

الفارابي، ١٨، ٢٣، ٣٩، ٥٣، ٦٧، ٨٥، ١٠٨، ١٨٤، ١٨٨

ابن الفرات، ١٤١

فرنسيس بيكون، ٥٦، ١٤٤

الفريد بينيه، ١٩١

قازان، ٢٨

الْقَاسِم، ٧١

قدامة بن جعفر، ٦١

القرطبي، ١١٣

كانت، ٥٧، ١٨٤

كمال الدين الزملكاني، ٣١

الكندي، ١٨، ٢٣، ٣٩، ٥٣، ٦٧، ١٠٨، ١٨٤، ١٨٨

لبيد، ٤٨

ابن الماجشون، ١٢٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن ماجه، ٧٢

ماركس، ٥٥، ٥٨

مالك بن أنس، ١٢٥

مالك بن نبي، ١٤، ٣٤، ٣٥

المتنبي، ٥

متى بن يونس، ١٤١

محمد إقبال، ٣٤، ١٨٢، ١٨٣

محمد رشيد رضا، ٣٤

محمد أبو زهرة، ٣٦

محمد بن سعود، ٧

أبو محمد بن عبد البصري، ١١٩

محمد بن عبد الوهاب، ٧، ٣٣

محمد عبده، ٣٤

محمد قطب، ٩

محمد بن قلاوون، ٢٩

محمد المبارك، ٧

محمد ﷺ، ٤٤، ٧١، ١١٢، ١٤٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن مسكويه، ١٨

مسلم، ٧١، ٩٥، ١٥٥

المسيح عليه السلام، ١٠

أبو المعالي، ٥٢

مونتاني، ٥٦

الناصر محمد بن قلاوون، ٢٨

ناكساغورس، ٢٠

النسائي، ٧١

النسفي، ٦٥

النواس، ١٥٥

هرقليطس، ٢٠

أبو هريرة، ١٥٦

هنري لاووست، ٤٢

هيجل، ٥٧

هيغل، ١٨٤

وابصة، ١٥٥

وليم جيمس، ٥٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويلز، ١٠

يحيى بن سعيد، ٧١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

أولاً: مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية:

١- الاستقامة - تحقيق د . محمد رشاد سالم - ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢- الإيمان الكبير - المكتب الإسلامي - ط٣ - بيروت - ١٣٩٩هـ

٣- تفسير سورة الإخلاص - القاهرة - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م.

٤- جامع الرسائل (مجلدان) - تحقيق د. محمد رشاد سالم - مطبعة المدني - القاهرة.

٥- درء تعارض العقل والنقل (١٢مجلداً) - تحقيق د . محمد رشاد سالم - ط جامعة الإمام -١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦- الرد على المنطقيين - تحقيق عبد الصمد شرف الدين الكتبي - بومباي - الهند.

٧- العبودية - تقديم وتحقيق الشيخ عبد الرحمن الباني - المكتب الإسلامي - ط ثانية - بيروت ١٣٨٩ هـ.

٨- [فتاوى الرياض] - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد - طبعت في ٣٧ مجلداً - الرياض ١٣٨٩ هـ .

٩- السبعينية - ضمن مجموع الفتاوى الكبرى - بمعرفة فرج الله زكي الكردي -مطبعة كردستان العلمية - القاهرة ١٣٢٩ هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠- مجموعة الرسائل الكبرى – المطبعة الشرفية – القاهرة ١٣٢٤ هـ.

١١- مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه – تحقيق د.محمد رشاد سالم ضمن كتاب: دراسات عربية وإسلامية – القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .

١٢- مقدمة في أصول التفسير–المكتبة العلمية–لاهور – باكستان ١٣٨٨هـ.

١٣- منهاج السنة النبوية – تحقيق د.محمد رشاد سالم – مكتبة دار العروبة – القاهرة ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م .

١٤- النبوات – إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة – ١٣٤٦هـ.

١٥- نقض المنطق–تحقيق محمد حمزة وسليمان الضبع– ط القاهرة ١٩٥١م .

ثانياً: المصادر العامة:

١- أبجديات العقل البشري – د.محمد منير المعراوي – دار إيلاف – بريطانيا –١٤١٦هـ– ١٩٩٦م .

٢- إحياء علوم الدين – لأبي حامد الغزالي – مع تخريج الحافظ العراقي للأحاديث – لجنة الثقافة الإسلامية – القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٣- الأذكياء – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي – دار الآفاق الجديدة – بيروت –١٤٠٠هـ –١٩٨٠م .

٤- الإشارات والتنبيهات – ابن سينا – تحقيق د. سليمان دنيا – ط المعارف – القاهرة – ١٩٦٠م.

٥- الأعلام – خير الدين الزركلي – ط دار العلم للملايين – بيروت ط ١١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

-١٩٩٥م .

٦- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية - الحافظ عمر بن علي البزار - المكتب الإسلامي - دمشق ١٣٩٦هـ .

٧- الإمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي .

٨- البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.

٩- بين الدين والفلسفة - د.محمد يوسف موسى - دار المعارف - القاهرة ١٩٥٩م .

١٠- تجديد التفكير الديني في الإسلام - محمد إقبال - ترجمة عباس محمود - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٨م.

١١- تراث الإسلام - شاخت وبوزورث (فسمان) - ترجمة محمد زهير السمهودي للقسم الأول، ود.حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد للقسم الثاني - سلسلة عالم المعرفة - يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨.

١٢- التربية المثلى - الفريد بينيه - ترجمة كامل بنقسلي وخيرت فخري ١٣٦٨هـم ١٩٤٨م.

١٣- ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية - محمد كرد علي - المكتب الإسلامي - دمشق ١٣٩٨هـ.

١٤- تفسير النصوص - د. محمد أديب الصالح - طبعة ثانية - المكتب الإسلامي - دمشق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٥- ابن تيمية – عبد الرحمن النحلاوي – دار الفكر – دمشق – ط ١ – ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

١٦- ابن تيمية – محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – القاهرة – دون تاريخ.

١٧- الثبت في مخطوطات شيخ الإسلام – عبد العزيز المشعل – دار الوطن – الرياض – ١٤١٧هـ .

١٨- جامع البيان في تأويل آي القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – ط القاهرة .

١٩- الحافظ ابن تيمية – أبو الحسن الندوي – دار القلم – الكويت – ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م .

٢٠- الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بشكل خاص – د. عبد الكريم العثمان–مكتبة وهبة – القاهرة – ط ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.

٢١- دستور الأخلاق في القرآن – د.محمد عبد الله دراز – مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٢- ذم الهوى – ابن الجوزي – تحقيق مصطفى عبد الواحد .

٢٣- الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر – لابن ناصر الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) – ط المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٤- رسالة في معرفة النفس الناطقة – لابن سينا – تحقيق د. أحمد فؤاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأهواني.

٢٥- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

٢٦- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) - دار إحياء السنة النبوية.

٢٧- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) - دار الحديث - حمص - سورية - ط ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

٢٨- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) - دار الفكر.

٢٩- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي(ت ٣٠٢هـ) - الفكر - بيروت.

٣٠- الصحاح - إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت ط ٢ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣١- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية - إستانبول - تركيا - ١٩٧٩م.

٣٢- صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٣٣- طبقات الشافعية - السبكي.

٣٤- العقائد النسفية.

٣٥- العقل في مجرى التاريخ - د. علي شلق - دار المدى - بيروت - ط١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ١٩٨٥م.

٣٦- العقل وفهم القرآن - الحارث المحاسبي - نشره الأستاذ حسين القوتلي مع كتاب فهم القرآن للحارث المحاسبي - نشر دار الكندي - دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٣٧- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية - لابن عبد الهادي-تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي - القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م .

٣٨- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - القاهرة.

٣٩- الفكر التربوي عند ابن تيمية - د. ماجد عرسان الكيلاني - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ط٢ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٤٠- القرآن وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتي - دار الشروق - القاهرة - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

٤١- قصة الفلسفة الحديثة - أحمد أمين وزكي نجيب محمود .

٤٢- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية الحنبلي - الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي.

٤٣- لسان العرب - ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي) ط بيروت.

٤٤- مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المثنى - ط ١٣٧٤هـ - ٤٤- مسند الإمام أحمد.

٤٥- معجزة القرآن - الشيخ محمد متولي الشعراوي - ج١ - كتاب اليوم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٦- معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – نشر المثنى – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م.

٤٧- مقام العقل عند العرب – قدري حافظ طوقان، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م..

٤٨- مقدمة ابن خلدون – مؤسسة الأعلمي للمنشورات – بيروت – لبنان (دون تاريخ).

٤٩- منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري - د. محمد حسني الزين – المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٥٠- الموسوعة الفلسفية المختصرة – مجموعة من المؤلفين الغربيين – دار القلم.

٥١- ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية –مجموعة من المؤلفين بإشراف جيلفورد .

٥٢- نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع – هنري لاووست – دار الأنصار – القاهرة - ط ١٩٧٩م .

٥٣- النظرية الخلقية عند ابن تيمية – د. محمد عبد الله عفيفي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – ط١ – الرياض - ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

***

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الموضوعات

تقديم :للأستاذ عبد الرحمن الباني ٣

المقدمة: ١٦

نبذة عن حياة ابن تيمية ٢٧

حياته:..... ٢٧

علمه:..... ٣٠

ذاكرته وذكاؤه:..... ٣٠

أخلاقه:..... ٣١

مؤلفاته: ٣٢

تأثير ابن تيمية في الفكر الإسلامي المعاصر:..... ٣٣

التمهيد: منهج ابن تيمية العلمي في دراساته النفسية ٣٧

أولاً: القرآن الكريم: ٣٩

ثانياً: السنة النبوية:..... ٤٣

ثالثاً: أقوال السلف المشهود لهم بالعلم والفضل:..... ٤٤

رابعاً: التوفيق بين العقل والنقل: ٤٤

خامساً: استعمال التحليل اللغوي:..... ٤٦

الفصل الأول: ماهية العقل..... ٤٩

أولاً: العقل في اللغة :..... ٥١

ثانياً: العقل عند الفلاسفة : ٥٣

١ -في الفلسفة اليونانية ومن تأثر بها: ٥٣

٢ -في فلسفة الأوربيين في قرونهم الوسطى والحديثة: ٥٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ -في فلسفة الأوربيين في قرونهم الوسطى والحديثة: ٥٤
ثالثاً: العقل عند العلماء المسلمين: ٥٩
أ- الحارث المحاسبي: ٥٩
ب- قدامة بن جعفر: ٦١
جـ- الجويني (إمام الحرمين) : ٦٢
د- أبو حامد الغزالي: ٦٣
و- النسفي: ٦٥
ز- أبو بكر الرازي: ٦٦
هـ - ابن الجوزي: ٦٤
رابعاً: العقل في القرآن الكريم: ٦٧
١ -وُروده بصيغة فعل العقل: ٦٧
٢ -وُروده بلفظ الألباب (ج لُب): ٦٨
٣ -وروده بلفظ النُّهى الدال على العقل: ٦٨
٤ -وروده بلفظ القلب: ٦٩
٥ -وورد بلفظ الحِجْر: ٦٩
٦ -وُروده بلفظ الفكر الذي هو نتاج العقل: ٦٩
خامساً: العقل في السنة: ٧٠
سادسا : الخلاصة ٧٣
الفصل الثاني: العقل عند الإمام ابن تيمية ٧٥
أولاً: الإدراك الحسي والعقلي ٧٧
الإدراك الحسي: ٧٨
١ -الحواس الظاهرة: ٧٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ -الحواس الباطنة : ٨٤
أ -الخيال والوهم: ٨٧
ب- التصور والتفكير: ٨٩
جـ-الصورة والعاطفة السائدة : ٩٠
الإدراك العقلي: ٩١
ثانياً: معاني العقل وصلته بالجسم: ٩٢
١ -معاني العقل: ٩٣
أ - العقل عرض أو صفة بالذات العاقلة: ٩٣
ب - العقل غريزة : ٩٨
ج ـ العقل علم يحصل بالغريزة ٩٩
د ـ العقل عمل بالعلم ٩٩
٢ -العقل والقلب: ١٠٠
٣ -العقل والدماغ: ١٠٤
ثالثاً: العقل والشرع ١٠٦
١ -فضل العقل: ١٠٦
٢ -العقل والنقل: ١٠٨
٣ -العقل والغيب: ١١٢
أ -الغيب في اللغة وفي كتب المفسرين: ١١٢
ب -الغيب في القرآن والسنة: ١١٤
جـ- الغيب والفلاسفة: ١١٦
د -هل يدرك العقل الغيب ؟ ١١٨
٤ -العقل والتأويل ١٢٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لفظ التأويل في القرآن:..... ١٢٣
٥ -العقل والذكاء ١٢٨
مفهوم الذكاء ١٢٨
الفروق الفردية في الذكاء: ١٢٩
الذكاء والسعادة:..... ١٣٠
رابعا :الخلاصة ١٣٢
الفصل الثالث: العقل والمعرفة ١٣٥
أولا: الاستعداد الفطري للمعرفة:..... ١٣٧
ثانياً: نقد المنطق الأرسطي: ١٣٩
ثالثاً: الاستقراء:..... ١٤٦
رابعاً: الاستدلال:..... ١٤٧
أ – الاستدلال بالآيات القرآنية:..... ١٤٩
٢ – الاستدلال بقياس الأَوْلى في القرآن: ١٥١
خامساً: الإلهام:..... ١٥٣
الإلهام الرباني والإلقاء الشيطاني:..... ١٥٧
سادساً: الخلاصة ١٥٨
الفصل الرابع: صلة العقل بالإرادة والأخلاق والعاطفة ١٥٩
أولاً: العقل والإرادة: ١٦١
ثانياً: العقل والأخلاق: ١٦٦
١-الأساس العقلي للسلوك الأخلاقي:..... ١٦٦
٢ - الإلزام الخلقي ومصدره:..... ١٦٨
٣ -السلوك الأخلاقي ودوافعه:..... ١٦٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: العقل والعاطفة ١٧٦
رابعاً : الخلاصة ١٨٤
خاتمة ١٨٧
ملحق: نصوص أخرى لابن تيمية لم ترد في الدراسة ١٩٧
١ -العقل: عرض وليس عيناً قائمة بنفسها ١٩٨
٢ -العقل والعاقل والمعقول ١٩٨
٣ -العقل والنقل ١٩٩
٤ -العقول العشرة لدى الفلاسفة ٢٠٠
٥ -العقل ومكانه: ٢٠٠
٦ -الحس، الإحساس: ٢٠١
٧ -الصورة، التصور، الوهم: ٢٠١
٨ -الخيال والوهم، الحس الظاهر والحس الباطن: ٢٠٢
٩ -التعلق بالصور يوجب فساد العقل: ٢٠٣
١٠ -التأويل: ٢٠٤
١١ -منطق أرسطو: ٢٠٤
١١ -المنطق اليوناني: ٢٠٥
١٢ -الكليات ووجودها: ٢٠٦
١٤ -الإلهام: ٢٠٧
١٥ -المادة والصورة: ٢٠٧
١٦ -العلم والعمل: ٢٠٨
١٧ - محبة العمل الصالح والعلم النافع من الفطرة: ٢٠٩
١٨ - فضائل قوى الإنسان: ٢٠٩
١٩ -طرق العلم: ٢١٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٠ -الحسن والقبح في العقل والشرع:..... ٢١٠
٢١ -الحب والإحساس الفطريان هما أصل التحسين والتقبيح:..... ٢١٣
الفهارس ٢١٥
فهرس الآيات القرآنية ٢٥٦
فهرس الأحاديث والآثار..... ٢٦٦
فهرس الأعلام..... ٢٦٨
المصادر والمراجع..... ٢٧٧
فهرس الموضوعات ٢٨٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤلف في سطور

- مواليد دير الزور - سورية - ١٩٣٨م

* المؤهلات:

- أهلية التعليم العامة / حلب - ١٩٦١م.
- ليسانس الآداب - قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية - جامعة دمشق - ١٩٦٨م.
- ماجستير الإعلام - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - ١٤٠٣م.
- دكتوراه الفلسفة - جامعة بهاولبور الإسلامية - باكستان - ١٩٩٤م.

* الخبرة والعمل:

- التدريس مدة (١٧) عامًا - دير الزور - سورية من عام ١٩٦١ - ١٩٧٦م.
- الإشراف الاجتماعي والثقافي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- مركز البحوث - عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- رئيس مركز البحوث - وكالة الناقد الدولية للإعلام.
- باحث في مركز الدراسات المتخصصة - الرياض.
- التعاون مع بعض المؤسسات الثقافية - والإعلامية - الرياض.

* المؤلفات:

- زاد الطالب من أوضح المسالك - أربعة أجزاء (ط ٤).
- الإعلام والبيت المسلم - (ط٢).
- قواعد الإملاء في عشرة دروس سهلة (ط٣).
- الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية - ١ - العقل
- الحرب النفسية - أضواء إسلامية (مخطوط رسالة ماجستير).
- فلسفة إقبال وعلاقاته الثقافية بالعالم العربي (مخطوط - رسالة دكتوراه).
- مذاهب أدبية وفلسفية واجتماعية ودينية (٥٨) مذهبًا (نشرت ضمن موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة - بإشراف الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض).
- دراسات ومقالات لغوية ونفسية وتربوية وتراجم (٢٧) دراسة ومقال نشرت في بعض المجلات الثقافية والأدبية (في المملكة وخارجها).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مطابع الحميضي ت 4561000 ف 4592217 الرياض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الكتاب

يرى ابن تيمية أن العقل هو :

- مناط التكليف.
- و أساس صحة العبادة.
- و أساس قبول العمل عند الله عز وجل.
- وشرط في العلم والمعرفة.

فما هو العقل عنده ؟

- و ما هي معانيه ؟
- و ما صلته بالجسم (بالدماغ والقلب خاصة) ؟

وما دور العقل بالادراك الحسي والعقلي ؟

- و كذلك ما دوره بالارادة والأخلاق و العاطفة و الغيب ، والتأويل والذكاء و نصوص القرآن (النقل) .

كل هذه الأمور يدرسها ابن تيمية دراسة دقيقة وعميقة موازناً اياها بالفلسفة اليونانية وبمن تبعها من المسلمين ، وبأسلوب ميسر ، بعيداً عن تعقيدات الفلسفة و أوهامها ، وبمنهج قويم يقوم على الكتاب و السنة و أقوال الأئمة المعتبرين ، ...

و الله الموفق .

ردمك : ٠-١٨٩-٤٥-٩٩٦٠